الدر الثمين

في

مآثر حي الأربعين

تأليف الأستاذ:

محمد ولد سيد ولد دحان

الدر الثمين في مآثر حي الأربعين

تأليف : محمد ولد سيدي ولد دحان

بنـــي العلياء تندغ خيـــر حـــي إذا عـــدت ذوائـــــبها الزوايا

منار العلم مهبط كل فضـــــل هـــداة الخلق من كرموا سجايا

ومن ســـيماهم التقوى ومن هم بناة المجـــد مـــن بين البـــرايا

ومن هم حلة الأجـــــواد قدما يـــتـــيمة عقد من بذلوا العطايا

ســـموا بفعالهم وأروم صـــدق وبالمجد المؤثل والمـــــــزايا

وهم أهل العلا منها اســـتباحوا حمـــى قد كان ممتنع الـــزوايا

ومن علم الشـــريعة ما ادلهمت جوانـــبه وكان من الخـــــبايا

فقد راضوا عويص الفقه روضا وقد حفظوا المغازي والسرايا

وكم فصـــــــح شوارد آبدات أبانـــــــوا ما بهن من الخفايا

فقدما قادهم آباء صـــــــدق لحل المشكلات من القضـــايا

ولن تلقـــى علـــى العلات منهم ســـوى ابن جلا وطلاع الثنايا

الطبعة الأولى: شعبان 1440هـ / ابريل 2019م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

سحب مطبعة المنار

رقم الإيداع القانوني لدى المكتبة الوطنية: 2019/2136

الدر الثمين

في

مآثر حي الأربعين

تأليف الأستاذ:

محمد ولد سيد ولد دحان

إهداء :

- إلى إخوتي وأخواتي أبناء وبنات الحلة؛ حلة الأجواد والأمجاد، وخاصة أولئك الذين يسهرون على رعاية وحفظ ما سطره الآباء والأجداد في سجلات التاريخ من الفضائل الخالدة والمحامد التالدة . . .
- إلى أبناء وأحفاد المرابطين الميامين، وخاصة التندغيين منهم . . .
- إلى كل شهم كريم يهتز ويطرب عند ذكر الكرم والكرماء . . .
- إلى الجميع أهدي هذا البحث المتواضع؛ فإن أفاد وأمتع فذلك ما كنا نبغي، وإن تكن الأخرى فالخير أردت وعلى الله توكلت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . .

خطبة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، أوجد من العدم، وأمد وتفضل من الكرم، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم، العبد لله والسيد على الناس، روح الوجود ومنبع الجود، صاحب المقام المحمود، والظل الممدود، والحوض المورود، من أنزل الله عليه أحسن القصص وأبلغ المواعظ والحكم في هذا الكتاب الخالد، الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ[1]، فضل الله فيه بني آدم تفضيلا، وفصل فيه كل شيء تفصيلا .

أما بعد؛ فإن للتاريخ أهمية قصوى ينبغي الاعتناء بها وعدم ترك هذا التاريخ المشرف يضيع، أو يقع في أيدي السفهاء يعبثون به، فإن من لا تاريخ لهم يستمدون منه أصالتهم، ويبنون عليه حداثتهم، فإنهم يصبحون كالنبتة التي لا جذور لها ولا منابع، فهي سرعان ما تذبل ثم تيبس ثم تقتلعها العواصف والزعازع التي تهدم كل شيء لا أساس له، ومن هذا المنطلق فإني فكرت في أن أعمل بحثا يبرز بعض ما لآبائنا وأجدادنا من كرم الأنساب والأحساب، ورسوخ القدم في تلائد وطرائف المكرمات والأمجاد، لا على سبيل عبية الجاهلية وفخرها - معاذ الله - بل إنما على سبيل التحدث بنعم الله ومواهبه التي أسبغ علينا ظواهرها وبواطنها، وأمرنا بشكرها في قوله: {وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[2] فإن الله هو المعز وهو المذل وهو الذي يوفق بعض عباده ويسوقهم إلى الأفعال المحمودة، ويحليهم بالأخلاق الكريمة التي ترضي الرب ويحمدهم عليها عباده الذين

---

[1] فصلت:42

[2] البقرة:152

يتلقون إحسانهم وإكرامهم، فتخلد مآثرهم ويُقتدى بهم في تضحياتهم وإيثارهم للضعفة والمحتاجين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1].

نعم؛ فكرت في واقعة حلة أربعين جوادا وأخواتها (قصة الزَّاملْ، قصة الْمَاتَ، قصة الْجَدْ...) فإذا هي كلها، بل كل واحدة منها تستحق أن تُفرد بتأليف، وأن تُكتب بذوب الذهب وسبائك الفضة، وأن تعلق كالجواهر حليا باهرا على النحور والصدور، وأن تعلل الجدات بها الأحفاد وأن يدرسها المعلمون والأساتذة للطلاب في المدارس والجامعات وأن يتسامر بها المثقفون في السهرات ويتناشدون ما قيل عنها من روائع القصائد في الندوات، وهكذا فإني أردت أن أجمع ما أمكنني جمعه من نفائس هذا التراث الثمين والمعين الفياض الذي لا ينضب، والبحر الزاخر الذي تلقي إليك أمواجه الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة، يمنة ويسرة، حتى ولو كنت مثلي لا تعلم الغوص والسباحة، غير أن هذه الجواهر الكريمة كانت متفرقة هنا وهناك وهنالك لا يجمعها سمط واحد، والدر يزداد حسنا وهو منتظم[2].. وهذا ما حملني على كتابة هذا البحث، وقد أردته بحثا جامعا إن لم يكن مانعا، فلم أسلك فيه مسلك بعض الكتاب الذين يحتسون في الارتغاء وتميل بهم العواطف بعض الميل إلى التحدث عن الدوائر الضيقة والجوانب التي - وإن كانت مهمة - قد يوجد ما هو أهم منها وأجمع؛ فالمرحلة الآن تستدعي منا اهتماما أكثر بما يجمع ويلم الشمل قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...}[3] وعليه فإن هذا البحث سيكون بإذن الله حلقة وصل بين الأصول والفروع وما بين ذلك أوبعبارة أكثر صراحة قل إنه

---

[1] **الحشر:9**

[2] **إشارة إلى بيت البوصيري: والدر يزداد حسنا وهو منتظم...وليس ينقص حسنا غير منتظم.**

[3] **آل عمران:103**

سيكون كتابا حميريا-لمتونيا-تندغيا-حِلّيا، ولو كنت أعلم الكثير من أخبار قبائل لمتونة لجعلته كتابا لمتونيا فقط.

هذا وإني لا أريد أن أُمل القارئ الكريم بذكر المعاناة والصعوبات والعقبات التي واجهتني أثناء البحث خاصة فيما يتعلق بجمع المدونة الشعرية التي تخلد أمجاد حي الأربعين، وأترك للقارئ المثقف أن يتصور صعوبات التأليف في بيئة لا تعتني بالتوثيق كثيرا، ولكنني رغم ذلك كله قد أعانني الله على جمع مواد هذا البحث الذي سيكون إن شاء الله تعالى إضافة معتبرة في موضوعه، أوهكذا تصوري الشخصي، ويبقى للقراء الكرام حكمهم النهائي .

وقد رسمت خطة البحث على النحو التالي :

أولا: تمهيد وتأطير لموضوع البحث.

ثانيا: مقدمة حول ظاهرة الجود والكرم عند العرب والمسلمين.

ثالثا: وقفة عند محطة لمتونة.

رابعا: وقفة عند محطة تندغة إجمالا.

خامسا: وقفة من حيثيات عدة عند محطة الحلة.

سادسا: مدونة مدائح الحلة؛ فصيحها وشعبيها.

سابعا: خاتمة -أسأل الله حسنها- في حث الشباب على مواصلة السير على نهج آبائهم الأماجد وأجدادهم الأكارم.

وسميت البحث: **"الدر الثمين في مآثر حي الأربعين"**.

وأسأل الله العلي القدير بجاه البشير النذير أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه ويجعل جهودي مشكورة دينا ودنيا وأن يكون عائدا بالنفع على الجميع، وصلى الله وسلم على مجمع الفضائل والمحامد من كان فوق ما قيل فيه :

وأجمل منك لم ترقط عين وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي الختام أتبرأ من حولى وقوتي، وأعترف بقصوري وعجزي، وسأبقى إن شاء الله جاهزا في أي وقت لتقبل ما يتفضل به الإخوة الأعزاء من اقتراحات: تصلح الأخطاء، أو تكمل النقص، أو تحذف ما لا فائدة فيه، أو.. أو...

وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

الإمضاء: الأستاذ محمد ولد دحان

انواكشوط في: الخميس 08 رجب 1440هـ

الموافق: 2019/03/14م

أولا:

تمهيد وتأطير لموضوع البحث

الحمد لله الكبير المتعالي، المتفضل على خلقه بالتوالي، أوجد بمشيئته وأمد بحكمته، أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة على جميع الأكوان، وأعطى المراتب العليا لبني الإنسان وخصهم بالتكريم والتشريف على سائر الأعيان، قال جل من قائل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[1]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[2]، والصلاة والسلام على أكرم وأشرف خلق الله صاحب الشمائل السَّنية والمحامد العلية، من كان كما وصفه الحق سبحانه بقوله {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}[3]، أدبه ربه فأحسن تأديبه[4]، فتخلق بالأخلاق الربانية اتصافا واستمدادا، فكان راغبا إلى الله زاهدا فيما سواه، وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم[5]، ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آووا ونصروا، وبذلوا وآثروا، فشكر الله سعيهم وأثنى عليهم بقوله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[6] .

أما بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن لسلفنا الصالح علينا حقوقا كبيرة وكثيرة جدا، فهم آباؤنا الكرام وأجدادنا العظام الذين تولوا تربية أبداننا وتهذيب أخلاقنا، وهم أشياخنا الذين علمونا أمور ديننا حلالها وحرامها حتى

---

[1] الإسراء:70

[2] الحجرات:13

[3] القلم:4

[4] إشارة إلى حديث "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، وهو وإن لم يكن قوي الإسناد فإنه صحيح المعنى.

[5] البيت من ميمية البوصيري المشهورة.

[6] الحشر:9

أرونا الصراط المستقيم، ودلونا على النهج القويم فمنا لهم الشكر الجزيل ولهم من الله جزاء المحسنين، ولكنهم مع هذا كله قد خلفوا لنا هذا التراث العظيم والمجد العميم، وبنوا لنا هذه الصروح الشامخة وورثونا هذه الأمجاد الخالدة والمدائح التالدة، وأبقوا لنا هذا الذكر الجميل، الذي بقي صامدا شامخ الرأس أمام عاديات الدهور القاسية، فهذه قصة أربعين جوادا وأخواتها (المات، الزامل، الجد) محفورة في ذاكرة الأوساط الاجتماعية في طول وعرض بلاد شنقيط المجيدة تحفظها الذاكرة الجمعية، تسير بها الركبان وتُضرب بها الأمثال جيلا بعد جيل وقرونا بعد قرون، وكم لقصة أربعين جوادا من إخوة وأخوات لم تُحفظ أسماؤهم ولم تُدون قصصهم وإنما كان أبطالها جنودا مجهولين أو لم يعرفهم إلا من جاورهم من قريب أو عايشهم ولكن آثار بصماتهم باقية في ثنايا هذا التاريخ المجيد وأجورهم على الله.

أقول إنه من حق هؤلاء علينا أن نبحث ونفتش عن تراثهم الحميد، وعن وقائع كرمهم التليد حتى نتلافى ما أمكن تلافيه من هذه الكنوز الثمينة وننتزعه انتزاعا من بين براثين الضياع والنسيان، وذلك رغم التأثيرات السلبية للكبوات الحضارية التي عاشتها وتعيشها بلادنا منذ أزمان قديمة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن علينا كذلك لأجيالنا الحالية حقوقا أكيدة، بأن نُعرِّفهم ما كان عليه أسلافهم من عظيم الخلال وجميل الخصال وجزيل الفضائل ووافر المحامد، حتى تشرئب نفوسهم إلى تقليدها والإضافة إليها إن أمكن، قال الشاعر:

وخير الناس ذو حسب تليد أقام لنفسه حسبا جديدا[1]

---

[1] **البيت من قصيدة لمعروف الرصافي.**

وحتى تتوق نفوسهم إلى تقفي آثار ماضيهم المجيد، فمهمتنا إذاً ذات بعدين: فأما أحدهما فهو المتعلق بحقوق ماضينا وسلفنا حتى نقوم بواجبنا نحوه فنعطيه حقه من العناية، وأما البعد الآخر فهو المتعلق بحقوق أبنائنا الذين هم أملنا ورواد مستقبلنا وهم حملة الراية من بعدنا، ونحن حلقة الوصل بينهم وبين ذلك الماضي المشرق، فلا بد أن ننير لهم الدرب ونريهم معالم الطريق الذي كان يسلكه آباؤنا وأجدادنا الأبرار الأخيار حتى يتصل الفصل بالأصل كما قال البدوي رحمه الله :

ذو أدب مورث عن حسب وأدب مكتسب من كتب

والشيء لا ينبت دون أصل والأصل لا يثمر دون فعل

ونعود الآن قليلا إلى مشروعية تمجيد السلف الصالح والتحدث عن مآثرهم وذكر مناقبهم ما لم يكن ذلك على الطريقة الجاهلية، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفانى من بنى هاشم }[1] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنا لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في النتن، فانطلقت المرأة فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء يُعرف في وجهه الغضب، فقال: {ما بال أقوال تبلغني عن أقوام؟ إن الله عز وجل خلق السماوات سبعا فاختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدام العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم،

---

[1] صحيح مسلم، باب: فضل نسب النبى -صلى الله عليه وسلم- وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

فأنا خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم}[1]، وفي بعض الآثار عنه صلى الله عليه وسلم في سياق آخر: {خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي ثم ولدتني أمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء}[2]، وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا: {لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة، صفتي محمدي لم تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما}[3].

هذا وقد ألف جم غفير من العلماء في تراجم وسير آبائهم وأشياخهم وأساتذتهم، لأن تعظيم الآباء والعلماء والأولياء والصالحين من تعظيم شعائر الله {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ}[4]، {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}[5]، وحمد الناس وشكرهم له أصل أصيل لقوله صلى الله عليه وسلم: {من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل}[6]

وقد كان من شأن الصحابة رضوان الله عليهم ثناء بعضهم على بعض ومدح خلفهم لسلفهم، ونذكر من ذلك مثالا واحدا للاختصار وهو تأبين علي كرم الله وجهه لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما حين وفاته، فقد أتاه وقبله وقال:(رحمك الله يا أبا بكر كنت أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم عمادا وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم إلى الإسلام وأحناهم عليه وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في الدلائل، بروايات متقاربة.
[2] أخرجه الطبراني في الأوسط وابن قتيبة في غريب الحديث.
[3] جامع الآثار للدمشقي.
[4] الحج:30
[5] الحج:32
[6] سنن الترمذي ومسند أحمد.

وهديا وسمتا، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله خيرا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وأسماك الله في كتابه صديقا فقال: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، يريد محمدا ويريدك، وكنت -والله- للإسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا، لم تُفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك، كنت الجبل الذي لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله متواضعا في نفسك عظيما عند الله جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا لأحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ منه الحق والضعيف عندك قوي حتى تأخذ له الحق، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك)[1]

ويلاحظ القارئ لهذه الخطبة العظيمة بالإضافة إلى صدق عواطفها وبلاغتها طغيان صيغة "أَفْعَل التفضيل" في أولها.

وبناء على ما تقدم من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وعمل السلف الصالح فإني أوجه نداء حارا خالصا من أعماق قلبي وبارزا من خلجات نفسي إلى أبناء المرابطين عموما وأخص بالذكر أبناء تندغة وبالأخص أبناء حي الأربعين، أطلب منكم جميعا أيها الإخوة أن تبادروا إلى الكتابة عن تاريخ أجدادكم ونشر أمجادكم ولا تكلوا ذلك إلى غيركم ولا تتكلوا على أمجاد دولتكم العظيمة ووفرة محامدكم القديمة، فتقادم العهد والأزمان ينسي الفضائل والمحامد الحسان، والمتربصون بأهل الخير والكرم كثيرون والدعاة إلى النيل من القيم والمحامد موجودون، ولضعف نفوسهم عن اكتساب المعالي والارتقاء على الأعالي فهم يريدون دائما أن يحطوا وينزلوا

---

[1] **التبصرة لابن الجوزي، باب: فضل أبي بكر الصديق.**

أهل المكانة والفضل عن مقاماتهم السامية ومراتبهم الرفيعة حتى يتساوى الجميع، وقدما قال الشاعر :

إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا[1]

وحتى لا أخالفكم إلى ما أدعوكم إليه فإني ارتأيت أن أكتب بحثا متواضعا يكون مساهمة مني في هذا المشروع الضخم والمجهود العظيم، ولأن الكاتب الأمين الذي يتحرى الدقة ويطلب الحقيقة ينبغي بل يجب أن يكتب عن من يعرفهم أو من يعرف من يعرفهم؛ إذاً فليكتب كل منا عن القوم الذين يلونه ثم الذين يلونهم حتى نتلاقى جميعا ونقيل هناك ونشرب الشاي الشنقيطي الأصيل تحت تلك الظلال الوارفة ظلال دوحة المرابطين الحميريين نقولها بملء حناجرنا وننشد قول الشاعر :

عبد شمس جدي فإن كنت غضبى فاملئي وجهك الجميل خموشا[2]

وهكذا فإن بحثي سيتركز على شأن حي الأربعين جوادا ومحاولة إبراز مدى دلالة هذا الاسم على مسماه، قال الشاعر:

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحسان[3]

---

[1] من أبيات مشهورة، ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه وجدها في عدة مواضع منسوبة للقاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي، وهذه الأبيات هي:

متى يصل العطاشُ إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثن الأصاغرَ عن مراد وقد جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترفع الوضعاء يوما على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

[2] البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب.

[3] البيت لأبي بكر الخوارزمي.

ثانيا:

مقدمة حول ظاهرة الجود والكرم عند العرب والمسلمين

...والجود نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذموم

والمال صوف قرار يلعبون به على نقادته وافٍ ومجلوم

والحمد لا يُشترى إلا له ثمن مما تضن به النفوس معلوم ...

كلمات قالها علقمة بن عبدة التميمي قبل حوالي خمسة عشر قرنا فوعتها ذاكرة المجتمع الجاهلي وتذوقتها نفوسهم فأصبحت خالدة تالدة، فمن أين للجاهلي الأمي هذه الأخلاق النبيلة والشيم الحميدة؟!

إن القيم الإنسانية تولد مع الفطرة عموما وخاصة بالنسبة لظاهرة الجود والكرم والإيثار عند العرب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه القيم الفاضلة ستكون فيما بعدُ مهدا للإسلام الذي هو دين أخلاق وقيم قبل كل شيء أو قل إنها طَلٌّ ظهر أمام الوبل والفضل للوابل طبعا لا للطل[1]، ألا ترى أن الإسلام لما جاء أقر كثيرا من هذه القيم بل وحض عليها قرآنا وسنة كما سنبينه قريبا إن شاء الله، ولقد نوه العرب في جاهليتهم بهذه الأخلاق الشريفة ومجدوها وخلدوا لأجوادهم وكرمائهم ذكرا لا يبلى من أمثال حاتم الطائي الذي ضُرب به المثل فقيل: أكرم من حاتم الجود[2]، ومثل هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى[3]، ومثل كعب بن مامة الإيادي[4] وغيرهم كثير جدا، ثم جاء الإسلام بمُثله العليا

---

[1] إشارة للبيت: الطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل، ويُعزى هذا البيت لعاصم بن أبي النجود.

[2] يكفي حاتما شرفا أن النبي صلى الله عليه وسلم فك أسر ابنته "سفانة" وقال إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

[3] كان زهير يكثر من مدائح هرم، مثل قوله: تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله ومثل قوله: إن البخيل ملوم حيث كان ولـــكن الكريم على علاته هرم.

[4] كان جوادا معطاء وهو المعني بقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:
فما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا
قيل إن سبب موته أنه آثر رفيقه بقليل ماء عنده حتى مات عطشا.

وأخلاقه السامية وتعاليمه الداعية إلى تهذيب النفوس وجعلها تتسامى عن الإخلاد إلى أرض الشهوات والحرص والبخل بما في اليد والحوزة، ونبه على أن النفس حريصة بطبعها، قال تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ}[1] وقال: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[2] ولما حض على الجهاد ورغب فيه كان يُقرن الجهاد بالأنفس مع الجهاد بالنفائس لِمَا يعلم من لصوق الدنيا بنفوس البشر، ولكن الله يعرض على المسلمين أن يعقدوا معه صفقة رابحة: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...}[3] ويقول جل وعلا: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[4] ثم يواصل ترغيبه في الإنفاق فيقول: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[5] ، ونواصل الرحلة القرآنية في الحث على البذل والإنفاق قال الله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[6]، ولأن الخالق سبحانه يعلم ما يعد به الشيطان الإنسان في خلجات النفس نبه على ذلك فقال: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[7] ويتكفل المولى جل وعلا للمنفقين بالمضاعفة ويزيدهم ترغيبا في هذا الخلق الكريم :{ إِنَّ

---

[1] النساء:128
[2] الحشر:9
[3] التوبة:111
[4] البقرة:261
[5] البقرة:265
[6] البقرة:274
[7] البقرة:268

الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}[1] ويقول: {مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[2]

ويصرح القرآن ويؤكد هذا التعهد بقوله:{ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[3]

وهذا غيض من فيض فلا تكاد تمر على مقطع من القرآن إلا وجدت فيه إغراء بالبذل والإنفاق.

والآن مع التحذير من البخل والجمع والمنع إذ الأشياء تتميز بأضدادها، يقول الله جل وعلا: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا}[4] وقال:{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[5] وقال:{هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[6]، ومن أقوى وأشد الزواجر عن البخل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ

---

[1] الحديد:18
[2] البقرة:245
[3] سبأ:39
[4] النساء:37
[5] آل عمران:180
[6] محمد:38

هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}[1]، ولما كان حصر الآي القرآني في السخاء والشح إغراء وتحذيرا، تصريحا أوتلويحا، غير ممكن فلنتجاوز إلى ذكر نبذة يسيرة مما كان يتحلى به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الكرم والإيثار والعظمة الطبيعية دون تكلف ولا مجاهدة، لقد جمع الله في ذات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كل وصف حميد واختصر ذلك بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} فهو صلى الله عليه وسلم جامع لما تفرق في الأنبياء والمرسلين قبله وخاصة ما يتعلق بموضوعنا الذي هو الكرم والبذل والسخاء ولقد رأينا التعاليم القرآنية في الحث والحض على هذه الخصال الحميدة فلا بد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس حرصا على تطبيقها والتمسك بها مع ما هو مفطور عليه من ذلك قبل البعثة فكان محمدا وكان محمودا وكان أمينا، اسمع ما قالته السيدة أمنا خديجة رضي الله عنها عندما جاءها يرتعد من شدة الوحي يقول زملوني زملوني فقالت له: (كلا، والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)[2]، أجل لقد أدبه الحق سبحانه فأحسن تأديبه ورباه بالقرآن وتمثله حتى صار قرآنا يمشي بين الناس وكان خلقه القرآن[3] كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها، فكان رحيما وكان شجاعا وكان عالما وكان حكيما...الخ،الخ

أما عن كرمه وجوده فلا تسأل وحدث ولا حرج، فقد رسم صلى الله عليه وسلم أحسن صور البذل وأروع أمثلة السخاء في أكثر من مشهد وموقف، سخاء مطلق لا يعرف الغاية ولا الحدود، كرم لم يعرف الزمان مثله قط ولن

---

[1] التوبة:34-35

[2] البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي.

[3] مسلم، وفي بعض روايات الحديث: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

يعرف نظيره عوضُ، كرم نبوي غامر خارق لكل عادات البشر وأعراف أهل الدنيا إنه عطاء من لا يخشى الفقر[1] عطاء من لا تزن الدنيا عنده مثقال ذرة من خردل، عطاء من لا يجد واصفوه مثالا لجوده وكرمه إلا الريح المرسلة، فعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة[3]، وعن أنس رضي الله عنه: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها وما عليها[4]، وعن صفوان بن أمية رضي الله عنه قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي[5]، وعن جبير بن مطعم أنه بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقبلا من حنين عَلِقت الأعراب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه

---

[1] يذكر أهل السير أنه صلى الله عليه وسلم أعطى لرجل يوم حنين كثيرا من أموال الغنيمة فساق الرجل النَّعَم ورجع إلى أهله فقال لهم: جئتكم من عند أكرم الناس، إن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

[2] البخاري في الأدب المفرد.

[3] صحيح البخاري.

[4] صحيح مسلم: باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه.

[5] صحيح مسلم.

العضاه نَعَماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن تمر علي ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين[2]، وقد أعطى رسول الله العباس يوما ذهبا عَجز عن حمله وأعطى معوذ بن عفراء ملء كفيه حليا وذهبا[3]، وقد أُتي يوما بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد وكان أكثر مال أُتي به فما كان يرى أحدا إلا أعطاه وما قام رسول الله وثَم منه درهم[4]، وأهدت له امرأة شملة منسوجة فقالت يا رسول الله أكسوك هذه فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فرآها رجل عليه فقال يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها فقال نعم، فلما قام النبي لامه أصحابه فقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها ثم سألته إياها فقال إني أرجو بركتها وأرجو أن أُكفن فيها[5].

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أروع أمثلة الجود والكرم فقد أعطى لرجل ما بين جبلين غنما وأعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وغيرهم مالاً لا يكاد يُعقل[6].

ويرحم الله البدوي إذ يقول من نظم الغزوات لدى حديثه عن غزوة حنين :

أعطى عطايا شهدت بالكرم يومئذ له ولم تجمجم

---

[1] صحيح البخاري.
[2] صحيح البخاري.
[3] أخرجه الترمذي.
[4] البخاري والموطأ.
[5] صحيح البخاري.
[6] صحيح البخاري.

أعطى عطايا أخجلت دلح الديم إذ ملأت رحب الفضا من النعم
زهاء ألفي ناقة منها وما ملأ بين جبلين غنما
لرجل وبله ما لحلقه منها ومن رقيقه وورقه

وغير هذا وغيره مما لا يحيط به عد ولا حصر، فقد قال ابن رجب: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر.

هكذا كان الكرم المحمدي وهكذا كان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يملكه الله الدنيا وتسقط في يديه كل هذه الغنائم الكثيرة فلا يستبقي لنفسه ولا لأهل بيته منها شربة ماء ثم تأتيه فلذة كبده وريحانته الزهراء رضي الله عنها تسأله أن يهبها خادمة فلا يفعل[1]، وقد ورث هذا الخلقَ الحميد (أعني الكرم) عن رسول الله وعقله عنه أصحابُه وتابِعوهم بإحسان إلى يوم الدين، فإذا كان القرآن دستور المسلمين ودليلهم التربوي والأخلاقي وقد رأينا حضه وتشديده على قيم العطاء والبذل والإحسان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أستاذ ذلك النص وشارحه ومبينه قولا وفعلا وتقريرا وهذا شأنه مع الكرم والسخاء وتلك قصته مع البذل والعطاء فما أنت منتظر من قوم هم خريجو هذه المدرسة وطلاب ذلك الأستاذ، إنهم الصحابة رضوان الله عليهم والمؤمنون الصادقون من التابعين لهم بإحسان.

نعم الصحابة الذين كان يتنزل الوحي بين ظهرانيهم ويحضهم الخطاب القرآني على صبر النفس وتوطينها على البذل والعطاء والإيثار، الصحابة الذين كان القرآن يخاطبهم بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ

[1] صحيح البخاري.

فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ}[1] وقوله: {وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}[2]، {وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ}[3]، {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}[4]، {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[5]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ}[6]...الخ

الصحابة الذين كان يغمرهم التوجيه النبوي: {ما نقصت صدقة من مال}[7]، {ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا}[8]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: {أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان}[9]، وقد قدم أحد وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم فقال من سيدكم؟ قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه، قال: وأي داء أدوى من البخل[10]...الخ

---

[1] **البقرة:254**
[2] **الحديد:7**
[3] **التغابن:16**
[4] **سبأ:39**
[5] **الحديد:10**
[6] **المجادلة:12**
[7] **رواه مسلم من حديث أبي هريرة.**
[8] **متفق عليه.**
[9] **متفق عليه.**
[10] **البخاري في الأدب المفرد.**

هذا التوجيه النبوي الذي يجعل الكرم وحسن الضيافة ركنا من أركان الإيمان لا يتحقق إلا به وآية له وشاهدا عليه كما قال صلى الله عليه وسلم: {من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه}[1]، ويقول:{وإن لِزَوْرِكَ عليك حقا}[2]

ومِن حَضِّه لهم على الكرم أن سأل عائشة يوما عن شاة كانت ذُبحت مابقي منها؟ فقالت: مابقي منها إلا كتفها فقال صلى الله عليه وسلم: {بقي كلها إلا كتفها}[3]، وقد قال لزوجاته رضي الله عنهن: أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا، فكانت زينبَ بنت جحش وهي أكرمهن[4]، وقد أخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيل سفانة بنت حاتم الطائية لنسبتها من حاتم كريم العرب المشهور وقال: خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق[5].

لقد نفعت الذكرى وأثمر النصح وتغلغل التوجيه في الوجدان ونفذ إلى القلوب فتجسد في الأقوال والأفعال والسلوك والأحوال وكتبه التاريخ بذوب الذهب على طروسه المشرقة وصفحاته الخالدة .

لقد رسم الصحابة رضوان الله عليهم صورا بديعة في مجال التضحية والبذل والعطاء تلبية وانجذابا إلى الداعي وتباروا في ذلك المهيع السالك وضربوا فيه أروع أمثلة المنافسة والمسارعة، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر -إن سبقته يوما- فقال:

---

[1] متفق عليه.
[2] متفق عليه.
[3] سنن الترمذي.
[4] متفق عليه.
[5] البيهقي في دلائل النبوة.

فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا[1]، وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب ماله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} قام أبو طلحة فقال يا رسول الله إن الله يقول {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها حيث أراك الله فقال: بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أبو طلحة أفعل ذلك يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه[2].

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من الأعراب فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء؟ فقالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى

---

[1] أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
[2] صحيح البخاري.

السراج حتى تطفئيه، قال فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد عجب الله من صنيعكما لضيفكما الليلة[1].

وقد مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانَه فقيل له إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّين فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديا فنادى: من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعَشيّ لكثرة من زاره وعاده، وقال عطاء: ما رأيت مجلسا قط أكرم من مجلس ابن عباس؛ أكثر فقها وأعظم جفنة، إن أصحاب القرآن عنده وأصحاب النحو عنده وأصحاب الشعر وأصحاب الفقه يسألونه كلهم يصدرهم في واد واسع، وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه وقال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وكنا حجاجا وراح على جمل له قد أخذه بمال فلما أعجبته روحته وسرعة إناخته نزل عنه ثم قال: يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجللوه وأدخلوه في البدن، وقال حكيم بن حزام ما أصبحت صباحا قط فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعا فقضيتها إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحا لم أر بفنائي طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها، ولك عبرة في قصة سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف حين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهما فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله.

هذا ولم أحدثك عن قصص ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جهز جيش العسرة وتصدق بعير كاملة موسوقة برا وزيتا وزبيبا على فقراء

---

[1] صحيح مسلم.

المدينة في عام قحط، ولا عن عبد الرحمن بن عوف الذي كان رمز الكرم والإنفاق فقد وهب عيرا كاملة دون أن يستثني منها لنفسه شيئا.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده قد تركوا هذا الطريق سالكا فإن أبناءهم وتابعيهم من المؤمنين الصادقين والمخلصين قد تقفوا آثارهم وسلكوا طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، فقد كان عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما مثلا في الكرم والجود، قال المدائني: أول من فطّر جيرانه على طعامه في الإسلام عبيد الله بن عباس وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان إذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شيء، وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملأوا عليه داره فقال ما هذا فأُخبر الخبر فأمر بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقُدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وُضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه أوموجود لنا هذا كل يوم؟ قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء كل يوم، وقد أتاه سائل يوما وهو لا يعرفه فقال له تصدق علي بشيء فإني نُبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر إليه، فقال له أين أنا من عبيد الله فقال أين أنت منه في الحسب أم في الكرم فقال فيهما جميعا فقال أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله فإذا شئت فعلت وإذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق نفقته فقال له السائل إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وإن كنت إياه فأنت اليوم خير منك أمس فأعطاه ألفا أخرى فقال له السائل هذه هزة كريم حسيب، وكان سعيد بن المسيب إمام التابعين يجعل على ظهره إهاب الشاة وكان له مال يتجر فيه ويقول اللهم إنك تعلم أني لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها وإنما أريد

أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم وأصل منه رحمي وأؤدي منه الحقوق التي فيه وأعود منه على الأرملة واليتيم والجار، وقد كان طلق بن حبيب العنزي لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به وإن لم يجد إلا بصلا، وقال حماد بن أبي حنيفة لم يكن بالكوفة أسخى على طعام ومال من حماد بن أبي سليمان ومن بعده خلف بن حوشب .

وكان مورق يتجر فيصيب المال فلا يأتي عليه جمعة وعنده منها شيء وكان يأتي الأخ فيعطيه الأربعمائة والخمسمائة ويقول ضعها لنا عندك ثم يلقاه بعدُ فيقول شأنك بها، وقال عبد الله بن وسيم الجمال أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا فأمر بالموائد فنُصبت ثم قال لا حتى تصيبوا من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم قال فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم نفقة لعياله، وكان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب يقول إن كانت السفن لتجري في جوده، وقال عمرو بن دينار ما رأيت أنص للحديث من الزهري ولا أهون من الدينار والدرهم عنده وما الدرهم والدينار عند الزهري إلا بمنزلة البعر، وقال الليث كان الزهري أسخى ما رأيت يعطي كل من جاء يسأله حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف وكان يطعم الناس الثريد ويسقيهم العسل وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شرابهم ويقول اسقونا وحدثونا، وقضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم وعتب عليه رجاء بن حيوة في الإسراف وكان يستدين فقال لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك فوعده الزهري أن يقصر فمر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل فوقف به رجاءُ وقال يا أبا بكر ما هذا الذي فارقتنا عليه فقال له الزهري انزل فإن السخي لا تؤدبه التجارب، وفيه يقول قائد بن أخرم:

وإذا يقال من الجواد بماله قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المدائن يعرفون مكانه وربيع ناديه على الأعـــراب

يشري وفاء جفانه ويمدها بكسور إنتـاج وفتـق لبـاب

وقد كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتَون بالليل، وقد كان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس يعطي الجزيل ويستقله وقد تصدق مرة بألفي ألف وأعطى رجلا ستين ألفا وأعطى رجلا مرة أربعة آلاف، وقيل إن رجلا جلب مرة سكرا إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيّمَه أن يشتريه ويهديه للناس، ودخل عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج وكم ختمت بخاتمك هذا قال: على أربعين ألف دينار قال ففيم أنفقتها قال: في اصطناع المعروف ورد الملهوف والمكافأة بالصنائع وتزويج العقائل، وقيل إنه أُهدى إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه خذهما لك ثم فكر وقال: إن إيثار بعض الجلساء على بعض لَشُحٌّ قبيح ودناءة رديئة، ثم قال: يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفا ووصيفة، فأُحصي ذلك فكانوا ثمانين وصيفا ووصيفة .

وقال محمد بن صبيح: لما قدم أبو الزناد الكوفة على الصدقات كلم رجل حماد بن أبي سليمان في رجل يكلم له أبا الزناد يستعين في بعض أعماله فقال حماد: كم يأمل صاحبك من أبي الزناد أن يصيب معه قال: ألف درهم قال: فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم ولا يبذل وجهي إليه، وكلمه آخر في ابنه أن يحوله من كتاب إلى كتاب فقال للذي يكلمه إنما نعطي المعلم ثلاثين كل شهر وقد أجريناها لصاحبك مائة، دع الغلام مكانه.

ومن مأثور المسلمين العرب قول الشاعر :

تستربالسخا عن كل عيب فإن العيب يُذهبه السخاء[1]

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

المال يغشى رجـــالا لا خـلاق لهم كالغيث يغشى أصول الدندن البالي

أصون عرضـــي بمالي لا أدنســـــه لا بارك اللـه بعد العـرض في المـــال

أحتال للمـــال إن أودى فأصلـحه ولست للعـــرض إن أودى بمحتـــال

وقال عبدالله بن جعفر: إن الله عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني.

ومن أقوالهم في ذلك: منع الجود سوء ظن بالمعبود.

وقال الشاعر:

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبـــلة فليس ينقصها التبذيروالسرف

وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وقال عبدالله بن عباس: سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء.

وفي الحديث: صنائع المعروف تقي مصارع السوء[2].

ومن أقوالهم: أحيِ معروفك بإماتة ذكره وعظمه بالتصغير له.

---

[1] يُنسب هذا البيت للإمام الشافعي رضي الله عنه.

[2] المعجمان: الكبير والأوسط، للطبراني.

وقالوا: للمعروف ثلاث خصال: تعجيله وستره وتيسيره، فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط شكره.

قال عمرو بن الأطنابة الخزرجي يمدح قومه:

إني من القوم الذين إذا انتدوا ... بدأوا بحق الله ثم النائل
المانعين من الخنا جاراتهم ... والحاشدين على طعام النازل
والخالطين فقيرهم بغنيهم ... والباذلين طعامهم للسائل
والقائلين فلا يُعاب كلامهم ... يوم المقامة بالقضاء الفاصل

وقال بعض الشعراء في مدح آل المهلب:

آل المهلب قوم خُولوا شرفا ... ما ناله عربي لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم ... بما احتكمت من الدنيا لما حادا
إن المكارم أرواح يكون لها ... آل المهلب دون الناس أجسادا

وقال محمد بن عبدالله بن مسلم في يزيد بن حاتم:

وإذا تُباع كريمة أو تُشترى ... فسواك بائعها وأنت المشتري
وإذا توعرت المسالك لم يكن ... منها السبيل إلى نداك بأوعر
وإذا صنعت صنيعة أتممتها ... بيدين ليس نداهما بمكدر

وقال آخر:

سأقدح من قدري نصيبا لجارتي ... وإن كان ما فيها كفافا على أهل
إذا أنت لم تشرك رفيقك بالذي ... يكون قليلا لم تشاركه في الفضل

وفي الدولة العباسية ضُرب المثل بالبرامكة وخاصة أبناء يحيى بن خالد وهم الفضل وجعفر ومحمد، وقال بعضهم: إن أحمد بن أبي دؤاد كان أسخى منهم جميعا.

ونختم حديثنا عن الكرم بهذه القصة: ذكر بهاء الدين الأشبيهيني صاحب المستطرف في كل فن مستظرف عن الهيثم بن عدي قال: تمارى ثلاثة نفر في الأجواد فقال أحدهم أسخى الناس في زمننا هذا عبدالله بن جعفر، وقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة، وقال ثالثهم بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسي، فقال لهم رجل آخر: لقد أفرطتم في الكلام، ليذهب كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر بِمَ يعود فنحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله بن جعفر فوافاه قد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل منقطع به، فأخرج رجله من الركاب وقال له ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما عليها وكان فيه مطارف خز وسلاح وأربعة آلاف دينار، ومضى صاحب قيس إليه فوجده نائما فقالت جاريته ما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل منقطع به قالت هذا أهون من أن نوقظ قيسا، خذ هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها وامض إلى معاطن الإبل فخذ راحلة وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فلما انتبه قيس أخبرته الجارية بما فعلت فأعتقها، وقيل في مثل هذا:

وإذا ما اختبرت ود صديق فاختبر وده من الأقران

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله إلى الصلاة فقال له يا عرابة ابن سبيل منقطع به فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال: أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء ولا تركت له الحقوق مالا وكان معه عبدان يقودانه فأعطاهما له فقال الرجل ما كنت بالذي يسلبك عبديك قال

خذهما وإلا فهما حران في سبيل الله فأخذهما ومضى، فلما اجتمعوا حكموا لعرابة لأنه أعطى على جَهد، وفي عرابة هذا يقول أحد الشعراء:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات وضاح الجبين

إذا ما راية رُفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقال أحدهم في خالد بن يزيد:

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأنبتَّ ريشا في الجناحين بعدما تطاير مني الريش أوكاد يذهب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى حليف الندى ما للندى عنك مذهب

وبعدُ؛ فهكذا تمثل سلف الأمة هذه القيم الفاضلة والأخلاق العظيمة وضربوا فيها أمثلة رائعة وورَّثوها أبناءهم وحفدتهم من بعدهم وجعلوها سنة باقية في عقبهم جيلا بعد جيل، فنحمد الله على أن جعل نصيبنا -حلةَ الأربعين- من هذا الإرث كبيرا وافرا كما سترى أيها القارئ الكريم وليس من رأى كمن سمع.

ثالثا:

وقفة عند محطة

لمتونة

في طريقنا إلى الحديث عن الحلة؛ حلة أربعين جوادا وما يتعلق بها نريد أن نمر ولو مرا كريما على دوحتنا العظيمة وقلعتنا المنيعة ذات الأمجاد الرفيعة والمكارم البديعة ونعني بها ذلك الفجر الطالع والنور الساطع الممتد الذي امتطى صهوات التاريخ العربي الإسلامي في الآفاق والأقطار المغاربية ألا وهو الدولة اللمتونية الصنهاجية الحميرية التي خلد الشعراء والعلماء والمؤرخون أمجادها الناصعة وفضائلها الكريمة في قصائدهم وكتبهم، يقول أبو محمد بن حامد الكاتب في تسميتهم بالملثمين والتنويه بعلو مراتبهم ورفعة شأنهم الأبيات الشهيرة:

قوم لهم شرف العلى من حمير وإذا انتموا لمتونة فهم هم

لما حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا[1]

والبيتان على اختصارهما قد جمعا أهم خصال الأحساب والثوابت من الأنساب.

ويقول محمد امبارك اللمتوني في منظومته التاريخية الشهيرة :

والدولة العجيبة الغربيه بقية التبابع العشريه

---

[1] من التفسيرات التي قيلت في سبب تسمية قبائل لمتونة بالملثمين تفسير له علاقة بالبئة الصحراوية ذات الحر والقر، فإنهم اتخذوا اللثام توقيا للحر صيفا وللقر شتاء، وكان أسلافهم الحميريون يفعلون مثل ذلك من قبل، وقيل إنهم كان لهم أعداء يُغِيرون على ممتلكاتهم إذا غابوا وتبقى النساء في البيوت لا يستطعن المقاومة فأشار أحد الحكماء على رجال لمتونة أن يتنقبوا مثل النساء ويبقوا في البيوت ويخرجوا النساء في زي الرجال فإذا جاء الأعداء حملوا عليهم ومالوا عليهم ميلة واحدة فأبادوهم وانتصروا عليهم انتصارا شديدا فأصبحوا يتبركون ويتيامنون باللثام وقيل غير ذلك والله أعلم.
وعلى كل حال فإن اللثام من الحياء ويعد شيمة حميدة وعادة نبيلة، قال أبو الطيب المتنبي من قصيدة يودع فيها محمدا بن العميد:

يبدل أيامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكرن في النحس والسعد
وأوجه فتيان حياءً تلثموا عليهن لا خوفا من الحر والبرد
وليس حياء الوجه في الذيب شيمة ولكنه من شيمة الأسد الورد
إذا لم تجزهم دار قوم مودة أجاز القنا والخوف خير من الود

عنصـــرة المجـــد وهامـــة العـــرب شـجرة الحسـب طينـة النسـب
جرثومـــة العـــرب أول الـــزمن وأمراؤهـــا وأســـناها ســـنن
هـــم التبـــابع هـــم المنـــاذره لمتونـــة أرفـــع نســـل حميـــره
فمـــن ملـــوكهم أســـامة الأغـــر ومـــنهم دحيـــة جـــاكن الأبـــر
ومـــنهم جويـــل مـــن قـــد دوخـــا أوريَّـــة الـــروم الشـــهير بالسـخا
ومـــــنهم فيصـــــل ذو البراعـــــة أخـــط مـــن قـــد خـــط باليراعـــة
ومـــــنهم ابنـــــه معـــــد أطـــــول ملـــوك لمتونـــة يـــدا وحنظـــل
ومـــــــنهم عـــــــامر الشـــــــهير وتاشـــــفين نجلـــــه الأميـــــر
ويوســـف العـــدل بـــن تاشـــفينا الحميـــري ثـــم مـــن لمتونـــا
وعـــم يوســـف أبـــو بكـــر فـــذي عشـــرة مـــن الملـــوك فخـــذ

إلى أن قال :

وحميـــر أبنـــاه جاكـــان الأبـــر ليـث ملـوك حميـر فيمـا غبـر
ومـــنهم أبـــج كـــذا وأمســـم ثـــم بنـــو أ چـــب وتنـــدغ هـــم
والعيشـيون نجـل أُدَيْـك الأشـج بَـنُ اعْـلِ تُنْـفَ لمتنـي ذو العـرج
ثمـــة لمتونـــة الـــذين يـــدعون باسـم العشـيرة الـذين يعرفـون
وهـــاؤمو شـــجرة الأقيـــال فـي حميـر ومعـدن الخصـال
لأجـــل ذا خُصـــوا بهـــذا الإســـم دون شـــعوب حميـــر والميســـم
وهـــو الـــذي حميـــر كانـــت أولا تضـــعه علـى مواشـــيها "فـــلا"
... الخ

قلت: وقد بقي على الشيخ محمد امبارك بعض قبائل لمتونة لم يذكرها مثل قبيلة إدوريش التي عدها لمرابط اباه ولد محمد الامين من قبائل لمتونة بقوله:

أَبْجَ وأَمْسَمْ أَلْفَغَ إِدَوْعِيُش كذاك تَنْدَغُ وَاجْبَ إِدَوْرِيشُ

فهؤلا لمتـــونة الصـحراء نسألـك الأمـن من البـــلاء

وقد أكد الشيخ محمد الإغاثة بن الشيخ هذه النسبة في كتابه قواطع البراهين على حميرية قادة المرابطين، كما أنه قد عد منهم قبيلة إِدَكُّودِ، ولمحمد امبارك العذر في عدم ذكره لهؤلاء ربما لكونه لم تصله الرواية الصحيحة بنسبهما آنذاك.

وإضافة لهذه القبائل المعروفة فإن هناك قبائل أخرى قد صحت نسبتها للمتونة ولم تكن مشهورة بذلك نتيجة لبعض العوامل السياسية أو الجغرافية أو الاجتماعية[1].

ولو تتبعنا أسماء وحقائق هذه القبائل المنتمية للمجموعة الصنهاجية - أو اليمنية عموما - بالعرق أو بالحلف لم يبق من مجتمع البيظان من المجموعات الكبيرة في الأساس إلا مجموعة الشرفاء الهاشميين على اختلافها والقرشيين عموما، أو مجموعة المغافرة أو الحسانيين التي يذهب بعض المؤرخين إلى أنها هي الأخرى من القبائل اليمنية القحطانية[2]، والكل عرب أقحاح من المحيط إلى تيندوف إلى أزواد إلى ضفة النهر، ولكن التعلم يصدق ذلك أو يكذبه.

ونعود الآن قليلا إلى الوراء لنذكر آباء وأجداد هذه الدولة العظيمة كما هو موصول مشجر في قواطع البراهين لمؤلفه الشيخ محمد الإغاثة بن الشيخ: فأمتن أو لمتونة بن ألوذ بن غالب بن النعمان بن تبع بن مالك بن حمير بن سكسك بن صنهاجة بن المثنى بن المسور بن يحصب بن ذي يزن بن زيد بن الغوث بن سعد

---

[1] انظر كتاب تاريخ قبائل البيظان للشيخ موسى كمرا، تحقيق: د.حماه الله ولد السالم، ص50 وما بعدها.

[2] انظر المصدر السابق، ص106

ابن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة(حمير الأصغر) بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع ابن عمر بن حمير(العرفج) بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن سلاسل الأنساب قد يكون فيها بعض الفروق طولا وقصرا، وذلك لأن الرجل قد يُدعى باسمه أو لقبه أو كنيته أو يُنسب لجده كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، وكما في قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

عبد شمس أبي وإن كنت غضبى فاملئي وجهك المليح خموشا

والأمثلة في تعريف الرجل باسم جده كثيرة جدا خاصة في باب "ابن" مثل ابن مالك وهو محمد بن عبد الله بن مالك، ومثل ابن حجر فهو أحمد بن علي بن محمد ابن علي بن محمود بن حجر، ومثل ابن حنبل فهو أحمد بن محمد بن حنبل، والأمثلة في الأعلام الموريتانية كثيرة جدا.

وفي معرض إثبات حميرية لمتونة كتب العلامة المفتي الإمام بداه بن البوصيري في كتابه الفلك المشحونة في حميرية لمتونة ما يلي: (فصل، وقد سأل السيد محمد الأمين بن بابان أخاه السيد الأستاذ المؤرخ الكبير المشارك في علوم الشريعة المختار بن حامدن بما نصه: ما أدت إليه أبحاثكم المصيبة والتي عانيتم فيها عشرات السنين التجولات والمطالعات وغير ذلك من التعرف على أنساب قطر شنقيط وبالأخص ما قولكم في لمتونة وكتامة وصنهاجة؟ فأجاب الأستاذ المختار بن حامد: الحمد لله، ليس عندي إلا ما قرأت في كتب العلماء والعدول من علماء المسلمين كالطبري والمسعودي والسهيلي والجرجاني وصاحب القاموس وصاحب الحلل الموشية وزهاء عشرين من المؤرخين الذين نُقل عنهم التاريخ العام وهو أن

صنهاجة وكتامة قبيلتان من حمير دخلوا بلاد البربر وتكلموا بلغتهم وولد بعضهم من بنات البربر، أما نظرية ابن خلدون التي بنى عليها الغربيون بربرية صنهاجة فلا أحسبها أقوى من خبر أولئك الأجلاء لاسيما وهي مبنية على استبعاد مرور اليمنيين من فوق ملوك الروم والقبط وهو غير مستبعَد ولا مستحيل عقلا ولا عادة؛ فهؤلاء الإنكليز وهم في أقصى المغرب استعمروا أندنوسيا وهي في أقصى المشرق، واختصارا فإن الذي كتبت في تاريخي ما رويته عن العدول المذكورين مما تثبت به الحقوق شرعا، ولست أنفي عروبة أي إنسان ينتمي إلى العرب لاسيما وهو يتكلم العربية ويحوز الانتساب إلى العرب - معاذ الله - ومن ظلمني وادعى علي ما لم أقل فالله حسيبه والسلام. المختار بن حامدن).

قال الإمام بداه متعقبا بعض ما كتبه المختار: ثم إن قوله "فلا أحسبها أقوى من خبر أولئك الأجلاء" صوابه عندي: فلا عبرة بها في جنب النقل المتواتر والنظر الصحيح... إلى آخر كلامه.

قلت: قد يقول المعارض لعروبة لمتونة حقيقة يريد بها شيئا آخر فيقول مثلا: إن التاريخ ليس فيه شيء محقق، وربما تمثل بقول الشاعر:

نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا فكيف بأمر الغابرين نصدق

أو كما قال محمد فال بن عينينه الحسني متهكما على بعض المؤرخين:

يا من حوى علم ما في الكتب أجمعه وصار يطلب ما لم تحوه الكتب

إلى قوله:

والحق أن الورى في القطر أجمعه أنسابهم ذهبت إذ أهلها ذهبوا

لم يبق إلا روايات يقلدها بعض وبعض لذا التقليد يجتنب

يريد المعارض بمثل هذا المنطق أن تتساوى الأدلة ليضعف حجة الإثبات قياسا على ضعف وتهافت حجة النفي، لكن الحق يبقى حقا رغم إنكار المنكرين وجحود المعاندين، فالشمس شمس وإن لم يبصر ضوءَها الضرير، والعسل حلو ولو ظن السقيم أنه مرير.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

والحق الثابت الذي لا يمكن إنكاره هو أن عروبة صنهاجة وفروعها بلغت حد التواتر الشرعي والعلمي، فلا مقارنة بينها وبين بعض أقوال ابن خلدون الحاقد على العرب عموما وعلى لمتونة خصوصا، فكأنه هو ومن معه في عدم صدقهم وقلة إنصافهم معنيون بقول الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا إنه لدميم

ولنستمع الآن أيها القارئ الكريم إلى رأي أحد الكتاب المنصفين الذين يحترمون أنفسهم ويثبتون الحقيقة التاريخية كما نقلوها عن الثقات؛ يقول الدكتور الخليل النحوي في كتابه الممتاز المنارة والرباط: (لم يُقَدِّر مجتمعٌ الثقافةَ في ظل الدولة وفي غيابها كما كان الشناقطة يقدرونها فلقد كان العلم لهم وطنا ونسبا وحسبا فبالعلم -لا بالعرق ولا السلالة- تبلورت بنية المجتمع الشنقيطي وانتسجت خيوطه، فشعر الهاشميون والأميون والصنهاجيون والفوتيون - وقد أخذوا الكتاب بقوة وأووا من المعرفة إلى ركن شديد - أنهم وإن كانوا أولاد أخياف، ذرية بعضها من بعض تؤلف بينها أم حنون.

لقد حسمت الثقافة العربية الإسلامية في بلاد شنقيط خلاف المؤرخين والنسابة في أصول صنهاجة فأعلن القوم وهم يحتضنون اللغة العربية تعليما وتعلما

وتأليفا وشعرا منسلخين مما عداها أنهم عرب أقحاح "وقطعت جهيزة قول كل خطيب")

إلى أن قال: (وما نُسبت بلاد شنقيط إلى هؤلاء الملثمين إلا لأنهم كانوا في قرون الإسلام الأولى سكانها الغالبين عددا ونفوذا فكانت قبائل صنهاجة الثلاثة لمتونة ومسوفة وأكدالة تنتشر في أركان البلاد وفيها أقاموا دولة أنجبت بعد قرنين وزيادة دولة المرابطين، فقد أجمعت لمتونة وأكدالة ومسوفة على إقامة دولة إسلامية يتناوبون قيادتها واتخذوا من أو داغست عاصمة لهم وتعاقب على الملك ثلاثون ملكا من لمتونة قبل أن يصل الأمر إلى أبي بكر بن عمر، ومن أشهر هؤلاء الملوك تيلكاكين، وكانت له فتوحات وابنه تيلتان المتوفى 222هـ وكان معاصرا لعبد الرحمن الداخل...)، إلى أن قال: (وقد جزم بعروبة صنهاجة ابن سلام وابن الكلبي والزبير بن بكار والطبري والهمداني والجرجاني والسمعاني وابن الأثير والسلطان الأشرف عمر بن يوسف بن رسول وابن خلكان وابن جزي الكلبي وابن الخطيب والفيروز آبادي واليعقوبي وصاحب الحلل الموشية والرشاطي وعبد الغني الإشبيلي وعبد الحق المالكي). انتهى الاستشهاد.

قال العلامة الشيخ محمد الإغاثة في كتابه قواطع البراهين بعد أن ساق الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على حميرية صنهاجة وفروعها: (سؤال وجواب، وهنا سؤال يطرح نفسه أمام القارئ بعدما وقف على نيف وخمسين مادة تثبت حميرية المرابطين، ونص السؤال: ماذا يفيد خبر التواتر وما حده؟، الجواب: قال في مراقي السعود:

واقطع بصدق خبر التواتر ... وسوِّ بين مسلم وكافر

واللفظ والمعنى وذاك خبر ... من عادةً كذبهم منحظر

من غير معقول وأوجب العدد ... من غير تحديد على ما يُعتمد

وقيـــــل بالعشـــــرين أو بـــــأكثرا أو بثلاثـــــين أو اثنـــــي عشـــــرا
إلغـــــاء الأربعـــــة فيـــــه راجـــــح ومـــــا عليهـــــا زاد فهـــــو صـــــالح ..

إلى أن قال: ثم بعد هذه النقول المتواترة والأخبار المستفيضة عن أجلاء العلماء والمؤرخين ومن بينهم ابن خلدون نفسه، أراد ابن خلدون أن يخيل للسامع التشكيك في مَفادها بعباراته الجسيمة وألفاظه الغريبة فترجم قلمه ما في قلبه من إرادة قلب الحقائق ووضع نفسه في قفص الاتهام وفي التريث طويلا في الثقة به كمن حفر بئرا لأخيه فوقع فيها)[1]

ثم قال بعد كلام: (وإليك أيها القارئ الكريم معادلة تبرز نتيجة البحث في عالم الحس يضعها القارئ والباحث حيث شاء حسب اجتهاده إما في مقامات الهزل والأضاحيك وإما في مقامات الجد .

ضع أيها الباحث بعد أن تفتح بصرك وبصيرتك في كفة معيار الوزن المستقيم ما أثبته عدد يتجاوز نصف المائة، ما بين مجتهد مطلق ومفسر معتمد ومحدث حافظ وعالم مستبحر ومؤرخ محرر وشاعر مفلق وكاتب متحرر من الضغوط وشاهد مبرَّز وباحث منصف تواترت وتوالت أنقالهم - من القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا (1421هـ=2000م) ومن أقصى الشرق إلى أقصى المغرب ومن أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال - على حميرية صنهاجة وكتامة وفروعها مثل لمتونة وفروع فروعها مثل المرابطين وقد عد الكاتب المنصف الموريتاني الخليل النحوي في كتابه المنارة والرباط بعضهم فقال: "وقد جزم بعروبة صنهاجة ابن سلام وابن الكلبي والزبير بن بكار والطبري والهمداني والجرجاني والسمعاني وابن الأثير

[1] قواطع البراهين ص99.

والسلطان الأشرف عمر بن يوسف بن رسول وابن خلكان وابن جزي الكلبي وابن الخطيب والفيروز آبادي واليعقوبي وصاحب الحلل الموشية والرشاطي وعبد الغني الإشبيلي وعبد الحق المالكي"، ومع هؤلاء شهاب الدين النويري وعمدة المفسرين أبو عبدالله القرطبي وابن عذارى المراكشي وابن حازم في مقصورته والشريف الغرناطي في شرح مقصورة ابن حازم والإمام أحمد بن محمد الأشعري القرطبي في كتابه التعريف بالأنساب وهو عالم جليل ولاسيما في الأنساب ترجم له السيوطي وغيره، والإمام الفقيه عبد الرحمن السهيلي وجلال الدين السيوطي والحافظ الذهبي وعز الدين الجزري ونشوان بن سعيد اليمني وإمام اللغة والتاريخ ابن دريد وياقوت الحموي في معجم البلدان وخير الدين الزركلي في كتاب الأعلام ومحب الدين بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي في كتابه تاج العروس في شرح القاموس، فأولئك ثلاثة وثلاثون عالما .

ومن أعلام وأجلاء القطر الشنقيطي من لم يحصهم إلا من أحصى كل شيء عددا [إلى أن قال بعد سرده لأسماء طائفة كثيرة من العلماء والشعراء الموريتانيين القائلين جزما بعروبة صنهاجة وحميريتها] ثم ضع في كفة الميزان الأخرى على بربرية صنهاجة قُوَيْلة موضوعة كذبا وزورا، نسبها ابن حزم لإسحاق المطماطي البربري ويوسف الوراق البربري أيضا وتلقاها ابن بطوطة البربري في رحلته بالقبول وتلقفها ابن خلدون لأنه أعدى عدو للمتونيين)[1] إلى آخر ما قاله وهو في منتهى الجودة والإحكام .

وللتنويع والمزاوجة بين ذكر الأنساب والأحساب ودائما مع محمد الإغاثة حيث يقول متحدثا عن مآثر قبائل لمتونة: (واعلم أيضا أن جميع معاني وخصال الأمة

---

[1] **قواطع البراهين 106.**

المحمدية جمعها الله تعالى في هذه القبائل كالعلم والعمل الصالح والاستقامة والتقوى والورع والزهد والولاية وكالملك والإمارة والشهامة والشجاعة والإقدام والجود والنجدة والعزم والحزم وطبع التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل..الخ

وكأن ابن دريد رحمه الله يقصدهم بقوله:

هم الألى إن فاخروا قال العلى بفي امرئ فاخرهم عفر البرى

هم الألى أجروا ينابيع الندى هامية لمن عرى أو اعتفى)[1]..

اهـ الاستشهاد.

وفي معرض بيان تناقضات ابن خلدون قال العلامة المفتي الإمام بداه بن البوصيري في كتابه الفلك المشحونة في حميرية لمتونة ما يلي - نقلا من مقدمة ابن خلدون ص 134 من كون جوائز ذي يزن لا يقدر قدرها -، قائلا: (وإنما حمله على ذلك همة نفسه بما كان لقومه التبابعة من الملك والغلبة على الأمم في العراقين والهند والمغرب إلى آخر ما تقدم عنه من أن الصنهاجيين بإفريقية يعطون المال إجمالا والكساء تخوتا مملوءة والحملات جنائب عديدة، وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك أخبار كثيرة، وكما تقدم عنه من أن العرب عمروا اليمن والحجاز ونجدا وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة قائلا: كما ذكروه من مصر وصحاري برقة وتلولها وقسطنطينية وإفريقية وزاغا والمغرب الأقصى والسوس..)

إلى أن قال: (شعارهم لبس المخيط في الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤوسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق، وقوم

---

[1] قواطع البراهين.

يلفون منها الليت والأخدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب)، إلى أن قال: (إنهم بعد اختلاطهم بالعجم في كثير البلاد لتغلبهم على العجم قد كاثروا أمم الأرض بهذا العهد شرقا وغربا واعتزوا عليهم، قال فهم اليوم أكثر أهل العالم وأملك لأمرهم من جميع الأمم). اهـ

وفي الفلك المشحونة أيضا ما نصه: (فصل وفي فاتحة نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك للمؤرخ الشهير عبد العزيز الملزوزي بعد المقدمة وذكر كثير من الدول:

إن المرابطين هم من حمير ... قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكا في الزمان الأول ... وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت في كتاب النسب ... قولا به أعجز أهل الأدب
بأن صنهاجه أبوه حمير ... وهو أب لصلبه لا العنصر
أكرم به من عنصر صريح ... فقله لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ... ومجدهم وسعيهم مشكور
قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا ... في غربنا وبلغوا فيه المنى
أول من في الغرب منهم قد أقر ... هو أبو بكر الرضى نجل عمر
أقام في مغربنا أعواما ... وأمره وعزه استقاما
كانت له مع العدى حروب ... قد مسهم بحرها لغوب
وكان ذا زهد وعقل وورع ... متبعا للمصطفى وما شرع...)

انتهى الاستشهاد من كلام بداه.

وفي كتاب تاريخ قبائل البيظان للشيخ موسى كمرا: (قال الكلبي: اختلفوا في من أخرج البربر من الشام، فقيل داود بالوحي قيل: "يا داوود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض" وقيل يوشع بن نون عليه السلام وقيل إفريقش الحميري، قال ابن حزم: هو إفريقش بن صيفي أخو الحارث الرائش هو الذي ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية وبه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان، مر بها عندما غلبهم يوشع بن نون وقتلهم، فاحتمل الفلَّ منهم وساقهم إلى إفريقية وأنزلهم بها وقتل ملكها جرجيرا، ويقال إنه الذي سمى البربر بهذا الاسم لما فتح المغرب وسمع رطانتهم قال: ما أكثر بربرتهم، فسموا البربر، والبربرة في لغة العرب اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الأسد.

ولما قفل افريقش من غزو المغرب ترك هناك حامية من قبائل حمير: صنهاجة وكتامة، فهما بها إلى الآن وليسوا من نسب البربر، قاله: الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين من العرب)[1]. اهـ

هذا وإنني لم آت بقولة ابن حزم هذه أريد بها إثبات حميرية صنهاجة لأنها ثابتة أصلا من ثلاث نواحٍ أساسية وهي:

1- النقول الصحيحة المتواترة.
2- حيازة قبائل لمتونة لهذا النسب.
3- التشابه القوي بين قبائل لمتونة في موريتانيا وقبائل حمير في اليمن.

بل إنما جئت بها لصدورها ممن يرى خلاف إجماع النسابين العرب بل وينكر كل إجماع حتى الإجماع التاريخي الذي نقله هو نفسه، ثم بعد ذلك يعول على قولٍ واهٍ صادر من بربري مجهول اسمه وراق المطماطي.

---

[1] تاريخ قبائل البيظان للشيخ موسى كمرا، تحقيق: د. حماه الله ول السالم، ص78

وأنا بعد هذه الأنقال الصحيحة والأقوال الصريحة فإني أستحيي من جلب المزيد من الأدلة والحجج الدامغة على عروبة وحميرية وفضل صنهاجة وفروعها لأني إن فعلت ذلك سأكون ساعيا في تحصيل حاصل، أو أكون كمن يصيح على الناس في رابعة النهار قائلا: تعالوا هلموا أريكم الشمس، ويحضرني في هذا المعنى قول المتنبي :

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد رثى الشيخ أحمد باب بن محمد امبارك اللمتوني الدولة اللمتونية بقوله من قصيدة طويلة:

وأين رجال بعد لمتونه للهدى يذبون عنه حيث زلت به النعل
فأصبح منقوض الأساس وبعدهم تنهنه عن تشييده البعض والكل
ولم تنتبه من بعد لمتونه دولة ولم يك في بنيانه بعدهم ظل
أولئك لمتونه الألى قد سما بهم أساس الهدى إذ مسه الضعف والخبل
أولئك لمتونه المؤيد ذا الهدى بهم حيث عم الفسق في الناس والجهل
أولئك لمتونه المُنال بإثرهم بلاد لكم فيها المعاهد والسبل
أولئك لمتونه المدوَّن عزهم وعزتهم قدما لها أثر يعلو
أولئك لمتونه المؤصَّل فيهم شمائل منهن السياسة والعقل
أولئك لمتونه المنيع ذمارهم بأيد سجاياها الشجاعة والبذل
لهم دولة مأمونة قيل إنها عليها كتاب الله نص بما تعلو
بأي حديث أم بأية آية لقوم على قوم بغير التقى فضل
وأين لأهل الله نصر وراءهم ألا إن أهل الله من بعدهم ذلوا

ومن الجدير بالذكر أن سقوط دولة المرابطين في الشمال لم يكن ضربة لازب على لمتونة، فقد أقاموا في الصحراء دولة امتد حكمها نحو مئة سنة بقيادة أبناء وأبناء أبناء يوسف بن تاشفين ثم بعد ذلك أصبحت على شكل إمارات دام نفوذها حتى أواسط القرن التاسع الهجري ومن أهم تلك الإمارات إمارة ابدوگل اللمتونية من 700 إلى 840هـ.

يقول الدكتور حماه الله ولد السالم في تقديمه لكتاب موسى كمرا تاريخ قبائل البيظان: (لكن سقوط دولة المرابطين في الشمال منذ 541هـ أدى إلى رجوع السلطة إلى ذرية التاشفينيين من أمراء المرابطين الذين رجعوا إلى الصحراء عبر "أتوات" وغيرها من المنافذ وأسسوا كيانا مرابطيا محدودا لكنه قائم بذاته)... إلى أن يقول: (وكانت نتيجة هذه الهجرة قيام ملك مرابطي لمتوني جديد كالهجرة التي نفذها عبد الرحمن الملقب الداخل من الجزيرة إلى الأندلس حيث شاد ملكا جديدا لبني أمية)[1]

قلت: ومن بين تلك الإمارات اللمتونية في الشمال إمارة انجامرة التندغية بقيادة الشيخ انجمار التندغي المؤسس الرئيس لهذه الإمارة في منطقة تنجمارة وبهم سميت حتى الآن[2].

أما الآن فنشد الرحال مسرعين لنزور أوطاننا القديمة وربوع أجدادنا الأوائل في بلاد الخير والبركة والإيمان هنالك في اليمن، وخير ما نتحدث به عن تلك الديار الحبيبة جملة من الأحاديث الشريفة قالها من لا ينطق عن هوى "إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ":

---

[1] **تاريخ قبائل البيظان، ص49.**

[2] **المصدر السابق، ص38.**

1- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان ها هنا، ألا إن القسوة وغلظ القلب في الفدّادين عند أصول أذناب البقر حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومُضر)[1]

2- عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا وفي نجدنا، قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[2].

3- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر...)[3]

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية)[4]

5- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم: (أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدةً ، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية والفقه يمان،

---

[1] متفق عليه.
[2] صحيح البخاري.
[3] صحيح البخاري.
[4] متفق عليه، بروايات مختلفة.

رأس الكفر قِبَل المشرق)[1]

6- عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني لبعُقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم)[2]

7- عن جُبير بن مطعم عن أبيه قال : بينما كنا نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة إذ قال:(يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض)[3]

8- عن عياض الأشعري رضي الله عنه قال : لما نزل قوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هم قومك يا أبا موسى) وأشار بيده إليه[4]

9- عن سعيد قال : صدرت مع ابن عمر يوم الصدر، فمرت بنا رفقة يمانية رحالهم الأدم وخطم إبلهم الجرز، فقال عبد الله بن عمر (من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة وردت الحج العام برسول الله وأصحابه، فلينظر إلى هذه الرفقة)[5]

10- عن أبي ثور الفهمي قال : كنا عند رسول الله صلى الله علية وسلم يوماً فأُتي بثياب من المعافر [من اليمن] ، فقال أبو سفيان (لعن الله هذا الثوب ولعن

---

[1] متفق عليه، بروايات مختلفة.
[2] رواه مسلم.
[3] مسند أحمد.
[4] المستدرك على الصحيحين للحاكم.
[5] مسند أحمد.

من يعمله) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تلعنهم فإنهم مني وأنا منهم)[1]

11- عن عتبة بن عبد الله أنه قال : إن رجلاً قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم العن أهل اليمن فإنهم شديد بأسهم ، كثير عددهم ، حصينة حصونهم، فقال: (لا، لعن الله فارس والروم)، ثم قال: (إذا مروا بكم - يعني أهل اليمن- يسوقون نساءهم ويحملون أبناءهم على عواتقهم فهم مني وأنا منهم)[2]

12- عن عبد الله بن فيروز الديلمي [من اليمن] عن أبيه : أنهم أسلموا وكان في من أسلم، فبعثوا وفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ببيعتهم وإسلامهم فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم منهم فقالوا يا رسول الله نحن من قد عرفت وجئنا من حيث قد علمت وأسلمنا فمن ولينا؟ قال: {الله ورسوله} قالوا: حسبنا، رضينا[3]

13- بوّب الإمام البخاري في صحيحة (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل)، وبوّب الإمام مسلم في صحيحة (باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن فيه).

وأخيرا نختم هذا الفصل من البحث بقصة تبع -الصالح أو النبي على قول- وكتابه الذي أوصى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بألف عام، قال العلامة القاضي محمدن بن محمذن فال بن أحمدوفال في نظم التاريخ :

وتبع الأكبر أوصى بكتاب إلى النبي أنه من الصحاب
ولم تزل تحفظه لألف عام له فئام بعد ما مرت فئام

---

[1] أحمد والطبراني.
[2] رواه الطبراني في الكبير وأحمد في المنسد.
[3] مسند أحمد.

إلى أن قال :

مــن عــامر مــاء الســماء جــدهم لازده دوس هنـــــاك جمعهـــــم

كانــت ملــوك الأرض فـي الأعاربــة قبـــل النبـــي ولهـــم المرازبـــة

مثـــــــل التبابعـــــــة والأذواء مــن حميــروأهــل مــا الســماء

وبـــالنبي الفضـــل إلـــى عـــدنانا قــد صــار وانتقــل مــن قحطانــا

دانـــت لـــه ملـــوك كـــل أرض وكـــل مـــن خالفـــه فـــي الأرض

وهذه أبيات تبع التي ختم عليها كتابه المذكور وأوصى بإخفائه في دار مهاجره صلى الله عليه وسلم، ولما قدم الموكل بإعطائه له سأله عنه قبل أن يبرزه له وهي إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم، والأبيات التي في الكتاب هي :

شهدت على أحمــد أنـــه رسـول من الله بـارئ النسم

فلو مد عمــري إلى دهــره لكنت صديقا لـه وابـن عم

وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن قلبه كـل هم

...اهـ

رابعا:

وقفة عند محطة

تنذغة

في وقفتنا عند محطة تندغة نبدأ حديثنا بهذه الأبيات كبراعة استهلال وهي :

يـا مبتغـي الإسـعاف والمبتغـى	**أُمَّ لمـــا تطلبـــه تنـــدغا**
تنـدغ حـي مـن يـرم شـأوهم	**فـي المجـد لمـا يبلـغ المبلغـا**
نـادي علـوم الـدين نـاديهم	**والحلـم في السـلم وأسـد الـوغى**
تخـال -إن خاضـوه- أعـداءهم	**علـيهم سـقب السـما قـد رغـا**

أما الآن فنحن بصدد الحديث عن عمود نسب جدنا الأعلى: فهو عمر أو "انتنضغ" أو "تندغ" وهذا الأخير هو الذي اشتهر ومعناه ذو الجفنة العظيمة - وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى- وهو أعني تندغ بن تاشفين بن إبراهيم ابن ترجوت بن ورتنطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزالة بن أمية ابن أنمالي بن لمتونة الذي تقدم ذكره هو وآباؤه وأجداده.

أما الخوض في تفاصيل عشائر تندغة وأفخاذ الحلة فقد كفانيه -مشكورا- فضيلة الأخ الأستاذ محمد الحافظ ولد الدنبجة في كتابه الجيد "شفاء الغلة في أنساب الحلة"، وله أيضا فضل السبق علي في كُتيّبه: "النهج المبين" - والتصغير هنا للتعظيم - ومن قبله فضيلة الشيخ گلاه بن صلاح رحمه الله في كتابه "إتحاف المبتغى في أخبار تندغا" وعليه فإني لن أعرج على تلك النواحي من التاريخ التندغي وإنما أذكر جملا من التاريخ العام تتعلق بالأنساب والأحساب وذلك نقلا عن بعض الأجلاء والعلماء الذين يوثق بنقولهم[1].

---

[1] **وأبرز الكتب التي اعتمدت عليها واستفدت منها كثيرا أربعة: قواطع البراهين على حميرية قادة المرابطين للشيخ محمد الإغاثة ،والفلك المشحونة في حميرية لمتونة للإمام بداه بن البوصيري، وإتحاف المبتغى في أخبار تندغا للشيخ گلاه بن صلاح، وتاريخ قبائل البيظان للشيخ موسى كمرا.**

قال أستاذنا وشيخنا العلامة محمدن القاضي بن محمذ فال بن أحمدوفال في أحد أجوبته على أسئلة الشيخ هارون بن الشيخ سيديا :

(وقد غلط بعض الناس في نسب تندغة فقال إن أصلهم عجم لأنه يحسب صنهاجة من العجم وليس الأمر كذلك وهي -أي صنهاجة- صحيحة النسب لحمير المذكور في الحديث، وقد قلت في نظمي للأنساب :

ومن حديث في الشفا رواه ... عياض سقت هاهنا معناه

حمير رأس عرب ونابها ... همدان ذروة كذا غاربها

والأزد كاهل وجمجمتها ... مذحج هامة وغلصمتها

حمير ثم كندة بالكسر ... إن رمت ضبط هؤلاء الغر

والأزد بالفتح ووزن سكران ... همدان مذحج كمجلس وزّان

صنهاجة انسبها لحمير فقط ... ومن يظنها من العجم غلط

فلا ترى صنهاجة في العجم ... وظنها في العجم عين الوهم

ويقول أيضا في نفس المعنى ردا على هذه الشبهة الخطيرة :

للتندغين نسب عالي الرتب ... وربما غلط فيه من نسب

فتندغ نسبهم لحمير ... صح إلى صنهاجة المشتهر

أما الأقوال الأخرى في نسب تندغة مثل القول بأنهم من عقب سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أو أنهم من عقب سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهي نور على نور تزيد التندغيين كرامة ورفعة إلا أنها لم تصح ولم تثبت، والانتساب إلى غير الأب فيه وعيد شديد في قوله صلى الله عليه وسلم: {من ادعى إلى غير أبيه

وهو يعلم فالجنة عليه حرام}[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر}[2]، وعن إبراهيم التيمي عن علي بن أبي طالب قال: (من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)[3] ، وتلك الأقوال - حسب علمي - لا يوجد لها سند متصل وآباؤنا الأماجد لم يحوزوها.

أما القول بأنهم من أحفاد المرابطين فالسند التاريخي فيه متصل ومسلسل كما هو موضح في كتاب قواطع البراهين في حميرية قادة المرابطين لمؤلفه الشيخ محمد الإغاثة بن الشيخ جزاه الله خيرا وأطال عمره ولهذا كان علماء وأجلاء القبيلة يحوزون هذا النسب ويعولون عليه كثيرا.

قال العلامة الشهير والشاعر النحرير الشيخ محمد أحمد بن الرباني رحمه الله مفتخرا بعشيرته حي الأربعين وبعموم قبيلته تندغة وبعراقة أجدادهم وقادتهم في الفتوحات الإسلامية أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبعد ذلك أيام أبي بكر بن عمر اللمتوني : في القرن الخامس الهجري:

أما نحن حي الأربعين وقومنا ... بِزِيزَ إلى البحر المحيط إلى انْدَرا
وننمى لذي الغار العتيق وحسبنا ... بذاك نجاحا في الأنام ومفخرا
وإن نزل الأنساب منا لحمير ... فمن غير عدنان يقاوم حميرا
معاشر عز دوخوا الأرض شرقها ... كما دوخوا في غربها من تجبرا
أمدوا العتيق ذا الخلال بعسكر ... يجر لأهل الردة الغلب عسكرا

---

[1] متفق عليه.
[2] متفق عليه.
[3] رواه مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

على عسكر قيس وآخر منهم عليه السبنتا ذو الكلاع تأمرا
ومنا أبو بكر الأمير وجنده فتوحاتهم كانت من الشمس أظهرا
أباحوا حمى أرض السوادين عنوة فلم يتركوا دارا ولا من تديرا
بلاد أباحوها وأحيوا مواتها وألقوا رواسي العدل فيها لتُعمرا
بلاد بها أحياؤنا وثواؤنا ينيف على حاء المئين أو اكثرا
ونقش الحبارى في صفي صخورنا يلوح عليها كالنجوم أو ازهرا
وقد قال فينا ناصر الدين قولة وما الحق من قول الأكابر مفترى
بأن لنا قدما نفوسا أبية وسبق سعادات ونصرا مؤزرا

وحيازة تندغة لهذا النسب متواترة على ألسنة العلماء والشعراء فهذا العلامة القارئ الشاعر الأستاذ الدنبجة بن معاوية يقول من قصيدة له مطلعها:

إجراء مدمعي المصطان أولى لي لم يبق في الدور إلا رِمُّ أطلال

إلى قوله:

إنا قبائل لمتون تفرع من أذواء حمير أو أبناء أقيال
منا الرئيس وينمينا أبو بكر والشيخ سيدي منا وابن متالي

كما يصرح كذلك بحيازة هذا النسب اللمتوني الحميري العلامة الشيخ أبو شامة بن بوري في أكثر من نص شعري فيقول مثلا في إحدى قصائده:

يا أربعين جوادا طاب أن لكم مجد تقاصر عن علياه كيوان

إلى قوله:

صحت مكارمكم ما قيل عن هرم إذ جدكم ضمه من قبلُ غمدان

وفي نفس الموضوع من نص آخر للشيخ أبو شامة يمدح به الحلة يقول:

بني العز والعلياء والمجد والندى وغيظ العدا عند التحام الكتائب
إذا قيل من للعرف والمجد والعلى أجابوا سراعا لاحتمال النوائب
مكارم من عهد الرباط تتابعوا عليها فكانوا في الذرى والغوارب

ويقول شاعر شنقيط في عصرنا الحالي الأستاذ محمد الحافظ بن أحمدو من قصيدة يمدح بها أبناء عمومتنا الأماجد جماعة تجكانت:

من سرو حمير هذا العطر حيانا أمسى أعاد لنا البأوى وأحيانا
حتى تكاد تميد الأرض من طرب إذا أدرنا كؤوسا من حميانا
تلك الربوع التي كانت لنا وطنا من قبل مأرب تدري ما محيانا
من عهد تبع ما تنفك هجرتنا تغري بنا المجد أحيانا فأحيانا
حتى حططنا بصيجستان أرحلنا وفي صقلية نعلي بها الشانا

ويقول العلامة الأستاذ الدنبجة بن معاوية مرحبا بحاكم بوتلميت آنذاك السيد محمد الأمين بن السالم من جماعة تجكانت:

الحاكم العدل أهل الأرض يفدونه حكام مورتن قد قصروا دونه
إنا وإياكم لمتونه تجمعنا لمتونه أهل العلا لله لمتونه

وحفظ النسب أحد القواعد الستة المجمع عليها، قال أبو العباس بن عبد الله الجزائري الزواوي:

قد أجمع الأنبيا والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد بالملل

وحفظ نفس ومال معهما نسب وحفظ عقل وعرض غير مبتذل[1]

وغير بعيد من هذا قول صاحب القصيدة الأربعينية (إن بالقاع أربعا لنوار) وهو العالم الشاعر الصوفي موناك بن مبرك من قصيدة فخرية له:

إنـــا لـــنحن الأربعـــين وعنـــدنا تلفـى المكـارم والعلـى والمفخـر
فالشـيخ سـيديّ بـل أبـوه وجـده منـــا ومنـــا العـــامري ببكـــر[2]
ملـك الـبلاد لنـا فسـرنا نحـن في آثـــــاره وظلالـــــه نتبختـــــر

وهذا أمير الشعراء الشاعر بكل معاني "ال" الأستاذ محمد الحافظ الشيخ محمد أحمد يقول:

تفرعـت مـن لمتونـه أشـرف هضـبة إلـى حميـر أزهـو بهـا ثـم أفخـر
وعمـي الـذي مـراكش قـد بنـى بهـا أطومـا مـن العليـاء لا تتقهقـر

والأمثلة والشواهد في هذا كثيرة جدا شعرا ونثرا، فهذا عالم موريتانيا ومفتيها بدون منازع فضيلة الإمام بداه بن البوصيري رحمه الله يقول في مقدمة كتابه الفلك المشحونة في حميرية لمتونه ما نصه: (أما بعد فلما كثر القيل والقال في نسب لمتونة وقام مِن نسبتهم للبربر ما في لمتونة من الحزونة واستنت الفصلان حتى القرعى في أنساب لمتونة الميمونة أبرزت ما عندي من حجج كأنها كانت مكنونة رجاء أن يرجع المؤلفون في ذا المجال جميعا إلى الإنصاف معترفين بأنه لا

---

[1] مراقي السعود ج1،ص96.

[2] للقارئ الكريم أن يلاحظ كلمة "منا" الواردة عفويا في شعر هؤلاء العلماء الأجلاء: الشيخ محمد أحمد: ومنا أبو بكر الامير وجنده...، موناك بن مبرك: الشيخ سيدي بل أبوه وجده منا ومنا العامري ببكر، الأستاذ الدنبجة: منا الرئيس وينمينا أبو بكر والشيخ سيدي منا وابن متالي.

يوجد إلا في بعض الأشراف لأنه من أحسن ما يُتحلى به من جميل الأوصاف ويرحم الله القائل:

قد قلت إذ مدحوا الحياة وأسرفوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان عذابه بلقائه وفراق كل مُعاشر لا يُنصف

وقد أبرزت ما عندي اقتداء بالسلف الصالح من أجلاء العلماء المتقدمين والمتوسطين والمتأخرين فكلٌّ من هؤلاء ألف في الأنساب والتواريخ والله أسأل أن يسدد خطانا وخطى جميع المسلمين وأن يمسكنا عند الفساد بسنة سيد المرسلين آمين يا رب العالمين.

فأقول وبالله التوفيق: أبان الله لنا ولكم معالم التحقيق أن الناس مصدقون في أنسابهم ولو ادعوا الشرف حسب ما يأتي قريبا إن شاء الله تعالى على نقل شراح مختصر الشيخ خليل وغيرهم، وقال بعضهم ينبغي التقيد بغير دعوى الشرف إلا أن ذلك محمول على من ادعى الشرف وكان هو وآباؤه لا يُعرفون به بل بضده فهؤلاء لا يصدقون، فأي فائدة مع ذلك في الطعن في أنساب الناس بنسبتهم إلى ما لم يحوزوا لأنفسهم مع إمكان الحوز لما حازوا من النسب ولاسيما إن كان عليه الجل من النسابين وظهرت قرائنه زمانا بعد زمان وأحيانا بعد أحايين والجل كالكل ولاسيما إذا كان الجل متصفا بفضل الشهرة والأمانة في العلم والتاريخ والنسب وغير ذلك)اهـ

قلت: قد وُفق الأستاذ العلامة الدنبجة بن معاوية في تعليقه على ما جاء به صاحب الاستقصاء من قول ببربرية صنهاجة المزعومة بناء على أحد أقوال ابن خلدون المتناقضة، فكتب الدنبجة على حاشيته ما يلي: (وهذا التحقيق مخالف لما ذكره بن الأثير وغيره من الكتب المعتمدة من أن المعتمد حميرية صنهاجة وأن ما

اعتُمد فيه على ابن خلدون وهو رجل سياسي وأحسن ذلك ما قال بعضهم أن من يقول بالعجمية (البربرية) فمعناه عنده اللغة ومن يقول بالعربية فمعناه عنده الأصل والنسب، والحق أن العربي كل من تكلم بالعربية سجية إذ النبطيون قبل إسماعيل ليسوا عربا وتعربوا بعدُ) اهـ من مقدمة كتاب شفاء الغلة.

أما الشيخ گلاه بن صلاح فإنه ذكر في كتابه إتحاف المبتغى في أخبار تندغى تلك الأقوال الثلاثة في نسب تندغة وختمها بما نصه: (القول الثالث أنهم من أبناء حمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان وله شواهد كثيرة من أعظمها أن ملوك حمير كآل محمد شين وأولادهم وأولاد عمهم لا يسمعون في نصرتهم لومة لائم ويحمونهم كل يوم وليلة من الأعداء بجنودهم فكأنهم في تلك الحماية معنيون بقول النابغة:

سوى أسد يحمونها كل شارق بألفي كمي ذي سلاح ودارع

يحوزون أرماحا طوالا متونها بأيدي طوال عاريات الأشاجع

قعودا على آل الوجيه ولاحق يقيمون حولياتها بالمقارع

ومن شواهده أيضا كثرتهم بارك الله فيهم ولله الحمد في هذا القطر وتغلبهم فيه وأصالتهم لأن هذا القطر أول من فتحه وأدخل فيه الدين الإمام العدل أبو بكر ابن عمر الحميري اللمتوني في أول القرن الخامس الهجري فما زال يفتح الأقطار من صحراء لمتونة إلى أن وصل إلى شمامه وترك فيها بعض بنيه أبناء الجواري ثم شرق يفتح المدن فلما بلغ أم لعويتكات التي في تكانت قتله بعض السوادين الذين كانوا معه، قاله في الاستقصاء) إلى أن قال: (وعَمُّ هذا الملك تاشفين، فإنه أخو أبيه عمر وهو أبو الملك العادل يوسف أمير المسلمين لقبه به أمراء بني

العباس)، إلى أن قال: (وفيه يقول المجلسي صاحب الأنساب الذي لا يأخذ إلا من مشاهير الكتب:

وآل عبـاد ملـوك الأنـدلس من نسل ذي الطوق وغالها الندس

يوسـف العـدل بن تاشفينا الحـمـيري ثـم من لمـتونا

وملك خمسين سنة لم يُجْرَ مكس في ملكه من الأندلس إلى بلاد الذهب، ولمتونة واگدالة هما بطنا صنهاجة ويقال لهم المرابطون وفيهم يقول ابن الكاتب:

قوم لهم شرف العلا من حمير وإذا دعوا لمتـونة فهـم هم

لما حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

وصنهاجة هي ثلث البربر، وسبب كونها فيها أنها من ذرية الملك إفريقش تركها في البربر لما كان يطوف في البلاد وقيل إنها من ذرية تبع الذي جاء ذكره في كتاب الله تعالى فإنه طردته العرب – لدِينه - من الحرمين فأتى البربر وخلف فيهم أبناءه)، إلى أن قال: (فكثرة تندغة بارك الله فيهم في هذه البلاد ونخوتها فلا يساكنها في هذه البلاد إلا من هو تحتها، وأصالتها تدل على أنهم من أبناء عم هذا الملك وقال العالم الصالح المجمع على تبريزه محمذن بن أعمر الفودي:

يجرر من أذيال ضئضئ يعرب وعبد مناف كل ندب مهفهف

وكلامه هنا في قومه، وكلٌّ هو فاعل يجرر، والمعنى عنده أنهم من قحطان وأخوالهم من عدنان لانه يصرح بذلك في نثره يعني أنهم من خالص العرب وكفى به قدوة فهم من جراثيم النعمان بن المنذر وتبع والأذواء وجرهم القائل شاعرهم:

لاهم إن جرهـما عبـادكا الناس طـارف وهـم تلادكا

فالعاقل من لا يتقدم على تندغة ولا يغض منها لاسيما إذا كان عربها بالباب وليثها في غابته حديد الناب وقال:

لا تضع من عظيم قدروإن كنـ ـت مشارا إليك بالتقديم

فالكبير العظيم ينقص قدرا بالتعدي على الشريف الكريم

ومنها ـ أي شواهد القول بأنهم حميريون ـ حبهم لأهل الإيمان وعدم حسدهم على ما أعطاهم الله منه، لأن قحطان منها الذي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته[1] ومنهم الأنصار الذين آووا ونصروا قال تعالى: والذين آووا ونصروا.. الآية، ومنها القناعة لقوله صلى الله عليه وسلم في الأنصار: إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع، ومن شمائل تندغة الحسان أنهم لا يطلبون تولي المناصب الشرعية من السلاطين كالقضاء والتقديم على العشائر لأن ذلك ربما أوقع في النار والعياذ بالله لأن من تولى القضاء فقد ذُبح بغير سكين ولأن العريف في النار، وفي الحديث لابد من عريف ولكن العريف في النار)، إلى أن قال: (بخلاف من هو من غير تندغة فإنه يرى أن هذا من هبات الله ساقها له أو يُرِي الناس أنه يريد بها وجه الله وتفضحه شواهد الامتحان لأنه يقضي على الناس بما لا يقضي به على أقاربه وما هم بشر منهم إلى غير ذلك مما هو معلوم الآن عند كل أحد والعياذ بالله، وفي الحديث: أكثر منافقي أمتي قراؤها)، إلى أن قال: (فإذا تمهد هذا فاعلم أيها الولي الكامل والعالم العامل والسيد الفاضل[2] وفي مثلك يقول القائل:

---

[1] يشير إلى كتاب تبع الأكبر الذي أوصى به للنبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان به، وقد تقدم الحديث عنه في هذا الكتاب.

[2] يعني الشيخ أحمدو بمب السينيغالي.

تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يُثنى عليه يُعاب

فتندغ لما كانت من السابقين الناسَ إلى الدين - لاسيما في هذه البلاد كما يشهد له أن أهل القبلة اختصموا دهرا ماضيا في السبق إلى بيع "العلك" في قارب "انْجِيلْ" فتحاكموا على النابغة الغلاوي فحكم بعد تمام الموجبات بالسبق لتندغة وقال في حكمه:

واعلم بأن الأرض أرض تندغا ومن أراد سبقهم فقد بغى

وهذا بحضرة أعمر بن المختار -كانت أحقَّ بالتقديم من أهل الدين وفي الكتاب: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...} وقال: {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان}، وقال في مدح السابقين أيضا: {والذين تبوأوا الدار والإيمان...}

ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ليس منا من لم يهتم بأمر العشيرة[1]، وقوله: خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يكن إثما، وقول العرب: أبرق وأرعد لمن لا يعرفك لَمَا كتبت هذا ولاكتفيت بقول الشاعر:

أيئس من الله أن يعطيك خردلة أو غيرها دون ما المقسوم في الأزل
وايأس من الخلق في نفع وفي ضرر ذي كيمياء الجنيد الراسخ الجبل)

وقبل أن نغادر كتاب الشيخ گلاه أذكر أن العالم المؤرخ السيد هارون ابن الشيخ سيديا عزا له قوله أن أكثر العلماء والصلحاء في هذه الأرض من تندغة ومن أبناء بناتهم[2].

---

[1] هذا اللفظ لم نقف له على سند، ولعل معناه مأخوذ من الحديث الذي يليه.
[2] انظر كتاب تاريخ أهل اشفغ الدنبجة للأستاذ محمد الحافظ بن الدنبجة.

هذا وإني أستسمح القارئ الكريم في كوني أطلت به الرحلة مع كتاب الشيخ گلاه وذلك لأنه تحدث عن الأنساب والأحساب[1] معا وهو شيء جيد جدا.

أما الآن فإلى لون آخر من التنويه والإشادة بأدوار تندغة وتأثيرها في الوقائع التاريخية، يقول الثقة الثبت الوزير السابق الأستاذ محمذن بن باباه[2]: (تندغة من أقدم وأهم زوايا القبلة [و]اشتقاق الدلالة هو "اِنْ تُضْغَ" أي صاحب الجفنة قال بهذا بعضهم والبعض يقول إنها مشتقة من "وَرْتَنْطق" قبيلة يوسف بن تاشفين وابني عمه أبي بكر ويحيى، وتندغة فعلا تنتمي لبيوت الأنباط خلفاء زعامات المرابطين يعتزون إلى حد اليوم بنسبهم اللمتوني كما حافظوا على مقوماتهم الثقافية، ومن العجيب في تندغة خروجهم على قاعدة انتحال النسب العربي والشرف التي قل من حاد عنها من الزوايا يقول شاعرهم المصطفى بن أحمد مولود من إشگانن:

إنا تنادغ لم نبرح لنا الغلبه ... على الزوايا بعلم وافر الطلبة
العلم فينا وفينا المال أجمعه ... والعد والعدد المسمومة الذربه
أبناء أعمامنا فرسان ملحمة ... يدعون بالكندر المسود والدببه

احتضنت مجموعة تندغة في ما قبل شربه الكثير من القبائل مثل أولاد أبييري وإدابلحسن وتاشمش لرفع ظلم حسان عنهم بفضل وجاهتهم عندهم مثل ما كان من ظلم "لخليفي" وجوره بمساعي الصلح التندغي وقربوهم كما تقول الرواية

---

[1] قد عد الشيخ گلاه نحو المائة من مشاهير تندغة ما بين العلماء والأسخياء الأجواد والأولياء الأتقياء والزهاد الصلحاء والشعراء الأدباء..الخ
ومما قال فيهم: ومن عجيب أمر تندغة أنك تأتي الحلة منهم فلا تكاد تجد جاهلا أو بخيلا، أما غيرهم فبالعكس.
[2] أورد هذا الكلام في الهامش رقم 35 من تحقيقه لكتاب شيم الزوايا للعلامة محمد اليدالي.

الشعبية عندما أخرجوهم من الحظيرة التي حبس المجلس فيها خمسة وثلاثين عالما من تاشمش ضغطا عليهم من أجل إقحامهم في الحرب لصالحهم أو تحمل المغرم لهم فانحازت تاشمشه -أولاد ديمان منهم على الخصوص- إلى تندغة، يكفي دليلا على ذلك التقارب اعتمادهم ميسم تندغة المسمى الحبارى بالتصغير (ادْجَيْجَه) يقول الشاعر الشيخ محمد احمد بن الشيخ محمد عبد الرحمن الرباني:

ونقش الحبارى في صفي صخورنا يلوح عليها كالنجوم أو ازهرا

وكانت مجموعة تندغة لِمَا لها من مقومات سامية وسعة في المال ونفوذ سياسي واقتصادي تنزع إلى التوسع والهيمنة)...إلى أن قال: (ولا نجازف بالقول إذا لاحظنا أن بداية انحطاط دولة تندغة صادفت استفحال أمر تاشمشه وانطلاق نهضتهم الدينية والأخلاقية والعلمية كما أن انكسار شوكة تاشمشه بسبب هزيمتهم في حرب شربيه مهد الطريق لظهور استعلاء شأن بعض القبائل الزاوية في القبلة مثل إدوا الحاج الذين أصبحوا يُكوِّنون في بداية القرن الحادي عشر الهجري حسب المراجع الأوروبية القوة السياسية الثالثة بعد اترارزة ولبراكنة، ولعله أيضا من أسباب اضمحلال المجموعة التندغية انعكاسات السياسة الفرنسية التي ما فتئت تمنع قيام الأسواق الأوروبية على شواطئ المحيط حيث يتأصل التواجد التندغي منذ فجر التاريخ، وهذا العامل الاقتصادي له دوره الخطير في إفقار منطقة السواحل وإثراء النهر وزعامة الزوايا فيه لإدوا الحاج آنذاك، ولم يدم هذا الارتخاء الذي أصاب تندغة ولم يتناول كثافتهم الحضارية والبشرية بل اطرد نموهم وكثرة أعدادهم فتشعبوا إلى قبائل)... إلى أن قال: (وتندغة هم الأقدم في القبلة بدليل قول النابغة الغلاوي:

واعلم بأن الأرض أرض تندغا ومن أراد سبقهم فقد بغى)

ومن قصيدة للدكتور المختار ول آمّين ألقيت في مهرجان كرو 2016 يقول فيها:

يـا تنـدغ المجـد الأثيـل ومرجـع الـ ـعلم الأصـيل وحيـث قِـرن المبتغـي

إن يَبْـأَ شـاعركم[1] بـأن لكـم علـى كـل الزوايـا رقبـة لـم يمـرغ[2]

ظـاهرتم بـين السـماحة والنـدى وسـموتم عـن فعـل مـا لا ينبغـي[3]

ونختم هذا الفصل من البحث بالملاحظات التالية:

1- أن المقومات الثقافية لمجموعة تندغة والقيم المعنوية والاجتماعية والوفرة البشرية التي تتحدث عنها - وتبالغ فيها - المصادر والروايات الشفهية إلى درجة الأسطورة كزيادة أعدادهم على أعداد النمل كل ذلك تجاهله المستعمر وتجاهله الذين جاءوا بعده فلم يعطوا لتندغة العناية المناسبة لمكانتهم وقد مر بنا قول الأستاذ محمذن بن باباه أن الأريين عملوا على إفقار منطقة المحيط التي يتواجد فيها التندغيون بل إن المستعمر ترك توصيات من بينها أن لا يُترك أحد من قبائل لمتونة يصعد إلى رأس الحكم ربما لكونهم يتذكرون الهزائم الفادحة التي لحقت بهم في الأندلس على أيدي زعماء المرابطين وقادتهم.

2ـ أن جميع قبائل لمتونة الأساسية التي جمعها العلامة اباه بن محمد الأمين بقوله:

أبج وأمسم أشفـغ إدوعيش كذاك تندغ وا چب إدوريش

فهـؤلا لمتونـة الصحـراء نسألك الأمـن من البـلاء

---

[1] لعله يعني ب "شاعركم" قول الشاعر المصطفى بن أحمد مولود:
إنا تنادغ لم نبرح لنا الغلبه على الزوايا بعلم وافر الطلبة...الخ.
[2] أمرغ: أكثر من الكلام في غير الصواب.
[3] إشارة إلى قول العلامة لمرابط بن أحمدوفال: وقول ما لا ينبغي لا ينبغي لتندغ ولا لغير تندغ.

فهذه القبائل كلها تحوز هذا النسب الحميري حيازة الملك وتعتز به وتخلد أمجادها تأسيسا عليه، فمثلا يقول الشاعر محمد الكرامة بن مايابا الجكني من قصيدة له:

للتبع الصالح المعروف نسبتنا أو النبي لقول نخبة النخب
وذاك إن يُعتزى قحطان منبعه جد الملوك ذوي الأهوال والرعب
من جاكن المرتضى إليه موردنا من كان ينفق من غيب بلا نشب
والخصلتان اللتان لا يُرى لهما شكل برهط لنا تعد في الكتب
أولاهما قدم الإسلام مستطر لجدنا قبل ميلاد النبي العربي
بوفدنا أخبر المختار من مضر بأننا خير أهل الحَزن والحدب[1]

3- أن هذه القبائل هي التي كانت تجمع بين قوتي السيف والقلم لأنهم أبناء دولة المرابطين وكما قال المصطفى بن أحمد مولود التندغي:

العلم فينا وفينا المال أجمعه والعد والعدد المسمومة الذربه

4- أن هذه القبائل اللمتونية ظلت محافظة على كرامتها وشخصيتها المعنوية وبالتالي فإن التاريخ لم يسجل أن أيا منها قد تحمل المغارم لحسان كما كانت تتحمله بعض الزوايا الذين وضعوا السلاح عن عواتقهم.

5- أن اللغة أو اللهجة الحسانية التي تتكلم بها إمارة تكانت التقليدية اللمتونية أبناء عمنا إدوعيش هي نفسها التي يتكلم بها قبائل المغفر القادمين من الشمال مثل اترارزة ولبراكنة وغيرهم من الإمارات، وهذا يفند المقولة الزاعمة أن النهضة الأدبية واللغوية التي حدثت في بلاد شنقيط في القرون الثلاثة الماضية أنها

---

[1] يشير إلى جملة الأحاديث في فضل أهل اليمن الحميريين التي مرت بنا في آخر الفصل السابق من هذا البحث.

كانت بفضل استحواذ اللهجة الحسانية وانتشارها إذ لو كان الأمر كذلك لكانت إمارة تگانت التقليدية تتكلم لهجة أخرى غير الحسانية.

6- أن ما يقال عن فساد لغة المرابطين بسبب اختلاط صنهاجة بالبربر ليس على إطلاقه بدليل أن زعماء المرابطين كانوا يخطبون على المنابر بالعربية ويعلمون الوثنيين الإسلام بالعربية ويكتبون الشعر الفصيح الجيد في جميع الأغراض الشعرية التقليدية[1]، ولذلك انتشر الإسلام العربي على أيديهم بقرآنه وسنته في الأوساط الإسلامية والشعوب الإفريقية انتشارا لا ينكره إلا مكابر، إذاً فلم يبق لتلك المقولة أساس قوي يُعتمد عليه، وبالتالي فليس أمامنا إلا البحث لها عن منطلق آخر يفسر مصدر تلك النهضة الثقافية التي حصلت في بلاد المنارة والرباط، وحسب رأيي فإن المسوغ الذي لا يكلفنا عناء كبيرا إنما هو هذا الإسلام العربي الحضاري الإنساني الذي لمعت بروقه الأولية من بعيد على هذه البلاد في القرن الأول الهجري ثم أمطرت وأثمرت وتوطدت في القرن الخامس الهجري على أيدي أجدادنا المرابطين الميامين.

---

[1] انظر الصفحة 86 وما بعدها من كتاب قواطع البراهين على حميرية قادة المرابطين للشيخ محمد الإغاثة، فقد أورد فيه جملة من الأشعار الجيدة لأمرائهم وشعرائهم.

خامسا:

وقفة عند محطة الحلة

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما، ثم أنصتا أشنف مسامعكما بأحاديث أشهى وأحلى من أحاديث زيد عن الربع والحمى[1]، إنها أحاديث تجعلنا نعيش مآثر آبائنا ومحامد أجدادنا، وجزاهم الله خيرا على أن كانوا أكارم حقا وأماجد صدقا بحيث يمكن أن نمدحهم جدا ولا نقول إلا الحق.

نعم لما رست بي سفينة البحث أمام محطة الحلة عدت إلى أرشيف ذاكرتي المتواضعة أصلا والتي أصابها كثير من التشويش ففتشت ونقبت عن إحدى اللوحات الجميلة الناصعة وما أكثرهن في ثنايا تاريخنا العربي والإسلامي وذلك لتكون متناسبة أو متقاربة مع الصورة الكبيرة - ولا أقول المكبرة - التي رسمها سلفنا الصالح قديما وحديثا، ولم أطل البحث في الأرشيف حتى استوقفتني أبيات للشاعر المعروف زهير بن أبي سلمى يمدح بها سنان بن أبي حارثة وذويه، حيث قال:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا ... مُرَزَّأون بَهَالِيل إذا قُصدوا
مُحَسَّدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ما له حُسدوا

---

[1] إشارة إلى قول الشاعر العباسي بهاء الدين زهير :
يحدثني زيد عن الربع والحمى ... أحاديث يحلو ذكرها ويطيب
أيا زيد زدني من حديثك إنه ... حديث عجيب كله وغريب
ودعني أستمتع بعينيك نظرة ... فعهدهما بمن أحب قريب.

وأستسمح القارئ الكريم في الإطالة حيث أريد أن أزيده في نفس الموضوع مقطعا آخر من إحدى روائع زهير من لاميته (صحا القلب عن سلمى) حيث يقول:

لأرتحلن الفجر ثم لأدأبن ... إلى الليل إلا أن يعرجني طفل
إلى معشر لم يورث اللؤم جدهم ... أصاغرهم وكل فحل له نجل

إلى قوله:

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ... ونال كرامَ المال في الحجرة الأكل
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا نبت البقل
هنالك إن يُستخبَلوا[1] المال يُخبِلوا ... وإن يُسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا
وفيهم مقامات حسان وجوهها ... وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل
إذا جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... مجالس قد يُشفى بأحلامها الجهل
وإن قام فيهم حامل قال قاعد ... رشدت فلا غرم عليك ولاخذل
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم ... فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فإن يك من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطيَّ إلا وشيجه ... وتُغرس إلا في منابتها النخل

اهـ

وقد مرت بنا في المقدمة تلك النماذج الكثيرة الرائعة من الكرم والإيثار وسخاء النفوس، ونكتفي بهذا القدر ونعود الآن إلى الموضوع:

---

[1] استخبلت الدابة: لم تثبت في موطنها، واستخبلَني ناقةً فأخبلتها: استعارنيها فأعرتها، القاموس المحيط: مادة (خبل).

الحلة أو حي أربعين جوادا أو حي الأربعين التندغي أو تندغة الشرقيون؛ كلها مسميات تطلق على إحدى عشائر قبيلة تندغة التي هي إحدى قبائل لمتونة الصنهاجية الحميرية كما مر بنا.

وأبناء هذه العشيرة (الحلة) وأبناء أبنائهم هم الذين فعلوا تلك الفعلات الرائعة الخالدة التالدة والتي يمكن أن نطلق عليها اسم (الأخوات الأربع ونعني بها قصة الأربعين جوادا - قصة المات - قصة الزامل - قصة الجد).

إن وقفتنا هذه عند محطة الحلة بما أن عنوانها الأبرز هو "الدر الثمين في مآثر حي الأربعين" فسيكون لها طابع تفصيلي بعض الشيء.

إن هؤلاء القوم الذين نريد الحديث عنهم قد بنوا حياتهم الدينية والدنيوية على منظومة من القيم الحميدة والأخلاق النبيلة عودوا عليها نفوسهم ووطنوا عليها قلوبهم فانطبعت في سلوكهم المجتمعي دون تطبع أو تكلف، الشيء الذي جعلهم محط الرحال ووجهة الرجال وملتقى الآمال، يردون السؤال بالنوال ويتبعون المقال بالفعال، فاشتهر أمرهم بين الناس دانيها وقاصيها وخاصها وعامها، فأمهم الجاهل والجاني وابن السبيل والعاني والضعيف والواني؛ كلٌّ وما يريد ويطلب، فكانوا عند حسن ظن الجميع وكانت لهم في ذلك حكايات معروفة ونوادر مشهورة سجلها الشعر بنوعيه الفصيح والعامي وذلك رغم أن يد الضياع قد امتدت إليه فلم يوجد منه إلا القليل نسبيا ولكنه يكفي للتدليل على مكانة القوم في نفوس الناس بما يسدونه من صنائع المعروف:

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحسان

وفضلا عن ما أشرنا إليه من محامد حي الأربعين فإنهم كانت لهم علاقات وطيدة وصِلات حميمة مع كثير من القبائل والمجتمعات كونت جزءا مهما من مدونة التبادل

الثقافي مثل وفود الطلبة الذين يأتون إلى محاظر حي الأربعين للنهل من معين العلم والاقتباس من مكارم الأخلاق وكالمساجلات الشعرية الإخوانية والرسائل العلمية والفتاوى وغير ذلك، وهذا الجزء من مدونة مدائح الحلة ليس نفعيا بالمعنى المادي وإنما هو شهادات وتقديرات للأدوار الإيجابية للمجتمع الأربعيني، وهنا أتعجل فأقطف للقارئ الكريم بعض الثمار الأدبية من مدائح الحلة لأفتح شهيته قبل أن أقدم له المدونة الشعرية كاملة، يقول الدكتور المفتي إبراهيم بن يوسف الشيخ سيديا من يائيته الأربعينية الشهيرة:

بني العلياء تندغ خيرحي ... إذا عدت ذوائبها الزوايا

منار العلم مهبط كل فضل ... هداة الخلق من كرموا مزايا

ومن سيماهم التقوى ومن هم ... بناة المجد من بين البرايا

ومن هم حلة الأجواد قدما ... يتيمة عقد من بذلوا العطايا

إلى قوله:

فقد راضوا عويص الفقه روضا ... وقد حفظوا المغازي والسرايا

وكم فُصَح أوابد شاردات ... أبانوا ما بهن من الخفايا

ولن تلقى على العلات منهم ... سوى ابن جلا وطلاع الثنايا

وقال سيدي عبد الله بن أحمد دامو البحسني:

يا حلة دأبها الإحسان والجود ... وفضلها لمريد البذل ممدود

وافيتكم ماضي الأعوام زائركم ... ونلت من فضلكم ما هو مقصود

لا تعجبوا من قدومي العام ثانية ... فالمنهل العذب بعد الورد مورود

وقال الشريف سيدي العربي بن الحسن:

يــا أربعــين جــوادا منبــع الكــرم خصـالكم في الـورى نـارعلـى علـم
كنـتم لأسـلافنا فيمـا مضـى وطنـا فــأنتم أنــتم الأحبــاب مــن قــدم

وقال محمدو بن أحمد لخليفة العلوي:

يــا طــالبين نــدى إيتــوا معادنــه الاَجواد تندغ في حافاتها احتبِسوا
إن كان في النـاس للمعـروف ملـتمس فهــم وإلا فمــا للعــرف ملــتمس

إلى قوله:

يُحَمِّــدون لرفــع الحــاج نحــوهم كـأنهم مُطـروا مـن بعـد مـا يئسـوا
تـالله مـا خلعـوا للمجـد مـذ خُلقـوا ثوبــا ولا لبســوا إلا هُ مــذ لبســوا
أحيـوا طريـق الهـدى للسـالكين كمـا أحيوا من العلم ما رواته اندرسوا
كم من جهـول وعـار قـد أتـوا ومضـوا من بعد جهل وعري عُلِّموا وكُسوا

وقال العلامة محمد عبد الرحمن بن السالك (النح):

فلــم يــرعــاف أربعــين بغيــرهم متى ما تـولى عـن بني الـزمن اليسـر
فــإنهم بيــت القصــيد مــن الــورى فلفظهــم شــطر ومعنــاهم شــطر
أئمــة هــدي شــيدوا الــدين والعلــى فأمسـوا لهـم في كـل مجتمـع فخـر
كفـى المـرءَ فخـرا أن يُـرى ينتمـي لهـم فيعلـولـه في ملتقـى الحلـق الـذكر

وقال أحمد محمود بن السيد البحسني:

إن سُــد بــاب دون نيــل المقصــد فاســتفتحنه بــالاَربعين المُجَّــد
التنــدغين المبغــين إلــى العلــى وإلـى المكـارم سـلما فـي المصـعد
والفــارجين عــن اللهيــف كروبــه والعــارجين إلــى ســماء الســؤدد

والخـــالطين فقيـــرهم بغنـــيهم والباســـطين البـــذل للمســـترفد
والذائـدين عـــن الحمـــى وحريمـــه والقائـــدين المكرمـــات بمقـــود

إلى أن يقول:

هـــم بـــين شـــيخ عـــارف متعبـــد وعُبـــاب علـــم للعلـــوم مجـــدد
ومهـــذب ســـمح الخليقـــة ماجـــد مـــأوى الأرامـــل في الســـنين ممجـــد
حمـــال أعبـــاء العشـــيرة كلهـــا بـــذّال طـــارف مالـــه والمتلـــد
مـــن تلـــق مـــنهم قلـــت هـــذا خيـــرهم مثـــل النجـــوم بهـــا اهتـــداء المهتـــدي

وقال العلامة المختار بن حامد:

علمنـــي الشـــعرَ بنـــو تنـــدغ فصـــرت للشِّـــيح مـــن المضـــغ
أنبغنـــي بالشـــعر إحســـانهم ومـــن يجـــاور تنـــدغا ينبـــغ
يُهجـــرمـــا لا ينبغـــي عنـــدهم وعنـــدهم يحســـن مـــا ينبغـــي

هذه فقط نماذج قليلة فهي غيض من فيض سوف يراه القارئ الكريم أثناء تصفحه للمدونة الشعرية في مدائح حي الأربعين.

أما الآن فلنتقدم قليلا داخل محطة الحلة لنرى ما بالداخل، وقد أسلفنا في خطبة الكتاب أننا سوف نقف عند هذه المحطة وننظر إليها من حيثيات عدة وهانحن في طريقنا إلى إنجاز ذلك الوعد.

النظرة الأولى: - وهي الأكثر كَمّاً - من حيث أرضهم وحوزتهم الترابية:

ولا يخفى ما للأرض من أهمية فقد وضعها الله للأنام منها خُلقوا وعليها يحيون ويعيشون وفيها يعادون ومنها يخرجون.

ولتندغة الشرقيين حيز أرضي لا بأس به من حيث المساحة ومن حيث الجودة، إذ إن فيه مياها جوفية عذبة وغزيرة وفيه مساحات رعوية واسعة كما أن فيه سهولا زراعية كثيرة ومن أهمها سهل شمامة(مَيْ مَيْ) ويرى النابغة الغلاوي أن قبيلة تندغة قد سبقت غيرها إلى هذه الأرض وذلك في حكمه القضائي بعد التحري والموجبات قال:

واعلم بأن الأرض أرض تندغا ومن أراد سبقهم فقد بغى

وفي مذكرة الأستاذ محمد الحافظ بن بوري بعنوان "أثر الدرس المحظري في الشعر الشنقيطي (نماذج من محاظر حي الاربعين)": "ويبدو أن ربوع تندغة كانت متصلة شرقها بغربها أواخر عهد المرابطين إلى عهد شربه وكانوا قوة يُحسب لها حسابها في المنطقة إلى ذلك التاريخ وارتبط بهم العديد من الجهات القبلية يرجع ذلك إلى تاريخ استقرارهم في الأرض بعد تفكك دولة المرابطين في الصحراء".

وإلى هذا البعد التاريخي الذي يتصل بالمرابطين والعلاَمة المميزة الخاصة بتندغة والتي تسمى "ادجاجة" يشير العلامة الشيخ محمد اَحمد بن الرباني بقوله:

بلاد بها أحياؤنا وثواؤنا ينيف على حاء المئين أوَ اكثرا
ونقش الحبارى في صفي قبورنا يلوح عليها كالنجوم أوَ ازهرا

ومما يدل على هذه الأسبقية المذكورة في الأرض شيئان: أحدهما أن تندغة الشرقيين لم يجدوا منازعا في الأرض التي استقروا بها، والحروب التي جرت بينهم مع بعض القبائل ليس فيها حرب حقيقية بسبب النزاعات الأرضية، أما الشيء الثاني فهو اتصال حوزتهم الترابية الممتدة من "انْبَيْكتْ الْعَنْزْ" شمالا إلى "لمْدَيْزْ" المتصل بالنهر جنوبا وعلى طول 200كلم تقريبا وبعَرض يبلغ 35كلم؛ يضيق أحيانا ويتسع أحيانا[1]، وهو ما يفوق مساحة دولتين عربيتين مجتمعتين[2]، وهذه الحوزة من خيرة أراضي المنطقة.

ويمكن أن نقسم هذا الحيز الأرضي إلى أربع مناطق كبيرة بدءا من الشمال إلى الجنوب، وهي:

1- منطقة آمُشْتِيلْ: ومعالمها الأساسية من حيث الآبار: آشْويزْ-انْفْنِ-انْتُوطْفِينْ- مَايْگُومْ-علْبَادْرسْ.
2- منطقة آفْطُوطْ: وفيها التجمعات والآبار التالية: المحمدية-المدينة-انْتَوْفَّكْتْ-كَنْدَلَك-آگْرُو.
3- منطقة تِشمَّمَاتنْ: وتشمل: آدْرَيْمِيزْ-الرَّبَانْيَاتْ-بُتنْبْصْكِيتْ-مَلْگ التُّورْسَانْ-امْگَيْرِنَاتْ.
4- منطقة شَمَامَ(مَيْ مَيْ) وما يجاورها من الحواضر والتجمعات: وهذه المنطقة قد كانت هي العاصمة الاقتصادية للجماعة وجيرانها إذ إنها هي التي

---

[1] أي ما يمثل ـ في المتوسط تقريبا ـ مساحة: 7000كلم²

[2] هما جزر القمر (التي تبلغ مساحتها 2170كلم²) + البحرين (التي تبلغ مساحتها 767كلم²)، وهو ما يشكل مجتمِعا أقل من نصف مساحة أرض الحلة التي تبلغ 7000كلم² كما مر بنا.

تُستورد منها الميرة والمعائش وهي التي يسميها بكار بن اسويد آحمد "واد الكَبلة" ويقول: "واد الكَبلة إلى سال لا اتسال والى ما سال لا اتسال". وكانت ملتقى يجمع كل طوائف الحلة وغيرها وكانت شبه سوق تجاري للصادرين والواردين من وإلى ضفة النهر التي فيها قرية "ادُّوَيْرَ" التجارية ذات البضائع المتنوعة حيث يتم التبادل التجاري فيأتي الواردون بالصمغ (العلك) وبالمواشي ويشتري الصادرون أنواع القماش(الخنط) والشاي والسكر وغير ذلك.

وإلى أهمية (مَيْمَيْ) ومكانتها يشير العلامة القاضي السيد محمد يحي بن محمد الدنبجة بقوله حين مر بها سنة جفاف وعدم زرع:

أيا مي إن زرناك أول مارس ... وما فيك يا "مي" مقام لجالس
فكم غثت أهل الفضل في كل شدة ... وفرجت كربا عن فقير وبائس
وكم فيك من ندب كريم مرزإ ... ومن سائد جلد وفيٍّ وسائس
ومازالت الركبان تأتيك طُلَّباً ... رغيفا وأخبازا وطيب مجالس
وتحمل أثقالا من الزرع عيسهم ... ويشرون أنواع الثياب النفائس
ويشرون أنعاما وآماً وخيما ... وشايا شهيا مثل جريال[1] فارس
فلا زال فيك الزرع ما بين أخضر ... وما بين محصود وما بين يابس

أما المناطق الشمالية فجل اعتمادها الاقتصادي على التنمية الحيوانية وعلى الزراعة المطرية وهي التي تنتشر فيها المحاضر العلمية حيث يكثر طلاب العلم وتزدهر فنون الثقافة والآداب وتتسع الحركة العلمية وتكتمل النهضة في شتى المجالات.

---

[1] الجريال: لغة في الخمر.

وأما من حيث التملك الشرعي لهذه الأرض فيقول العلامة القاضي محمدن بن أحمدوفال من نظم له على إحياء الموات:

واعلـــم بـــأن الأرض بالإحيـــاء ... تُملـــك، والميـــراث والشـــراء
وبالتبرعـــات، فالإحيـــاء ... عـــن الثقـــات ســـبعة أشـــياء
الحفروالغرس، البنا، قطع الشجر ... تحريك الأَرض، حرثها، كسر الحجر
أقرهـــا خليـــل فـــي المختصـــر ... ومالـــك بـــالإرث والشِّـــراَ حـــر

إلى أن يقول:

قلـــت وكـــون هـــذه الـــبلاد ... يجـري بهـا ذا الحكـم عرفـا بـاد
لأن أهلهـــا بهـــا توطنـــوا ... منـــذ قـــرون مـــا لهـــم تـــوطن
إلا بهـــا، وكـــل مـــن عنهـــا خـــرج ... مـــنهم فمـــا يخـــرج إلا لحـــرج
وهـــو علـــى نيـــة الارتجـــاع ... كتـــاجر أو صـــاحب انتجـــاع
وأسســـوا الآبـــار بالأحجـــار ... لنيـــة التأبيـــد بالآبـــار
توارثوهـــا زمنـــا بعـــد زمـــن ... وحفـــروا وحرثـــوا طـــول الـــزمن
إن لـــم يكـــن لهـــم بـــذا تملـــك ... لهـــذه فلـــيس شـــيء يُملـــك
فكيـــف تُنســـب إلـــى البـــوار ... أرض بهـــا قائمـــة الآبـــار
أم كيـــف تُنســـب إلـــى المواشـــي ... وداعيـــات ملكهـــا فـــواش
أم كيـــف تُحســـب مـــن المـــوات ... وإرثهـــا بالبينـــات آت
وذا لـــه يشـــهد قـــول الكتـــب ... في أي نـص مـن نصـوص المـذهب

وهذه المناطق الكبرى التي تقدم ذكرها يحتوي كل منها على كثير من المعالم والمسميات التي جرى ذكرها على الألسنة وتغنى بها الشعراء قديما وحديثا، وكنت قد فكرت في عمل معجم أو ثَبْتٍ لأسماء هذه الأماكن، وأثناء بحثي أرسل

إلي الأستاذ الدكتور أحمد محمود بن الدنبجة - مشكورا - نسخة من مقصورته "الشقشقية" فإذا هي تضم وتجمع كثيرا من تلك المعالم والمسميات فاعتمدتها واعتبرتها معجما لمعالم وبلدات أرضنا، وعلى الشباب أن يعودوا إلى الآباء والأجداد لفك رموزها والتعرف على مسمياتها الشعبية التي تشتهر بها بين الأوساط المحلية.

وقبل أن أقدم للقراء الكرام القصيدة كاملة أريد أن أنبه الجماعة على خطورة تغيير الأسماء الأصلية لمعالم الأرض فإن المهتم بالشأن يلاحظ ظهور كثير من الأسماء الطارئة التي واكبت ظاهرة السطو على حوزتنا الترابية بطرق مختلفة ومما ساعد على ذلك أننا -مع الأسف- لم نتفق على بلورة رؤية واضحة لصيانة أرض الأجداد والأمجاد، ومن أمثلة الأسماء المستحدثة: "أَبْرَكْ لَبْيَارْ"=انْفَنِ الْعرْش، السُّرُورْ=لـمَّيْلحْ، الْمَنَارْ(أهل تِيرْنَ)=الرَّبَّانْيَاتْ، الرِّضْوَانْ(أهل بُخَيْرْ)=شمال "امْلَيْزمْ اسْبَعْ"، الْفَوْزْ= عَمْرٌ مَحْمُودْ، ارْحَاحْلَ=اگَمَّاطْ، زَمْزَمْ=آشْكَيْلَّايَ، الزِّيرَ=بُتنْبْصْكِيتْ، إِدَبْنَزَارْ=أُمَّاكْنَيْنَ، الشَّانْتِيَّ=وَلَنْدَ...الخ، ومن الأمثلة التي عمرتها مجموعات أخرى من جيراننا وإخواننا وبقيت محتفظة بأسمائها الأصلية: اگْوَيْدَ، لمْبَگعْرَاتْ(أو السَّافيَّاتْ)، آجْوِيرْ، إِيجْنَاونْ، لمَّيْلحْ(إِدَمِّيجنْ)، انْفَنِ الصالحين..الخ.

وهذه أمثلة فقط، وإليكم القصيدة الشقشقية المذكورة:

سقى الربوع بالقَرِيِّ فالقُرى ... جونٌ غزيرُ السَّحِّ وَكَّاف الطِّخَى[1]

ترزم منه المزن في تَوْكافه ... مثل هزيم القَرْم رده الصدى

تحدوه ريحٌ شمألٌ مؤذنة ... بسحه تسير سير الهيدبا[2]

---

[1] الجون: لون يضرب إلى السواد، والطخى: المطر الغزير.

[2] مشية تفعلها الخيل.

تجـــود بالـــدُّوَّارَ منـــه ســـحب تـــروي اجْمِجَـــارَ والبطـــاح مرتـــوى

وديـــم بعـــيشَ فـــالَ تلتقـــي منهـــا الوهـــاد وقِنّينـــات الرُّبـــا[1]

وانـــزاح نحـــو هُمَـــذٍ يغمـــره ليشـــفع المُـــوَتَّر المـــاء الـــرّوى[2]

وأســـبلت دموعـــه مغدقـــة بالخبت نحو النهي من أسد الشرى[3]

فالـــدُّومِ مصـــطفا علـــى أخـــدوده أخضـــر في أبـــيض مجلـــو الطـــلا[4]

لـــه خريـــر فـــي الجـــداول ســـما مـــدافع الريـــان عمهـــا الجـــدى[5]

فـــذو البســـاتين إلـــى بوميـــة والنهـــي الاحمـــر فأنهـــاء الأضـــا

وانـــدفع الســـيل بمـــاء جـــارف لآفطـــوط قاصـــدا ذات الغضـــا

بالـــدوم ديـــوان مـــن الشـــعر زكـــا مـــدونا خســـيً تـــراه وزكـــى[6]

للـــنح فيـــه والـــدنبج وأبـــي شـــامة أشـــعاركمـــا لابـــن فتـــى

خلـــدها فـــي شـــعرهم فطاحـــل أكثـــر مـــن رمـــال يبـــرينَ حصـــى[7]

وغيـــرهم مـــن شـــاعر مفـــوه في كنـــدلكْ ذات الغضـــا والكنـــدلى[8]

متـــى تُـــرى مـــلأى فـــإن الصـــيف قـــد أجلـــى وإن المحـــل مثلـــه جـــلا[9]

فـــآفطوط متربـــع الـــورى فمـــن أصـــابه فقـــد صـــاب الكـــلا

فهـــو كالصـــمان في نجـــد وكالســـ ـــعدان مرعـــى وكـــأجواف الفـــرا[10]

---

[1] قنينات الربى: ذرى الأنجاد وأعاليها.
[2] الماء الروى: الماء الغزير.
[3] الخبت: الوهد المنخفض.
[4] أي أنه منظر جميل ساحر.
[5] مدافع الريان: أرض بالجزيرة العربية تجري منها المياه.
[6] خسى مفرد، وزكى جمع.
[7] يبرين: صحراء في الجزيرة العربية يُضرب بها المثل في الكثرة.
[8] الكندلى: شجر يُدبغ بقشوره، ولعله "التَّمَاتْ".
[9] أجلى: هرب، وجلا: يعني أن الشدة قد زالت وعم الخصب.
[10] إشارة إلى المثل السائر: كل الصيد في جوف الفرا.

فـــــالمرجلين وهمـــــا كبـــــارق وكالعُـــذيب فـي تبـــاريح الجـــوى[1]

فـذات يـوحى معهـد ابـن الشـيخ لـم يبـــق بهـــا مـــن موضـــع إلا امـــتلا[2]

ســـــقى يُتَيّعَـــــة جَـــود مســـــبل ثـــم إلـــى نهـــي الأضـــاة فـــارتوى

ثـــم إلـــى تجگجـــه خلـــد بهـــا لحينـــا ابـــن العرْبـــي أشـــعار الثنـــا[3]

ثـــم جُبيـــب الشـــق فـي روضـــاته فـــالنهي الأَبـــيض فـــدارة الغبـــا

وآض آفطـــــوط ظهـــــر بـــــاقر كأنـــــه مـــــرآة اَو بحـــــر جـــــرى

فكـــل مـــا مـــن التنضـــب ومـــن ذات الغضـــا مـــن الأضـــية اســـتقى

واســـق حيـــا نجـــد الســـيالة ومـــا مـــربـــه الشـــيخ وصـــلى ودعـــا

إلـــى تَوَيّيـــتَ فـــوادي الفيلَـــه كـــي يســـقي المســـاعيد بفـــيض وجـــدى

أمـــا الفَراجِيـــل إلـــى امْبَيْـــدِيعَ مـــن عـــين المَـــلازم إلـــى ربـــى الســـنى

علـــى الـــذلول فبُجَلْـــيَ فالكَنـــا دِيـــرَ فنهـــي العَيْـــر غربـــي المِعـــا[4]

ذكرننـــا عصـــر الشـــبيبة كمـــا قـــال الـــدنبج والغـــواني والصـــبا[5]

---

[1] البارق والعذيب بئران بنجد يُضرب بهما المثل في عذوبة الماء.

[2] ذات يوحى هي انتوفكت، ويقول فيها محمد يحي بن الشيخ سيدي المختار:

نزوح الأرض يا لك من نزوح تذكر دور موطنه الطروح
تجـــلد للخـــطوب إذا ألـــمت فلا تجـزع لـهن ولا تنوح
وسل الهـم عنك بـذات لـوث مضبرة القرى حرف جنوح
تبلـــغك العـمانِنَ فالأضـا فالـــــمسائل فالقري فذات يوحي

ويقصد بابن الشيخ: الشيخ محمد عبد الرحمن بن الشيخ محمد السالم.

[3] هو الشريف سيدي العربي بن الحسن، ومطلع قصيدته التي يمدح بها حي الأربعين:

يا أربعين جوادا منبع الكرم خصالكم في الورى نار على علم

إلى قوله ـ في تجكجة ـ: ما أنس لا أنس حي اگمس إذ نزلوا خميلة الضال من تجگجه وا ندمي.

[4] في الذلول يقول شيخان بن الطلبة في مطلع قصيدة له:

ألا حي الطلول لدى الذلول لطيب الأنس في تلك الطلول
طلول بعـدها قد طال ليلي وفيها كان لـم يك بالطـويل.

[5] يشير إلى قول الأستاذ الدنبج بن معاوية:

بين الشقيـقة فالمعا فالأجرد من شرقه دمن عفون لمهدد
أكرم بمهدد عنـدنا من خـلة وبمعـهد نزلـت به مـن معهد =

نحـــا الـــذوائب إلـــى مُخَيْنِـــز حباهمـــا بالســـح لمـــا أن دنـــا
وســـح بـــالأوداء فـــالمَرْوَانِ ذو جـــاء مُـــورَّى العلـــوي المرتضـــى[1]
وأَلَّ باحْمـــدَّانَ بـــرق خالـــب لا خلـــب عـــم الـــزِّرات فـــالرّمى
خلـــدها امَّـــدْ بنســـيب رائـــق رغـــم روي ظـــل صـــعب المرتقـــى[2]
ثـــم إلـــى نجـــد البشـــام ثقلـــه صـــارت ظمـــاؤه بمائـــه روا
ذكـــره الإسْـــرِين فـــي أشـــعاره والحسَـــنيون احتفـــالا واحتفـــا[3]
فنجـــد عَمَّـــار إلـــى أَغْجُمُّـــل يُروي خبوت اصْنَيْبَ ذي الموج طمى
يـــا لنســـيب الشـــيخ أحمـــدُّ بهـــا يريـــد أن يرضـــي مونـــاك الرضـــى[4]
ثـــم الأُدَيخِـــن فـــوادي الله فالـــ ـخلاط ف اغْمُـــورتْ فأنهـــاء الثـــرى
وجلجـــل الرعـــد علـــى ذات الأتـــا ن والجـــذوع بالنمـــال بـــل همـــى
كـــم نثـــر اگلـــيكم بهـــا لآلئـــا أخجلـــت الـــدربأجيـــاد المهـــا[5]
علـــت علـــى ذي الســـرح منـــه ديمـــة هطـــلا تعـــم اتْوَيْـــدِرَاتٍ العـــلا
فـــإن ذات الســـرح مـــدفن الألـــى نـــالوا العلـــى وكـــل عـــز وتقـــى

= تلك المنازل كلما نسك الفتى ذكرنه عصـر الشبيبة والدد.

[1] يشير إلى قول محمد بن الداه صاحب الميمية: فصبوت للمروان أطلب دوره "أنى صبا العلوي للمرواني"

وفيه تورية لما جرى بين آل البيت وبني مراوان.

[2] يشير إلى قول العلامة الشيخ محمد احمد بن الرباني:

هذا المقيم وذا عـهد النمـال وذا واد الإلـه وتنْجـمّلْ وكُمْبَـيْتُبَلْ
حمدا وشكرا عـلى مرأى معالمـها من بعد جامَ وجُوسَ وانْجُبوبَ وبَلْ
صون الدموع بها رأي العذول وما رأي العـذول بها إلا كـرأي مَلَلْ.

[3] يقصد بالإسريني الشيخ عبد الودود بن حمّيهْ، ويشير إلى قوله:

مررت بذي البشام فهيجت لي معاهده من الشوق الدفينا. إلى آخر الأبيات.

[4] يشير إلى قول الشيخ أحمدو بن الشيخ محمدو بن حبيب الرحمن من مشاعرة بينه وبين موناك بن مبرك: لكنني يا ديار اصْنَيْبَ من أسف أثني عليك ابتغا مرضاة موناك.

[5] يقول من مشاعرة بينه مع الدنبج: ألا يا صاحبي حيّ الطلـولا وعج بي بينها العنس الذلـولا
طلول بالحوية محـولات سقى صوب الحيا تلك الطلولا.

أول مرمـــوس بهـــا مُزَغْـــزِن جـــريح شـــربه بأيـــام الـــوغى
فـــإن فيهـــا عُلَمَـــا وســـادة وقـــادة وصـــالحين فضـــلا
فوَلَـــقَ النجـــد فنهـــي المومنـــا ت فـــانتحى جنوبهـــا للسِّمْسِـــيا
إلـــى المُرَيْقِـــب إلـــى نجـــد الأغـــا نـــيم فـــأم بابِـــك عليـــا الربـــى
شـــنف الآذان بهـــا ملتزمـــا لغيـــر مـــا يلـــزم فيهـــا المصـــطفى[1]
ثـــم إلـــى انْتجْبَـــارَ وانْتِشَـــانِه رغـــم الشـــواني قولـــة لمـــن مضـــى[2]
فـــانْفَنِ فـــالْكَيّس مـــن أَبْيَايِـــه ثـــم إلـــى النِّبْكَـــة ثـــج وانتحـــى
فنجـــل أَبُـــودَ اهتـــدى مفـــوزا بالشـــيخ لانْفَـــنِ ككـــدري القطـــا[3]
أحيـــا رباهـــا الأشـــفغان فغـــدت مـــزار مـــن يجـــوب أجـــواز الفـــلا[4]
فـــإن بـــانفن ريـــاض تنـــدغ مـــن علمـــاء صـــالحين أتقيـــا
(وإن فـــي ريـاضـــها قبـــرا حـــوى شـــتى فنـــون المكرمـــات والعلـــى
قبـــر منيـــف طـــاهر بـــه ثـــوى شـــيخ المشـــائخ منيـــل المبتغـــى
محمـــد الحـــافظ وهـــو مـــن أتـــى بـــورد شـــيخنا ســـليل المصـــطفى
جعلنـــا الله بـــه مـــن الألـــى قـــد اقتـــدوا فهـــو نعـــم المقتـــدى)[5]
فســـح بـــالرحمى علـــيهم صـــيب أجـــش لا ينفـــك يمريـــه غمـــا
وســـح بـــالمُقِيم منـــه جانـــب مـــن بُرْقَـــة إِمِـــيجنْ فَ بيـــهَ فَ كُـــرا

---

[1] يقول المصطفى بن معاوية: أيا خـــل فـــكر إن أم أبـــابك خلت دورها من زينب وأبابك
ومن زينب أخت الفتاة ومـريم ووالـدها الديمان نجـل أبابك.

[2] يشير إلى قول محمد عبد الرحمن بن السالك (النح):
ألا حان الرجوع إلى النشان على رغم العواذل والشواني.

[3] يشير إلى قصة نقل العلامة محمد بن معاوية إلى مقبرة انفن.

[4] يعني أشفغ الدنبج وأشفغ بن عفان.

[5] هذه الأبيات قد أضافها المؤلف تنويها بالشيخ محمد الحافظ العلوي دفين انفن.

فصـــالحي بـــابُ وقـــاس فرضَـــها ... مـن المقـيم القـاضِ يـا لـه مـدى[1]

إلـى أبـي الصُّـباب نحـو غَوْجَـف ... وشـــمل البَحْبَـاحَ أووادي النِّسـا

ثـــم ربـــى المِـــرَادِ ف انْتَوْكلَّـــةٍ ... ثـم أَغَسْـكَرْتَ إلـى المَلْـطَ الـدنى

وجانـــب منـــه علـــى شَـــمَامَة ... مـن مـي مـي بلـغ السـيل الزبـى[2]

عـــم البَســـاتِين إلـــى تَرَنَّـــة ... ثـــم المُـــدَيْبِزفزمـــزم نحـــا

ظلـــت ترنـــة محـــل روضـــة ... للصـــالحين الغـــابرين الاَوفيـــا

فامْكَيْرِنَـــات ف الضـــواحي حولـــه ... قد نسب الشيخ ابن مكي ذو السرى[3]

ثـــم إلـــى بئـــر الأُبَـــيِّض نحـــا ... ثـم بُتنْبصْكِيـ(ت) فبئـر الملتقـى

فَعَمْـــر محمـــود إلـــى مَضْـــلِيَّة ... كُمَّاطهـــا أنهـــاء عيشـــها ســـقى

كانـت محـلا لسـجال المصـطفى ... والشـيخ جـارالله شـعرا منتقـى[4]

فيـا تُـرى لعمـر محمـود وهـل ... گُمَّـاط مـا زال كمـا قـال الفتـى[5]

كحـال لمْبَگعْـرَ والمَشْـواطَ مـن ... مواضـع تفرقـت أيـدي سـبا

يـا ليـت قـومي قـد رعـوا بلادهـم ... واعتبروهـا كـالحمى والمحتمـى

كـم مـن شـيوخ حملـوا أعباءهـا ... واحتملـوا أصـفاءها مـن الصـوا

---

[1] يشير إلى أن العلامة القاضي محمدن أمر بعض الرجال بعمل ما يسمى "المذروعه" لمعرفة مسافة القصر التي هي عنده 48 ميلا وذلك من صالحين أهل بَابُ شرق المقيم إلى بزُّلَالْمَاتْ شرقي آگرْوِ، وكان بريدهم الأول عند المرواني.

[2] مثل عربي يُضرب في مجاوزة الشيء الحد.

[3] يشير إلى قول الشيخ ول مكي:

ذي دار ابعيـربات اخلات من الحيّات

وذِ دار امگـيرنات اخـلات مـن الحيَّ

وعاد الوكر اديرات وازويرت دنـبيَّ ...الخ

[4] هناك شعر للمصطفى بن معاوية يمزح فيه مع صديقه الشيخ جار الله، ومما يقول له في شعره ذلك:

فدع عنك أنهاء العصيد وذكرها...

[5] يشير إلى قول الفتى بن أحمد سالم: يعگلي عاگب ذ مـن ليْ لخزام فالشـرگ ألـحفيْ

ذاك آگماط الل من ريْ العين انتر راص أوصراط

آگمـاط اشحـالك يخي مـهَلِّ مـزلـت آگمـاط ...الخ

لطـــي بئـــر أولـــدفع صـــائل ... أونائبـــات مـــن لجـــين ومـــلا

كالشـيخ لمـا سـيمت الأرض انبـرى ... يـدفع عـن حريمهـا ألـف كسـا[1]

وكـــم لبئـــر جمعـــوا أشـــتاتهم ... مـــن كـــل نـــاب وحلـــوب وقـــرى

والعرفـــاء كالـــدهانِ حضـــروا ... لكـــل جُلـــى حضـــرت أو أربـــا[2]

فـإن تكـن جلـى دعـوا لكشـفها ... مثـل بنتبصـكيت جـاءوا جفلـى[3]

ثـم انتحـى نحـو الشـمال مزنـه ... إذا شـرى البـرق ككومـاء الـذرى

لـــذي الدُّوَّيْمَـــة ونجـــد لِمَّـــة ... كانت محل الشيخ سيدي المرتضى[4]

أمـــا الأُجَيْمِـــيم إلـــى ذات الأخـــا ... ديـد إلـى نهـي غضـنفرى الشـرى

كانـت طريقـا للصـدى معروفـة ... لكـل مجتـازمغـذ فـي السـرى

فأصـــبحت مبلولـــة بحفـــرهم ... بئـــر الأُجَيْمِـــيم مخافـــة الصـــدى

والشـــاعر الخنذيـــذ بَـــدُّ حـــده ... نصـف مـدى مـا بـين الآبـار الـدنى[5]

للرفقـــاء لـــم تعـــد مخوفـــة ... لله عينـــا رافـــع أنـــى اهتـــدى[6]

وللقـــري موعـــد بعـــد المـــا ... مـه لـدى ابـن ابَّيْـد يرجـون القـرى[7]

وبالكَرَادِيـــد شـــآبيب همـــت ... والدومـة الصـفرا وأنجـاد القطـا

واســـق تـــززَّاي ودَرَّاك إلـــى ... جـذع الخَلاليـف وسـقيه حـرى

---

[1] يشير إلى القصة المشهورة، وهي: تحمل الشيخ سيدي المختار بن الشيخ عبد الجليل للديات.

[2] الدهان: كنية السيد المصطفى بن محمد عاليّ.

[3] يشير إلى تلك الهَبَّة العفوية التي تنادى لها أعصار الحلة تلبية لنداء بتنبصكيت حيث بنوا عليه العريش وأتوا زرافات ووحدانا وتناشدوا فيه الأشعار حتى أنهوا أعمال إصلاحه.

[4] يعني الشيخ سيدي بن بوبكر.

[5] يعني السيد محمدو السالم بن محمد بن الشيخ حيث يقول أيام حفر آدريميز:

تـــلّ اَدَرَّك ولا ايـــفوت غالِكْ سهوت شرواطَ

عايد فالنص امبيـــن بوتـــــويديم والمـشـــواطَ.

[6] رافع: يُضرب به المثل في قطع المفاوز المخوفة والاهتداء على عيون الماء.

[7] يعني السيد أحمد بن ابَّيْدْ الذي كان معروفا بإكرام الأضياف.

فعـــــم أرض تنـــــدغ بعاعـــــه حتـى اسـتوت أنجادهـا مـع الهـوى
مـــن آشـــوير هـنـــاك مرعـــدا إلى شـمامه البـرق هِنَّـا قـد شـرى
ذاك حمـــاي شُـــق منـــه صـــلبي وفي قـرى الظَّهـر إلى عظـم النقـا
لا أتـــركن الـــدهر أرضـــي مغنمـــا يغنمهـا الأوبـاش مـن حمقى العـدا
حتـــى أعـــيش مخضـــعا أمنيتـــي أو أن أمـــوت راكبـــا ظهـــر الـــردى
إن أَجَـــارســـوف يبقـــى عبـــرا لطـــالبي العلـــى وأربـــاب النهـــى
لا ســوم في الأرضـين غصـبا ضـلة أو ينبـت البقـل علـى صـم الصـفا
مهـــلا بُكطْـــرَ لا تظـــن أننيـــي قـد طـافني الـوهن عنـك والكـرى
فـإن تكـن عينـا فجـد بالـدمع لا تبخـل بـه شـحا وإلا فالقـذى
نحـن التنـادغ الألـى قـد منعـوا أوطـانهم أن تُسـتباح بالقنـا
ملـك مـن العهـد الربـاطي عنـوة أيـام جـدنا أبـي بكـر الرضـا
هـم الألـى قـد منعـوا قيعانهـا في غورهـا ومنعـوا ضـب الكـدى
تـردد الـورق بهـا أشـعارهم وترقص الهـيم بسـير الجمـزى[1]
كـم خلـد الـدنبج فـي ربوعهـا مـا لا يطيـق نسـجه ابـن الخطفـا[2]
وخلـف الشـيخ محمـد اَحمـد بهـا شـعرا أرق مـن عيـون بـردى[3]
والمصـطفى أودع فيهـا دره كمثـل مـا وُدع فيهـا المصـطفى
وثـج موناك نسـيبا رائعـا تجلـو بـه قيعانهـا مثـل الصـبا[4]

---

[1] مشية كمشية الخيلاء.

[2] هو جرير بن الخطفى، وفعلا للدنبج نسيب كثير على أرض الحلة وكذلك أخوه الشاعر المصطفى بن معاوية.

[3] عين بردى عين عذبة، وكان الشاعر الشيخ محمد احمد بن الرباني يكثر في أشعاره من ذكر مواضع قومه الحلة وغيرها.

[4] هو موناك بن مبرك، وكان كثير التغني بأرض الحلة.

والقاضـــيان خلـــدا بربعهـــا ... مـا لـم تخلـده قـريش في كـدا[1]
مـــدافع الريـــان فـــي أشـــعاره ... مســـتلئما طلعتـــه كالشـــنفرى
نحـن الألـى إن فـاخرت أجـدادنا ... قومـا غلبنـاهم بأيـام العطـا
فـــنحن نُســـمى أربعـــين جيـــدا ... بحلـة مـا إن تضـاهى في النـدى
والعلـــم والحلـــم بكـــل منتـــدى ... والضـرب والتقتيـل أيـام الـوغى
والصـائمون اليـوم في الحـر تُقىً ... والقـــائمون اليـــل واليـــل شـــتا
نصـفي الـوداد قرقفـا لمـن صـفا ... وحـــنظلا نليـــه كـــل مـــن قـــلا
فهـــذه أرجـــوزة قـــد حُمِّلـــت ... مواضـــع الأرض دناهـــا والقصـــا
ســـميتها شقشـــقة منظومـــة ... علـى نظـام ابـن دريـد المقتفـى

وأخيرا وليس أخيرا فإن في تلك المناطق الأربع التي تحدثنا عنها (مناطق أرض الحلة: آمشتيل وآفطوط وتشماتن وشمامة) حواضر عامرة بأجساد طاهرة وأرواح ربانية ونفوس راضية خرجت من الدنيا وهي عنها راغبة، يسمونها مقابر ولكن أهلها هم الذين بنوا صروح الأمجاد عالية وورثوها للأولاد والأحفاد فكانوا خير سلف جعلنا الله لهم خير خلف، آمين.

هذا وإني أدرك أنه كان ينبغي أن أعمل لهم خريطة أو خرائط تعرف بهم إجمالا وتفصيلا إلا أنني عدلت عن ذلك لضيق الوقت ولعدم إحاطتي بكل من فيهم من الأجلاء والعظماء فخفت من التقصير في حق بعضهم لما في ذلك من الحرج، وينبغي لمن له القدرة على إنجاز هذه الخرائط أن يعملها مشكورا، أما أنا فإني

[1] القاضيان: هما القاضي محمدن بن أحمدو فال والقاضي محمد يحي بن محمد الدنبجة، كدا: جبل بمكة.

أكتفي بسرد أسماء هذه المقابر الشهيرة إجمالا دون ذكر تفاصيلها، وأبدأ من الشمال إلى الجنوب كما فعلت في ذكر المناطق لا من حيث أقدميتها الزمنية:

1- مقبرة انفن
2- مقبرة انواتيل
3- مقبرة علب آدرس
4- مقبرة المحمدية
5- مقبرة انتوفكت 1
6- مقبرة انتوفكت 2
7- مقبرة آگروي
8- مقبرة بتنبصكيت
9- مقبرة امگيرينات
10- مقبرة مي مي
11- هناك مدافن أخرى متفرقة منها مدفن مَايْگُومْ-مدفن أَشْفَغَ احْمَدْ بن أَشْفَغَ بن عَفَّانْ-مدفن صالحين مَحَّمْ يَارُ- مدفن ابّيرْ الشّگْ- مدفن لَرْيَاظْ- مدفن لخْزِينْ- مدفن الْگُفَّ- مدفن تِلمْبَيْ- مدفن اجْوَيْنْفِ.

وقد تكون هناك مدافن أخرى لا أعلمها فالله يرحمهم جميعا.

وفي كل هذه المقابر المذكورة محاظر مدفونة بقرآنها وحديثها وفقهها ولغتها وآدابها..الخ..الخ

ويرقد في كل منها صلحاء وأولياء مجربون بوجاهتهم عند الله في قضاء حوائج المعتقدين الذين يحسنون الظن بالله وبعباده المتقين، فكم خُرقت العوائد لزوارهم وكم أصلح الله لهم في ذرياتهم وكم صدقت المرائي المبشرات بهم وكم وكم وكم، فينبغي - بل ويجب - علينا أن نصلهم بالدعاء لهم كما أمرنا الله بذلك

وبالصدقات عنهم وبزيارتهم على طريق السنة فما كان يسرهم في الحياة ما يزال يسرهم في الممات، اللهم ارحمهم اللهم اغفر لهم وتجاوز عن سيئاتهم اللهم فرج عنهم كُرب البرزح اللهم ارض عنهم وأَرضِ عنهم نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم حتى يردوا عليه الحوض وهم راضون مرضيون اللهم اجعلنا وإياهم في الفردوس الأعلى حيث جنات الشهود في جنات الخلود في جوار صاحب المقام المحمود صلوات الله وسلامه عليه، آمين يا رب العالمين.

وبهذا نختم وقفتنا عند محطة الحلة من حيث حوزتهم الترابية.

النظرة الثانية: من حيث فرائدها الأربع(قصة أربعين جيد - قصة المات - قصة الزامل - قصة الجد):

قصة أربعين جيد: وسبب التسمية مشهور، ونختصرها في ما يلي: وهي أن رجلا من إحدى قبائل منطقة "الگبلة" استدان من ابن عم له جذعة بقر بمواصفات جيدة وبعد حلول الأجل ألح الغريم على صاحبه ليقضيه، ويقال إنه إنما فعل ذلك بغية أن يقضيه بأَمَة كان يملكها، فما كان من الرجل المدين إلا أن استمهل غريمه قليلا وذهب إلى حي من تندغة الشرقيين فوجد رجالهم في المسجد فقص عليهم مهمته وهي جذعة بقر فقط فلم يجبه أي أحد منهم وإنما أحسنوا ضيافته فقط، فبات الرجل يضرب أخماسا بأعشار ظنا منه أن سعيه خاب وخسر، ولما صلوا الصبح جاءه كل فرد من رجال الحي يسوق جذعة جيدة ويصر على أن تكون هي المأخوذة ويأبى أن يرجع بها، فاستاق الرجل بقره البالغ تسعا وثلاثين جذعة على قدر رجال الحي(لفريگ) وفي بعض الطريق لقي أحد أفراد الحي كان مسافرا فنظر العلَامة على البقر فسأل الرجل عن خبره

فأخبره بأمره قائلا "جئت من عند حي تسعة وثلاثين جيدا" فأعطاه بقرة كان يسوقها وقال له أكمل لهم أربعينهم، فسارت من ذلك الوقت سير المثل وسجلها الشعراء في روائع قصائدهم وسارت بها الركبان في جميع البلدان وإليها يشير أحمد محمود بن السيد الحسني بقوله:

إني لآمل منكم مثل ما فعلت للمجتدي أربعوكم يا لها زمرا
إذ جاء يطلب عند الكل واحدة فنال من كل فرد منكم الوطرا

وإلى انفراد هذا الحي بهذه القصة يشير محمد عبد الرحمن(النح) بن السالك العلوي بقوله:

فلم يرعاف أربعين بغيرهم متى ما تولى عن بني الزمن اليسر
فإنهم بيت القصيد من الورى فلفظهم شطرومعناهم شطر

وفي نفس المعنى يقول د.إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا متحدثا عن انفراد حي الأربعين بهذه المكرمة:

ومن هم حلة الأجواد قدما يتيمة عقد من بذلوا العطايا
ومن سيماهم التقوى ومن هم بناة المجد من بين البرايا

ولإن كانت هذه القصة قد استأثرت بكامل الشهرة فإن أخواتها اللاتي أشرنا إليهن سابقا يمثلن أفعالا رفيعة وصنائع بديعة في السخاء والجود والكرم، فهذه **قصة الْمَاتْ** وهي أن حيا من أربعين جوادا عدد بيوته عشرون خيمة ذهب أحد رجالهم يبحث عن الميرة فجاء بظرف زرع فيه عشرون مُدّا وهو عندهم "المات" والمد حوالي 5كلغ عندنا الآن، وكانت خيمة غريبة قد نزلت على الحي كملته

واحدا وعشرين خيمة فقسمت أم الخيمة التي جاءتها "المات" الزرعَ بمعدل مد لكل خيمة وبقي عندها مد واحد أرسلته للخيمة الغريبة، ولكن المفاجأة العجيبة أن كل خيمة أرسلت المد الذي جاءها إلى الخيمة الغريبة فاجتمع شمل الزرع بعد تفرقه عندهم، ويُحكى أن تلك الليلة لم توقد في ذلك الحي نار إلا نار الخيمة الغريبة، ونظرا لندرة الأغذية وصعوبة الحياة في تلك الأزمنة فإن هذه القصة إن لم تكن أفضل من قصة الأربعين فليست أقل منها شأنا.

وأما **قصة الزَّاملْ** فملخصها أن رجلا من أربعين جوادا كانت له بقرة بها عطب يعالجها ويأتي لها ببعض الأعشاب وجعل عليها سورا من الأشجار يحميها من الحيوانات، وكان لرجل آخر من الحي جواد خيل يذهب في الليل ويقفز إلى البقرة يأكل أعشابها، فلما تكرر فعل ذلك منه غضب صاحب البقرة وأشهد أهل المسجد على أنه أنذر صاحب الجواد وأنه إذا عاد سوف يقتله، وفي إحدى الليالي ذهب الجواد يستن في الحي فأسقط أوتاد خيمة أحدهم فرماه بوتد نشب في خاصرته فجرى إلى حديقة البقرة التي تعودها، فمات فيها، وفي الصباح أخبر صاحب البقرة أهل المسجد بموت الجواد عند البقرة وطلب منهم الذهاب معه ليأخذوا لصاحب الجواد ديته، وذهب معهم قاتل الفرس إلا أنه لم يشارك في التقويم حتى انتهوا وعزلوا القطيع الذي قوموا به الفرس فقال لهم ردوا هذا لصاحب البقرة فإنه بريء فأنا الذي قتلت الجواد وتعالوا إلى بقري خذوا منه مثل هذا، فَأَنِفَ صاحبُ الجواد وأقسم أنه لا يأخذ شيئا من أي منهما، وهذه القصة وإن كانت في الداخل إلا أن ذلك لا ينقص من قيمتها في التعبير عن الكرم

والأنفة والصدق والورع، وبالنسبة لي فإن مزيتها تكمن في فضيلة كسر الأواني بالدفاع مروءة[1].

وأما **قصة الْجَدْ** فهي أقربهن إلينا زمنيا لأنها حدثت حوالي 1925م/1343هـ تقريبا عند بئر انتوفكت، وملخصها أن رجلا اسمه الجد تزوج ابنة عم له وكان أبوها ثريا ومنح لهما منائح يعيشان بها وبعد فترة جرى بينهم خلاف استرد بموجبه والد الزوجة منائحه وبقي الزوجان وابنهما الصغير ليس عندهم شيء؛ لا غطاء ولا وطاء، وذلك لإرغامهما على الدخول تحت سلطة الأب صاحب المال فما كان من الجد هذا إلا أن طلب من جار له عرية حمار حمل عليه الزوجة وابنها وأنزلهما جنب أحد أحياء الحلة، وكان رجال الحي غُيَّباً فتنادى النساء والشباب الصغار الموجودون وكوّنوا لهم خيمة جديدة بسرعة وجُعلت أمامهم حلائب وأتاهم ظرف مملوء زرعا وكُلف بخدمتهم خادم وخادمة، فقال بعض أسياد القبائل ما أشبه هذا بقول طرفة بن العبد:

يجبر المحروب فينا ماله ببناء وسوام وخدم

وخاصية هذه القصة ومزيتها الأساسية أنها كانت مبادرة من النساء، ولذلك تغنى بها الشعراء وخلدوها في مقطوعات شعرية رائعة، من ذلك على سبيل المثال قول محمد الامين بن الشيخ المعلوم:

بنات الأربعين من الأبينا ورثن من العلى حظا ثمينا
وحظ بناتهم من كل إرث كما تحوي البنات مع البنينا

[1] إشارة إلى قول الشاعر: وكسر الأواني بالدفاع مروءة يباين فضلا كسرها بالتجاذب.

وقال آخر:

نســـاء الأربعـــين ورثـــن عـــزا ببـــذل المـــال حيـــث المـــال عـــزا
نســاء قــد كســاها الحســن ريطــا مـــن العليـــا وديباجـــا وخـــزا

وقال آخر:

بنـــات الأربعـــين مـــن الأبينـــا ورثـــن الجـــود إرثـــا مســـتبينا
بنـــات الأربعـــين فعلـــن فعـــلا حكـى فـي الحســن أفعــال الأبينــا

ولما شاع الخبر علم والد المرأة أن خطته فشلت فأرسل إلى ابنته وزوجها أن يرجعا إليه ليرد إليهما ما أخذ منهما فامتنعا من ذلك أولا بسبب رغد عيشهما وطيب مقامهما في حي الأربعين، ثم ألح عليهما في الرجوع قائلا "إذا كنتم تنتظرون أن تنهوا كرم الحلة فإنكم لن تنهوه أبدا"، وإلى هذه القصة وأخواتها من كرم حي الأربعين يشير الشيخ محمد مفتاح بن صالح بقوله من الشعر الحساني من طلعة له:

.....

الزامـــل گـــومُ مشـــتهرين والقبيـــلَ تســـميتهَ
ســـببهَ معـــروف اســـكيين حســـبتهَ واســـكي نســـبتهَ
والِّ جـــاب اســـرتُ فمنـــين مـــا ر حالـــت نفقتـــهَ
ذاك اعطـــاوه خيمـــت عشـــرين وازمـــان وطـــاوه عتمتـــهَ
ونمـــراي وخـــادم ذ زيـــن اســـكي مـــدَّ ذِ شـــغلتهَ
هـــاذ گلـــت نصـــرَ للـــدين والحـــلَّ طبـــعِ نصـــرتهَ

النظرة الثالثة: تعليق بسيط على عدد الأربعين الذي أصبح علما على الحلة:

وهو عدد مبارك سنرى فيما يلي بعض الأمثلة على عناية الله به وجعله علامة بارزة على طريق الخصوصية والتشريف والإكرام...

1ـ لما أراد الله تبارك وتعالى - وهو المريد الذي لا يسأل عما يفعل - أن ينقذ الإنس والجن من اتباع الجهال وينتشلهم من وهدة الضلال قدر أن يولد النور الساطع والفجر الطالع سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم عبد الحق وعابده، وهو كامل منذ نشأته لاشك في ذلك ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون العدد أربعون سنة هو تاريخ ظهور رحمة الله المهداة إلى الخلائق فأرسله الله رحمة للعوالم قال تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، فجاء الحق وزهق الباطل وظهرت الكرامات وبهرت المعجزات وتمت الكمالات عند بلوغه هذه الأربعين، وكذلك فعل الله سبحانه بالمرسلين من قبله، وهذه مزية عظمى وخصوصية عليا لهذا العدد الزمني لا يُمترى فيها.

2ـ لما أراد الله تشريف وتكريم رسول الله موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم بالمناجاة وبالكلام والقرب من الحضرة الإلهية واعده الحق ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فعند ذلك بلغت التمام والكمال، قال الله تعالى: {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة}، ومن سر هذه الأربعين اقتبس الصوفية عمل خلواتهم وجلواتهم التعبدية وجربوا نتائجها الروحية.

3ـ عندما كُلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله وحيدا ليس معه أب ولا أخ ولا ولد أيده الله بنصره وبالمؤمنين فبدأ السابقون الأولون من المهاجرين يستجيبون للدعوة وحدانا وزرافات يتخفون بعبادتهم في دار الأرقم بن

أبي الأرقم ينادون للصلوات سرا يتلون آيات الله غضة طرية يتهامسون بها خائفين حذرين من سطوة أعداء الإسلام، أصواتهم خاضعة ولكن نفوسهم راضية مرضية، ولما بلغ الرجال المسلمون تسعة وثلاثين رجلا وهم على تلك الحالة من الذل والهوان على المشركين أبى الله إلا أن يتم نوره بإسلام الفاروق فكمل عددهم أربعين، فكان ذلك حدا فاصلا بين الإيمان والشرك، فعلت كلمة الله وظهر أمره وتوالت الانتصارات واحدا تلو الآخر.

4ـ عندما حدث ذلك الانقلاب الكوني الذي غير وجه الحياة الإنسانية فطلعت بشائر المنن الإلهية بالكرامة والفوز والنجاح وذلك بفضل حادثة الهجرة النبوية الشريفة سنة 622م ودام وجود شخصه صلى الله عليه وسلم بالمدينة عشر سنين وكانت جملة فترات الخلفاء الراشدين من بعده تبلغ ثلاثين سنة تقريبا ويكون المجموع أربعين سنة مثلت العهد الراشدي الذهبي الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور وأقام حضارة إنسانية كونية تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتعمر الأرض بالعدل والإنصاف والمساواة والمواساة والإخاء بين بني الإنسان برحمة الضعاف المحتاجين وبذل النفس والنفيس إيثارا للآجلة على العاجلة.

5ـ معلوم لدينا أن الله تعالى فضل الصلاة على غيرها من العبادات وأن من أفضل الصلوات وأخصها صلاة الجمعة حيث إن لها شروطا وواجبات ليست في غيرها ومن أهمها وآكدها: العدد من الرجال المقيمين الذين تجب عليهم إقامتها، وقد اختلف الفقهاء في هذا العدد فتساهل فيه الأحناف فأوجبوها على أقل الجمع وتوسط فيه المالكية - كعادتهم - فأوجبوها على اثني عشر رجلا غير الإمام، ولكن العدد الكامل الذي لا خلاف فيه هو الذي عند الشافعية والحنابلة وهو أربعون رجلا، وبغض النظر عن النواحي الفقهية فلا شك أن هذا العدد يمكن به التقري وإقامة أمور الدين والدنيا.

6ـ فرض الله جل وعلا على المسلمين إيتاء الدعيمة الثالثة من أركان الإسلام وهي الزكاة فقال: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}، وقال العلامة ابن عاشر في نظمه المسمى المرشد المعين على الضروري من علوم الدين:

فرضت الزكاة فيما يُرتسم عين وحب وثمار ونعم

إلى قوله:

وهكذا ما ارتفعت، ثم الغنم شاة لأربعين مع أخرى تُضم

والذي يهمنا هنا أن نصاب زكاة الغنم قدره أربعون شاة، فمالك هذا العدد من الغنم -وهي أصغر الأنعام- يصبح غنيا مليا في ماله حق معلوم للفقراء وباقي المعينين الثمانية، فالأربعون إذاً حد فاصل بين الفقر والغنى، وهذه مزية عظيمة وبركة يتمناها الجميع.

7ـ لقد ألف شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين أبو زكريا يحيى بن شرف المشتهر بلقبه النووي (631 -676هـ) جملة من المؤلفات كلها غرر وكتب الله لها القبول في جميع أقطار الدنيا، ومن أهم هذه المؤلفات وأوجزها وأجزلها وأكثرها نفعا لبغاة الخير مؤلَّفه "أربعون حديثا" فهي كافية في بابها شافية لطلابها إذ قد حسن اختياره فيها حسنا بديعا يدل على خبرته الفائقة وأذواقه الرائقة في علوم السنة والآثار كما يدل على رؤيته الثاقبة لما ينبغي أن يتحلى به المسلمون من الأدب مع الخالق أولا ومع الخلق ثانيا، فجاء كل حديث من هذه الأربعين حاملا في ثناياه قاعدة أو قواعد من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم تمثل جزءا كبيرا من أركان الدين.

وهكذا فإننا نلاحظ أن العدد أربعين كان رقما خاصا ومهما وله بركات كثيرة، ولرمزيته ومكانته عند حي الأربعين كان بعض الشعراء أحيانا يجعلون أبيات

قصائدهم على قدره ومن أمثلة ذلك أربعينية العلامة موناك بن مبرك التي مطلعها:

إن بالقـــاع أربـعا لنـــوار أنكر الهيف رسمها والسواري

وكذلك أربعينية الدكتور المفتي إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا التي مطلعها:

قفوا بالربع من ليلى المطايا وحيوه بخالصة التحايا

ويقول محمد بن بتار ول الطلبة من مشاعرة ودية جرت بينه وبين السيد الدكتور أحمد بن القاضي من مقطوعة مطلعها:

شجتني بعدما أقصرت حينا تحايا تملأ الدنيا حنينا

إلى قوله:

ولو علت المكارم واستطالت لما جاوزن حد الأربعينا

ونكتفي في هذا التعليق بهذا القدر من الأمثلة، وسنورد هذه القصائد كاملة في الديوان.

النظرة الرابعة: من حيث نظامهم الاجتماعي لإكرام الأضياف:

ننتقل الآن إلى إحدى اللوحات الجميلة داخل محطة الحلة لننظر فيها من حيث نظامهم الاجتماعي لإكرام الأضياف وطلاب النوال، وإكرام الضيف سنة قديمة سنها أبو الأنبياء سيدنا إبرهيم عليه الصلاة والسلام، ومعلوم أن بلاد السيبة في أرض شنقيط كانت قديما صحاري قاحلة بل إنها سميت بلاد الصحراء حيث تقل المياه ويجف الزرع وتصعب الحياة وأحيانا تمسك السماء ماءها فتضن الأرض بمرعاها فينتج عن ذلك الجوع والفقر، فيضرب المحتاجون في الأرض

يذرعونها يمنة ويسرة بحثا عن أهل الكرم والنجدة والجود والسخاء فيأتون؛ كلٌّ وحاجته، فمنهم الضيف العادي ذو الليلة أو الليلتان أو الليالي الثلاث الذي يريد قوت يومه أو أيامه فقط، ومنهم ضيوف الآبار الذين يريدون سقي مواشيهم العطاش، ومنهم الذين يطلبون أكثر من ذلك وهم ذوو الحاجات الكبرى وهؤلاء غالبا هم الشعراء المادحون بأنواعهم، ولكثرة هؤلاء وأولئك ربما لا يستطيع الأفراد تغطية جميع حوائجهم فتعاون القوم تعاونا بديعا قل نظيره إن كان له نظير أصلا.

فأما الضيوف العاديون فقد اتخذوا لهم نظاما يسمونه "تَوَالَ" وبموجب هذا النظام يستوي بيوت الحي في الضيافة سواء المضيف منهم وغيره، وعادتهم في ذلك أن يسندوا إدارة "توال" لأحد جماعة المسجد يكون ضابطا بحيث يكون كلما أُخبر بنزول فريق من الأضياف عند أحد البيوت يعين قسمتهم بديهة، فيقول مثلا في أهل فلان ضيف وفي أهل فلان ضيف وهكذا وربما يكثر عدد الأضياف عن عدد خيم الحي فيقول في أهل فلان ضيفان أو أضياف، وكانوا يتنافسون في عظم الأواني التي يقدمون فيها العشاء للأضياف ويسمونها باسم آكلها فيقولون للآنية حال كونها مملوءة عيشا ولبنا أو لبنا محضا: هذا ضيف أهل فلان وهذا ضيف أهل فلان..الخ

وكانوا يطوون بطونهم على المخمصة ويبالغون في إكرام ضيوفهم، يقول العلامة موناك بن مبرك مفتخرا بذلك في رائيته الأربعينية:

يكرم الضيف في المحول لدينا والـزلال النميـر قوت العـذاري

ذمـنا من يقيسـنا بالـزوايا ليس سوم الفلوس سوم النضار

ومن أمثلة دعوات علمائهم وأجلائهم إلى هذا النهج القويم وحضهم عليه قول والدنا وشيخنا العلامة المصلح محمذفال (لمرابط) بن أحمدوفال:

يـــا أربعـــين جـــوادا إن رأيكـــم أن تقسموا الضيف قل الضيف أوكثرا
ولتحمـدوا ربكـم ولتشـكروه علـى آلائـــه فمزيـــد كـــل مـــن شـــكرا
فالشأن أن يقسم الأضياف قاسمها بقـــدرطاقـــة كـــل يعمـــل النظـــرا
ملاحـظَ المـال والأحـوال مجتهـدا بمـا يـراه ومـا أهـل العقـول تـرى
ضيفا على جعفرضيفا على عمر زيـدا علـى زيـد أوزيـدا علـى عمـرا
لمنفـــق خلـــف لممســـك تلـــف فـــاخترلنفســـك إن الأمـــرقـــد قُـــدرا

وقد صور الشاعر الكبير الشيخ ول اعلي هذا الاهتمام والعناية الفائقة بشأن الأضياف في سلوك الحلة وتقاليدها، يستوي في ذلك الرجال والنساء، في قوله من الشعر الشعبي الجيد:

كَـــان افْقـــرْتُ مَـــاهِ جحْـــدَانْ يَفْرِيـــــكِ السّـــــتْرَ والْخُـــــوَّ
لكْلُـــوب ايْـــتَمُّ بَعْـــد اسْـــمَانْ واتَّـــــم امْعَـــــاهُمْ لمْـــــرُوَّ
افْقـــرْتُ حَـــكِ اَغيـــراكْبَـــارْ مَـــــاهِ محْتَـــــاجَ للتّظْهَـــــارْ
كـــلّ انْهَـــارايْجُـــوكُمْ خطَّـــارْ مـــن شِ مَـــا تَعْـــرَفْ شنْـــهُوَّ
واللَّيْـــل اتْبَـــاتُوه افْلحْصَـــارْ تكْسَـــام اظْيَـــافِين احْلُـــوَّ
واتْسَـــاوُللضّـــعْفَ لَحْـــرَارْ ف الْكِسْـــم امْـــعَ مُـــول الْقُـــوَّ

ويقول أيضا:

انْزلْـــت اعْلِـــيكُمْ مـــنْ لخْرِيـــفْ واسْـكنْت امْعَـاكُمْ لـيْن الصَّـيْفْ
لخْرِيـــف امْعَـــاكُمْ بَعْـــد اخْرِيـــفْ عَـــالمْ بِيـــهَ مُـــول الْقُـــوَّ
والصَّـــيْف امْعَـــاكُمْ مَـــاهُ صَـــيْفْ لاَ علْمـــتْ ب الصَّـــيْف اعْـــدُوَّ
والظَّيْـــف امْنَـــيْن ايْـــجِ ضَـــعِيفْ ابْـــلاَ مَتَـــاع اَسْـــوَهُـــوَّ
الظَّيْـف ايْشُـوف احْسَـان الظَّيْـف والظَّيْـــف ايْشُـــوف الْفُتُـــوَّ

واتْـــجُ ف السّـــتْرَمجْتَمْعِـــينْ اتْـــجِ هِـــيَّ وايْـــجِ هُـــوَّ

فَبِـــــاللهِ الـــــذِي يَمِـــــينْ لاَ إِلَـــــــــهَ إِلاَّ هُـــــــــوَّ

ونلاحظ هنا أنه إذا كان الشيخ ول اعلي قد نصر حي الأربعين ومدحهم هذا المدح الرائع فلا غرابة ولا عجب في ذلك فهو من هو وهو ابن القوم الكرام الذين قال الشاعر في حقهم:

خاطرراح ل طلبت تناك ما تمرك وذنُ يَ"اعْشَذَ"

اتعالي رفدي ذ اعش ذاك واتعالِ رفدي ذ اعش ذ

وقد قيل إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه.

وأما أضياف البئر - وما أكثرهم - فإن حي الأربعين كانوا يعملون في شأنهم على أكثر من صعيد، ومن أهم ذلك تركيزهم على حفر الآبار وصيانتها، وقد يسر الله لهم القيام بذلك حيث إنه كان الرجل الواحد وعاملا واحدا معه يقومان بحفر بئر بطول ستين مترا أو أكثر وكانوا يقدمون الأضياف في الماء، وقد سجل بعض الشعراء كرم ضيافتهم عند الآبار، يقول أبو إسحاق بن الشيخ من أهل الطالب أحمد:

مـــن يَـــرِدْ بئـــر أربعـــين جـــوادا نـــال ســـقيا موافقـــا مـــا أرادا

بـــذلُ صـــادٍ للمـــاء أقـــوى دليـــل أنـــه إن يُسَـــل ســـوى المـــاء جـــادا

يـــا كـــرام منـــي إلـــيكم ســـلام مـــا تحلـــى بالبـــذل حـــي فســـادا

وفي نفس الموضوع يقول اسماعيل بن سيدي عبدالله مدير مدرسة الربيع سابقا:

ناجعَ المـرعى إن أممـت بـلادا أُمَّ بيـرا لأربعـين جـوادا

نعم نجد البشام بَدْوا ومصرا نعم أستاذه ندى وسدادا

وقال أحمد بن اسويدي من الشعر الحساني:

أَبْيَـــارالْحَـــوْمَ كَـــامْلِينْ بَيْـــع الْـــمَ فِـــيهُمْ مَـــا ادْرسْ
للْخـــاطرْكُـــون انْتُـــوطْفِينْ هِـــــيَّ والَّ علْبَـــــادْرسْ

وأما الشعراء الوافدون بأصنافهم وأهل الحوائج الكبرى فقد أعدت لهم الحلة نفوسا سخية وصدورا رحبة وكرائم تلائد تعودت العقر والذبح وإفراد بناتها عن أمهاتها وإفراد أمهاتها عن بناتها في سبيل صيانة الأعراض بالعروض، قال الشاعر:

صون العروض وصون العرض شيئان لا يُجمعان على الإنسان في آن

فالعِرض إن صين باقٍ بعد صاحبه والعَرض فانٍ فويح الصائن الفاني

ومن فرائد حي الأربعين التي ما شاركهم فيها غيرهم مسؤولية "السّتْرَ" عند ما يسمى "لَعْصَارْ"، وبالنسبة لمن لا يعرف هذه المسؤولية فهي عبارة عن إحدى المحامد والخصال عند شباب الحلة حيث إن لكل مجموعة شبابية متقاربة في الأعمار دورا من القيام بمسؤولية هذا النوع من الأضياف، وهذا الدور عادة تتمسك به المجموعة عدة سنوات ثم تطلبه وتلح عليه المجموعة التي تليها في الأعمار، وربما تمسكت به المجموعة السابقة وفي تلك الحالة قد يقع صدام بين المجموعتين؛ فهذه تطلب وتلك تصر على مواصلة القيام بهذه المسؤولية فترة أطول، وفي مثل هذا يتنزل قول الشاعر:

وكسر الأواني بالدفاع مروءة يباين فضلا كسرها بالتجاذب.

وأخيرا في هذا الموضوع فإن من أكبر كرامات حي الأربعين أن أعراضهم سلمت من ألسنة الشعراء الهجائين الذين ما سلم منهم إلا القليل.

ألا ترى أن الله نجاهم بفضله من "بادة" أبو بكر (بَكَّنْ) المشهورة التي مطلعها:

وعاذلة هبت تلوم على مهل تعيرني بالفقر والعجز والكسل

وتظهر إشفاقا علي بزعمها وتوسعني نصحا بضرب من العذل

إلى أن قال على لسان عاذلته المزعومة:

وفيها إذا شَرَّقْتَ حلة تندغ لها شهرة فاقت بها سائر الحلل

وختاما بقي علي أن أذكر صنفا رابعا من أصناف الضيوف ألا وهم طلبة العلم المؤبدون الذين يفدون على شيوخ المحاظر للنهل من معين العلوم، ونفقات هؤلاء غالبا تكون على أساتذتهم مع ما تقتضيه الأعراف الكريمة من مساعدة الجميع لهم بما أمكن، وخصوصا شاة العقيقة وشاة المناسبات الاجتماعية وتُحَف "البَرَّايَ" وشربة القادم وغير ذلك، وغير وغير...

النظرة الخامسة: من حيث مصدرهم الاقتصادي الرئيس:

لنتقدم الآن إلى الأمام خطوة أو خطوات لنرى ما هو المصدر الأساسي لاقتصاد حي الأربعين الذي خولهم كل هذه العطاءات المنسابة انسياب الماء من الجداول والعيون الجارية، والحال أن السنين عجاف والسنابل يابسات، فماذا نرى؟!

حين ننظر بإمعان نجد أن نمط عيش الحلة لا يختلف كثيرا عن أنماط عيش مثيلاتها من قبائل الزوايا وفي مقدمة ذلك الحيوانات الأليفة والزراعات المطرية، وتختلف القبائل في اختيار وتفضيل بعض الحيوانات على بعض فمنهم من يفضل الإبل وبالأخص أهل الشمال ربما لكونها تتحمل العطش فترات طوال وهي أقوى من غيرها، ومن القبائل من يفضل البقر ربما لقلة حاجته إلى الرعاية دائما لأنه مرتبط - تلقائيا - بالمناهل وهذا على وجه العموم، أما من حيث فوائد البقر ومزاياه فهي جمة يكفي منها أن بقرة واحدة يملكها شاب من بني إسرائيل كانت له أم هو بها بر كونت معجزة باهرة لكليم الله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام حيث أمرهم بذبحها وضرب القتيل ببعض لحمها فأحياه الله حتى أخبرهم بقاتله، وبهذه البقرة سميت أعظم وأفضل وأطول سورة في القرآن الكريم، ولإن كان كبش إسماعيل عظيما وناقة صالح شروبة فإن هذه البقرة وصفها الله أوصافا حسية غاية في الحسن فهي مسلَّمة لا شية فيها وهي صفراء فاقع لونها وهي مسرة للناظرين، وكذلك بلحم عجل واحد من البقر أكرم سيدنا إبراهيم عليه السلام ضيفه المكرمين، والبقرة في حديث البخاري الذي في فضل التهجير إلى الجمعة هي المرتبة الثانية بعد البدنة، ولطلاب العلوم في المحاظر قصص ونوادر مع بقراتهم توطد العلائق بينهم مع جنس البقر إلى درجة تفضيله على غيره من الحيوانات، ولكن لحي الأربعين مع البقر قصة خاصة يندر مثلها أو قل إنه ينعدم، ذلك أنهم يعرفون مزايا البقر كما يعرفها غيرهم، ومن أبرزها وأبركها أنه ملائم لطبيعة الاستقرار والتحضر مما يجعله معينا على التعلم والتعليم وإقامة شعائر الله كالصلاة في الجماعات في المساجد والتعاون على أفعال الخير والبر وكإعمار الأرض بالمشاريع النافعة كحفر الآبار واستصلاح الأراضي الزراعية ونجدة الملهوفين وإغاثة المنكوبين، لذلك كان أغلب المحاظر الشنقيطية

يعتمد في حياته المعيشية على البقر، إلا أن تندغة الشرقيين بالإضافة إلى ذلك كله جعلوا من البقر مصدرا أساسيا لاكتساب المعالي والمحامد والذكر الجميل.

وهكذا فإن بقرهم لم يقتله الجفاف ولا الأمراض الفتاكة وإنما بقي حيا في نفوس الناس وعلى ألسنتهم رغم تقادم الأزمان وتوالي عاديات الدهور.

نعم؛ لقد ذهب الذين أعطوه وبالتأكيد ذهب الذين أخذوه غير أن تلك الجذعات الأربعين لم تذهب ولم تمت بل ظلت خالدة تالدة، ولعل السر في ذلك يرجع إلى كونها أعطيت في سبيل الله تعالى وليس للسمعة والمباهاة، وما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل، والأمر الثاني هو الطريقة المثالية التي أعطيت بها حيث إن كل فرد من رجال الحي اعتبر أنه وحده المعني بالرد الفعلي لا القولي على ذلك السائل، فكانوا كما قال طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ولهذا قلنا إن قصة الحلة مع البقر عديمة المثل، وليس معنى ذلك عندنا أنه لا يوجد في القبائل الأخرى كرام أسخياء ربما يعطون أكثر مما أعطته الحلة بل قد يوجد بعض العظماء الذين يعطي أحدهم هبات عظيمة ومنائح جليلة تفوق هذا إلا أنها لم يُكتب لها من القبول والشهرة مثل ما وقع لقصة الأربعين، وكمثال على هذا فقد باسطني أخي وصديقي الشيخ محمد مفتاح بن صالح قائلا: إن أولاد اتفغ حيبل أعطوا مائتي بقرة في مجلس واحد ومع ذلك لم تشتهر بالقدر الكافي.

ومن أعجب فوائد البقر على الحلة أن بقرة واحدة مريضة كانت سببا في قصة الزامل التي سبق ذكرها، ومن فوائد البقر علينا وهي أقربها منا زمنيا عندما زار الشيخ ابراهيم انياس بلاد موريتانيا وجال في الداخل حتى وصل إلى علب آدرس كانت هدية الحلة له إذ ذاك مائة بقرة، ونُسجل هنا بارتياح واعتراف

بالجميل أن هذه الهدية تساوى فيها تلاميذ الشيخ وغيرهم على حد قول الشيخ محمد عبد الله بن السيد:

ما في موريتن مذ أتيتم جوهر إلا وأصبح راقص الأعناق

سيان من ولي الطريق وغيره ملك الهدى للصدق ذو استغراق

فجزى الله الجميع أحسن الجزاء وتقبل صالح أعمالهم وجميل فعالهم.

وبما أني ربما أكون متهما في حب البقر أردت أن أجلب رأيا آخر وهو من العيار الثقيل كما يقال، إنه رأي العلامة لمرابط محمد سالم بن عدود حيث يعدد جملة من مزايا البقر في شعر ظريف، إذ يقول:

يعيبك أقوام بأنك مورد ذويك شتاء والنجوم رواكد

وتلك التي منها اصطفيتك مقتنى (مصائب قوم عند قوم فوائد)

معين لأرباب الطهور ومومن من اللوح إن قاد الوديقة قائد

ومن كثرة الترحال في كل شتوة بتيه تتيه البرت، والبرت قاصد

فأنت لروام الحضور مدائن وأنت لطلاب العلوم موائد

على رسلك الأقوام تطرق رافدا برسلك أكرم بالذي أنت رافد

ينال نداك المختبي وهو راقد ويجني جناك المحتبي وهو قاعد

وختاما فلعلي أطنبت في ذكر فضائل وفوائد البقر، فأشهد الله واشهدوا علي أنني لا أعبد إلا الله وحده لا شريك له.

النظرة السادسة: قصة الأربعين جوادا وحيثياتها المختلفة:

وأخيرا نطرح هنا أسئلة تخطر على بال كل مهتم بشؤون الحلة وهي:

1ـ ماهي الظروف الزمكانية لقصة أربعين جوادا؟

2ـ لماذا لم توثق هذه الحادثة العظيمة بتفاصيلها؟

3ـ من صاحب القصة الذي أخذ البقر وأطلق التسمية لأول مرة؟

4ـ لماذا لم تكن أربعين عالما أو أربعين عابدا أو أربعين شاعرا...؟

بادئ ذي بدء أستسمح القراء الكرام وكل مثقف شغوف بالاطلاع على مخبآت خدور التاريخ ليكشف الحجب ويرفع البراقع عن وجوه الحقيقة، وأصارح الجميع بأني أحب ما يحبون لكنني مع - الأسف - لا أستطيع تلبية هذه الرغبات الواردة في محلها والتي من حقها أن تُطرح ويُبحث لها عن أجوبة مقنعة.

نعم؛ كان بودي أن أقول لهم مثلا: في ليلة كذا من الشهر كذا من السنة كذا عند البير كذا قدم فلان بن فلان من قبيلة كذا على الحي كذا من تندغة الشرقيين يطلب منهم جذعة بقر فكان ما كان، وهنا يصدق علي وعلى مثلي قول الشاعر:

وددت وما تغني الودادة أنني بما في ضمير العامرية عالم

إلا أنني رغم قلة المصادر في هذا الموضوع أصلا وصمت الموجود منها عن التفاصيل فإني سوف أحاول أن أتلمس بعض الاستنتاجات وأطرح بعض الفرضيات التخمينية علها تقربنا شيئا قليلا مما نصبوا إليه.

أولا: في ما يتعلق بالظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت بقصة حلة أربعين جوادا، فهناك بعض المعطيات يمكن أن نجعلها منطلقا وذلك على النحو التالي: بما أن بئر انتوفكت العريقة كانت أول بئر في المنطقة أو من أقدم آبار الجماعة ولأن موقعها ممتاز وماءها غزير جدا فمن المرجح أن تكون من أكثر آبار الجماعة إيواء للسكان ومن ثم تكون محط رحال ذوي الحاجات مثل الرجل الذي ركبه دين غريمه صاحب الجذعة، وعلى هذا فإني لا أستبعد أن يكون أحد جوانب بئر انتوفكت هو مسرح أحداث القصة المذكورة.

هذا وإن لبئر انتوفكت قصصا أخرى من هذا القبيل تؤكد هذه الفرضية منها أن قصة "الْجَدْ" كانت عندها بالتأكيد، ومنها أن تجمع "دار الغبرة" الشهير كان عندها أيضا، ومنها شدة علوقها بقلوب العظماء والأجلاء، ألا ترون قولة باب بن الشيخ سيديا لجماعة الحلة: "أعطوني رُبُع ماء انتوفكت أَتَوَلَّ عنكم الديات جميعا".

وأما من الناحية الزمانية فإن المعطيات التاريخية توحي بأن القصة كانت بعد استقرار تندغة الشرقيين في ربوعهم الحالية، وذلك طبعا بعد انتهاء شربه بزمن يسير أي قبيل نهاية القرن الحادي عشر الهجري، وفي مذكرة الأستاذ محمد الحافظ بن بوري(أثر الدرس المحظري في الشعر الشنقيطي) عازيا للشيخ جار الله بن اخليفة والشيخة عيشة بنت الشيخ سيدي المختار ما يلي: (وبالجمع بين روايتين شفويتين إحداهما تذكر أن أَشْفَغَ مُحَمْدْنَلَّ المتوفى في حدود 1120هـ هو الذي كَمَّل الأربعين، والأخرى تشير إلى أن أَشْفَغَ بنْعَفَّانْ المتوفى في حدود 1110هـ كان في جماعة المسجد التي كانت حاضرة آنذاك، فإننا نرجح أن هذه التسمية أطلقت مع مطلع القرن الثاني عشر الهجري أو في العقد الأول منه على

وجه التحديد)، وإذا علمنا أن أشفغ محمدنل هو الذي حفر بئر انتوفكت[1] وكان يقطنها والرجل سائق الجذعات لقيه عائدا من السفر إلى أهله ربما تتأكد عندنا الفرضيتان معا مكانا وزمانا.

ثانيا: لماذا لم توثق هذه الحادثة بتفاصيلها؟

سؤال مشروع ووجيه وفي محله تماما ولكن يبدو أن الآباء والأجداد لم يهتموا به كثيرا، فعلوها وفعلوا أخواتها وتركوا التاريخ يقول كلمته بنفسه، والخير أبقى وإن طال الزمان به، وأما نحن - سامحنا الله - فيطوح بنا الفضول إلى محاولة التكهن بالجواب على هذا السؤال، ومن أجل ذلك نقول إنه هناك ثلاثة عوامل تضافرت كلها لتُسْكِت علماء حي الأربعين ومؤرخيهم ومثقفيهم حتى لا يسجلوا تفاصيل قصتهم المجيدة، وهذه العوامل الثلاثة حسب رأيي الشخصي هي:

1ـ أن القوم كانوا بدوا رحلا ليس عندهم وقت فائض للكتابة عن كل ما طرا وما جرى، فليس المهم عندهم ما يقال بل المهم عندهم ما يفعل.

2ـ أنهم فعلوا ما فعلوا ابتغاء وجه الله تعالى وليس للتباهي والتفاخر، ألا ترى أنهم لم يجيبوا السائل حين سألهم وإنما عقد كل واحد منهم العزم في نفسه على أن يكون صاحبَها دون غيره حتى صلوا الصبح فكان من أمرهم ما كان، ولا أستبعد أنهم كانوا يريدون إخفاء فعلهم هذا، ولكن الله تعالى أراد شيئا آخر وهو أن تظهر الفضائل والمحامد وأن يبقى الذكر الجميل لأهل الخير ليقتدي بهم ذوو الهمم العالية[2].

---

[1] انظر موسوعة العلامة الأستاذ المختار بن حامدن – دفتر تندغة، قسم الحلة، ص37 (مخطوط، بدار الثقافة).

[2] يقول الشيخ گلاه بن صلاحي في كتاب: إتحاف المبتغى، ص64 : (ومن حسان أخلاقهم - يعني تندغة - عدم ذكر ما فعلوه لوجه الله حتى يصير كأنه لم يكن).

3- أن لهؤلاء القوم نفوسا عظيمة تستصغر أفعالها العظام ولا تعتبر أنها تستحق الذكر والتنويه، على حد قول أبي الطيب المتنبي في مطلع إحدى سيفياته:

على قدر أهل العزم تاتي العزائم وتاتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

يُضاف إلى ذلك ما سبق ذكره نقلا من كتاب الشيخ گلاه بن صلاحي رحمه الله من أن تندغة فضلوا طريق التواضع ونكران الذات والابتعاد عن حب الظهور وتقلد المناصب وتولي أمور العامة وذلك رغبة منهم في الباقية الآجلة وزهدا في الفانية العاجلة.

ثالثا: من الرجل صاحب القصة الذي أخذ البقر وأطلق التسمية لأول مرة؟

لقد كنت أتوقع خلال بحثي عن المدونة الشعرية أن أجد نصا شعريا يروي القصة يكون موقعا باسم صاحبها تصريحا أو تلويحا، ولكنني حتى الآن لم أجد إلا روايتين شفويتين مختلفتين، إحداهما تعتبره من إخواننا وأبناء بناتنا جماعة إدابلحسن، وأما الأخرى فتعتبر أنه من إخواننا وأصدقائنا جماعة تاگونانت، وأيا يكن فجزاه الله خيرا على أنه كان سببا في حصول هذه المكرمة العظيمة.

أما الرواية أنه من إدابلحسن فلا تذكر اسما بعينه وإنما تطلق عليه اسم "رجل" فقط، وأما الرواية الأخرى فتذكر أنه يدعى اطفيل الگوناني وتنسب له نصا شعريا أعتقد أنه مأخوذ من قصيدة رائعة للشاعر أحمد محمود بن السيد البوحسني، وهذه القصيدة مشهورة في الأوساط المحظرية عندنا ومطلعها:

إن سُد باب دون نيل المقصد فاستفتحنه بالاربعين المُجَّد الخ..

والذي تصرف في هذا النص جعله من بحر الرجز[1] وهو في الأصل من بحر الكامل، والنصان موجودان عندي ولكني اعتبرت الكاملية لولد السيد، وله رائية أخرى في مدح الحلة وكلتاهما جيدة ولسانهما واحد، والذي أعتقده أنا شخصيا أن صاحب القصة من جماعة تاكونانت وأنه هو المسمى اطفيل الكوناني، وهذا كان ظنا مني وتكهنا فقط، وأخيرا قوي ظني هذا برواية ذكرها لي الأخ محمد يحي بن بفا ومفادها أن رجلا صديقا له من تاكونانت يسمى عبد القادر ولد امَّنْيَّاهْ[2] يعترف ويؤكد أن أحد أجداده هو صاحب القصة وهذا غير مستبعد عندي، وقد تعرفت أخيرا - بواسطة أحد الأصدقاء - على رجل من تاكونانت يدعى باباه ولد عبد السلام أكد لي قصة اطفيل المذكور وأن أباه يدعى محمد (الملقب: الطلبة)، وأنه – أي اطفيل -كان يجيد الشعر الحساني - لا العربي - وأنه كان هَجَّاء ويحفظ نماذج من هجائه أسمعني بعضها[3] فحمدت الله الذي وفق الجماعة لإكرامه، وأكد لي هذا الرجل أن اطفيل مدح الحلة بكاف وطلعة ضاعا من حفظه وتعهد لي بالبحث عنهما في أوساط حيهم، ولكن حتى الآن لم يجد لي ما طلبت منه.

---

[1] مطلع هذه القصيدة من النص المنتحل: إن سد باب دون نيل المقصد فاستفتحنْ بالأربعين المجد.
فقد حذف حرف الهاء من كلمة "فاستفتحنه" لتصبح موافقة للقصيدة، وهكذا أصبح النص الرجزي مسلوخا من النص الكاملي فجاء ركيكا تبدو عليه أمارات الصنعة والتكلف.

[2] عبد القادر هذا لقيته هاتفيا وأكد لي الخبر، وللتعريف به فهو صاحب النازلة مع مدير التعليم الثانوي سابقا في مكتبه.

[3] من ذلك على سبيل المثال أن أباه أرسل له يوما ناقة حلوبا فاستقل لبنها، فقال:

مُحَـمَّدْ جَـابـنَّ نَـاكَ يَعْمَـلْهَ فِيبـلْ طَـفَاكَ
لُ كَانتْ فَ ارْض اَمَسَّاكَ وُشَـتَّ مـنْ لَبَّ يسْكِـيهَ
مَـا تطْـفِ جَمْـرَ لُ لاَكَ هُـوَّ بَكْفَـافُ يمْـرِيهَ

فأرسل إليه ـ مع أمة تدعى مَچَّمْ ـ بقرة اسمها گَطِّ فاستقل لبنها أيضا، فقال:

ابْگيـرتْ گَـطِّ مَصَحَّ جَابتْهَـالِ لَيْـلَ مَچَّـمْ
لُ كَانتْ نـگَّطَ تَحْت احَّ مَا تَفْصَلْ بَيْن احَّ واجّمْ.

رابعا: لماذا لم تكن التسمية بعنوان آخر مثل حلة أربعين عالما أو أربعين شيخا أو أربعين شاعرا...الخ؟

كل هذه العناوين وما يمكن أن يُعطف عليها من النعوت الخيرة الدالة على الصفات الحميدة والخصال النبيلة كان موجودا بوفرة في تندغة عموما وفي الشرقيين خصوصا، وقد نال كل من هذه الطوائف حظا مناسبا من الشهرة والذكر الجميل، إلا أن الشهرة الكاملة قد استأثر بها الأجواد دون غيرهم وذلك لأن منافعهم كانت متعدية إلى غيرهم حيث أطعموا الطعام على حبه وآثروا المحتاجين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فُحمدوا على ما أسدوا من صنائع المعروف وأفعال الخير وخلد ذكرهم في صفحات التاريخ المشرقة، فأصحاب الحوائج والمقترون لا يعنيهم ما يفعله الأشخاص من القربات والطاعات لأنفسهم وإنما يعنيهم ما يصل إليهم من العطايا والهبات، ويرى بعض الشعراء أنه في حل من أعراض من لا اعتناء لهم بحوائجه ومتطلباته قال أحدهم:

فمن لم يصن بالبذل عني عرضه ولم يتفقد فاقتي بعنايته

فما أوجب المولى علي صيانة لعرض أخي عرض أبى عن صيانته

وهذا قريب من قول الآخر وهو أحمدو ولد عبدالله الملقب "الذيب":

نحن الذئاب حبانا المصطفى رخصا أنا لنا ما اختلسنا والذي ضاعا

يا قوم لا تتركوا أعراضكم هملا فالذيب يعرض للأعراض إن جاعا

ولهذا في نظري كان عنواننا وبطاقة تعريفنا الخاصة "حلة أربعين جوادا" قال سيدي محمد ول الكصري:

حلَّ هِيَّ بَلّ الْمِعَادْ دَبْش الثّكْلَ مَا يَدْبَرْهَ

وِلَ يَكَـــــــــان ادْبَـــــــــرْهَ زَادْ هِـــيَّ ترْفـــدْ فُـــوك ادْبَـــرْهَ
الِّ هِـــــيَّ حلّـــــتْ لَجْـــــوَادْ حلّـــــتْ لَجْـــــوَاد ايْعَمَّـــــرْهَ

النظرة السابعة: من حيث قصة الميسم الخاص بالحلة وتندغة عموما:

إن الرواية التي عند بعض المؤرخين، مثل ما ذكره الأستاذ محمذن بن باباه في تحقيقه لكتاب شيم الزوايا هي أن أميرا من أولاد امبارك يدعى اِلَّبْ ول اشْويخْ كان صديقا حميما لتندغة أو أنه تلميذ لأحد مشائخهم، أنه هو الذي أهدى لهم الميسم المسمى "ادْجَيْجَ" ليحموا بها مواشيهم من غارات خصومهم.

وهذه الرواية لا أعتقد أنها صحيحة بل أكاد أجزم بأنها من الأغلاط التاريخية الفادحة، وذلك لأمور منها على سبيل المثال:

أولا: أن تندغة هم الأقدم في الأرض وهم سكانها سلما وحربا من عهد المرابطين بل من قبل ذلك بكثير، وقد مر بنا قول النابغة الغلاوي:

واعلم بأن الأرض أرض تندغا ومن أراد سبقهم فقد بغى

وعليه فلا بد أن ميسمهم هذا كان عندهم من قديم الأزمان، أما الإمارات الحسانية فإنها جاءت أخيرا في هجرات متتالية من الشمال وسبب قدومها معروف تاريخيا، وذلك ما بين القرنين الهجريين الثامن والتاسع.

ثانيا: أن العلامة الشيخ محمد أحمد ول الرباني(1266- 1353هـ) قد صرح في رائيته الفخرية بقدم تندغة في الأرض فقال:

بــلاد بها أحيــاؤنا وثــواؤنا ينيـف على حـاء المئيـن أو اكثرا

وذكر الميسم وسماه الحبارى - ولا مشاحة فيما بين الحبارى والدجاجة - فقال:

ونقش الحبارى في صفي قبورنا يلوح عليها كالنجـوم أو ازهـرا

ثالثا: أن الأمر قد يكون بالعكس تماما، لأن عادة أمراء بني حسان أن يضعوا علامات أشياخهم على ممتلكاتهم وذلك للتبرك بها من ناحية، ومن ناحية أخرى لتسلم مواشيهم من غارات أعدائهم في الحروب وهم في الغالب في حروب مستمرة سواء كانوا غالبين أو مغلوبين، ثم إن أهل النخوة منهم وأصحاب المروءة لا يعتنون كثيرا باقتناء الأموال وادخارها لأنهم يُعيَّرون بذلك لما فيه من الدلالة على البخل وعدم السخاء، وعليه فلعل ما ذهبت إليه تلك الرواية يعني أن كثيرا من القبائل التي كانت في حلف مع تندغة أخذت ميسمهم وجعلته على مواشيها لحمايتها لأن تندغة كانوا إذّاك قوة ضاربة وقلعة منيعة لا تُهتك حرمتها كما صرح به كثيرون ومنهم الأستاذ محمذن بن باباه نفسه كما تقدم.

وأما إذا عدنا إلى محمد امبارك اللمتوني في منظومته في التاريخ والتي ذكر فيها قبائل لمتونة متحدثا عن قبيلة لمتونة التي بقيت بالاسم، قال:

لأجل ذا خُصوا بهذا الاسم دون شعـوب حمير والميسم

وهو الذي حميـر كانـت اَولا تضعه على مواشيـها (فلا)

فيمكن أن نجد تأصيلا لهذه العلامة التي نجعلها على الدواب وعلى صفي القبور وعلى الأشجار العظيمة لحيازة أرضها كما في "أَكَادَ التَّيْدُومْ" عندنا مثلا، ففي كتاب الشافي: (الميسم الحديدة التي تُكوى بها الدواب للعلامة تمييزا لها عن غيرها وهي مفعل من الوسم (الكي) وسم يسم وسما وسمة: والهاء عوض عن

الواو)[1] ومما ذكر ابن الأثير في هذا الكتاب أن سمة إبل الزكاة كانت "لله" وأن سمة أموال الجزية كانت "صغار" وعلى هذا فهل يمكن أن نربط العلاقة بين كلمة لله وكلمة "فلا"؟ أعتقد أن ذلك ممكن وارد تماما فإن الفاء من "فلا" قد تكون منقلبة عن الهاء من "لله" وذلك بجعل اليسار يمينا وإضافة نقطة على الهاء لتصبح فاء، ومعلوم أن المطلوب هنا هو وضع علامة مميزة فقط وليس الالتزام بقواعد الهجاء أصلا، وأما ميسم تندغة وهو الحبارى أو الدجاجة فمن السهل أن نربط علاقة وطيدة بينه مع ميسم لمتونة الأصلي وهو "فلا" فإذا أسقطنا دارة الفاء وجعلنا نقطتها بين الأصبعين الأخيرين من الدجاجة تبقى لنا الدجاجة إلا أن قاعدتها في أعلى الشكل وخطوطها الثلاثة إلى أسفل، وهذا التحريف في الأشكال ضروري ليتميز بعضها عن بعض.

للتوضيح: انظر إلى الشكل التالي:

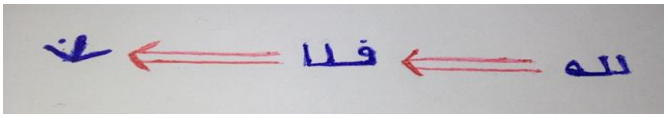

مع أن هذا يبقى افتراضا فقط، والله أعلم وأحكم.

[1] كتاب الشافي شرح مسند الشافعي لابن الأثير، ج2 ص140

سادسا:

الديوان الشعري

وملحقاه

نظرة خاطفة في مدائح حي الأربعين:

إننا هنا لسنا بصدد دراسة فاحصة لمدونة الأشعار التي تتحدث عن أمجاد الحلة وتذكر مآثرها وفضائلها الفذة وخاصة ما يتعلق بجودها وكرمها، وإنما نود أن نلقي على هذه المدائح نظرة مجتاز ومن الخارج فقط، وذلك على شكل ملاحظات تلخص للقراء بعض الجوانب الشكلية في هذه المدونة.

أولا: أن هذه المدائح أو ما يمكن أن نطلق عليه ديوان الحلة لم تكن مجموعة في دفتر واحد بل ولا نصفها ولا ثلثها وإنما كانت متفرقة تجد منها نصا أو نصين أو ثلاثة في بعض مكتبات الحلة ثم تسمع عن نص في مكان آخر لا يوجد منه أحيانا إلا بيت واحد فتصل الليل بالنهار بحثا عنه وإن وجدته في أحسن الأحوال تبقى معلق قلب تبحث عن القائل وعن المناسبة، وهكذا فقد كان اهتمامي وشغلي الشاغل هو جمع المدونة أولا، أما تحقيقها وتراجم أصحابها فهو أمر صعب جدا وأحيانا يكون مستحيلا، ورغم ذلك فإني بذلت جهودا كبيرة في إبراز هذه النصوص لا كما ينبغي بل كما هو ممكن فقط، هذا في ما يتعلق بالقسم الفصيح وأما القسم الشعبي من مدائح الحلة فقد وجدت منه جزءا كبيرا في كتاب: "الشباك في أدب الحلة وتناك" لمؤلفه الأستاذ الشاعر البشير بن الفتى أحمد سالم، وهذا الكتاب كان مبادرة ممتازة حيث إنه جمع الكثير من تراثنا الأدبي الشعبي فجزى الله مؤلفه خيرا.

ثانيا: يمتاز أغلب هذه النصوص بالروعة الفنية وبصدق العواطف، وتنقسم هذه النصوص من حيث بواعثها إلى قسمين كبيرين، فأما أحدهما فهو المدائح ذات الطابع المادي وأما القسم الآخر فهو الإخوانيات التي تمليها المناسبات والعلاقات الاجتماعية والتبادلات الثقافية...

ولرمزية عدد الأربعين عند الحلة وأيضا لعامل الصدفة العجيب فإني قد وجدت وجمعت أربعين نصا شعريا فصيحا من غير شعراء الحلة وفخرياتهم الرائعة ومن غير شعراء الحسانية، وهذان القسمان الأخيران من مدائح الحلة جعلتهما ملحقين بالديوان الفصيح.

ثالثا: أذكر هنا أني تجنبت - عن قصد - ذكر المدائح الشخصية لعلمائنا الأجلاء ومشائخنا الأفاضل لأن أغلب هؤلاء سبق أن تُرجم لهم وكُتب عنهم وأيضا لأن ذلك من شأنه أن يجرني إلى تطويل ممل ويبعدني عن الموضوع الأساسي الذي هو مدائح الحلة عموما لا خصوصا، غير أني إذا وجدت مدحا للحلة من خلال مدح إحدى الشخصيات الاعتبارية فإني آخذه وأثبته ضمن ديوان الحلة.

رابعا: يشتمل هذا الديوان كما أسلفت على أربعين نصا شعريا فصيحا وهذه النصوص متفاوتة الأحجام ففيها البيتان والثلاثة ومنها المتوسط وقد تطول حتى تبلغ أربعين بيتا كما في يائية الدكتور ابراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا، وهذه القصيدة لو لم يوجد للحلة من المدائح غيرها لكفت وأغنت وأروت وأنهلت وأعَلَّت.

خامسا: إذا كان أغلب الدواوين الشعرية في العادة يتحد قائلها وتتعدد مواضيعها فإن ديوان الحلة هذا يتحد موضوعه ويتعدد قائلوه، إذ إن عدد شعراء هذا الديوان يبلغ خمسة وثلاثين شاعرا منهم خمسة لكل منهم نصان، هذا طبعا من غير شعراء الحلة ومن غير الشعراء الشعبيين، أما البحور التي كانت قوالب لهذا الشعر فهي سبعة: الطويل-الوافر-الكامل-البسيط-الخفيف-السريع-الرجز، ويبلغ عدد أبيات الديوان حوالي أربعمائة وخمسين بيتا، وقد رتبت قصائد الديوان حسب حروف قوافيها وليس على الترتيب التاريخي للشعراء ولا على أي اعتبار آخر.

وأخيرا وليس أخيرا فإني أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأساتذة محاظر الحلة وجميع فرسان ميادين الثقافة داخل وخارج الحلة لِمَا أسدوا لي من العون والتعاطف خلال مهمتي البحثية، فلا أكاد أصف ما ينتابني من الفرح والسرور حين أستقبل بشارة بنص يرسله إلي أحد الإخوة أو يهاتفني به أو يذكر لي أنه وجد له ذكرا عند غيره، ولا أخفي عن القراء أني لم أكن أثناء البحث من الذين لا يسألون الناس إلحافا، فليتقبل أولئك الذين أكثرت عليهم في السؤال معذرتي وشكري والسلام.

قافية الباء:

01- يقول الشيخ أحمد بن آل محمد ول الشيخ سيديا يرثي العلامة الدنبجة ابن معاوية من قصيدة مطلعها:

سقى جدثا فيه الدنبج مغيب سحائب رحمى تنهمي وتصبب

إلى أن يقول:

وإن لنا منكم أياد نضيرة يشيب الغراب وهي أبقى وأطيب
عليكم بهذا الصبر ضربة لازب أوائلكم فيها المكارم سبسب
محامدكم يا أربعين خوالد لآلئ إلا أنها لا تثقب
وما هي إلا شيمة مطمئنة توارثها الأجداد شيما ترتب

02- ويقول محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري[1] من قصيدة يرد فيها على محمد ابن مسكه التندغي[2]:

أيا مرحبا بالتندغي وشعره وأهلا به من ذي قريض وكاتب

---

[1] هو محمد صالح بن عبد الوهاب العالم الشهير الشاعر النحرير والقاضي العادل صاحب الفصل في المسائل، من علماء القرن 13هـ، وقفت على نص حكم جريء أصدره على أهل الشوكة والبأس من أولاد اشبيشب، ورد في كتاب: مختارات من الأدب وومضات من التاريخ لعبد القادر الجكني، ولمحمد صالح هذا بعض المؤلفات مثل: الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية.

[2] كان محمد مسكة هذا قد قدم على السيد القاضي محمد صالح بن عبد الوهاب ومدحه بقصيدة يطلب منه فيها العون على دفع بعض الظلمة في تلك الناحية كانوا قد أغاروا على عير له، فلبى طلبه، ومطلع هذه القصيدة:

أيا صالح الخير الكريم ركائبي دعتك إلى تهوين بعض النوائب
صحبتك لما أوصلتني ركائبي إلى بابك الميمون نجب الركائب
وأيقنت بالإنصاف لما أنختها إلى ناصري للمحامد كاسب
له منبت في الصالحين وينتمي إلى عابد الوهاب أنجب طالب

أتانـــا قـــريض التنـــدغي محمـــد بِـــدُرِّ المعـــاني فـي انتظـام الكواكـب
أتانـــا بوفـــد الصـــالحين عنايـــة بنـــا ولهـــم يبغـــي انتصـــار المُصـــاحب

إلى أن يقول:

أتانـــا رجـــال مـــن ذوائـــب تنـــدغ قـــد انتســـبوا منهـــا لخيـــر المَناســـب
أتـــوا بعلـــوم نيـــرات صـــحيحة وقـــد أظهـــروا منهـــا عيـــون العجائـــب
وقـــد طوقونـــا نعـــم مـــا طوقـــوا بـــه بمـــدح كتطويـــق الحســـان الكواعـــب
وإنهـــم منـــا بمـــا مـــدحوا بـــه لأولـــى وأعلـــى رتبـــة فـــي المناصـــب
وإن كنـــت مـــن أصـــل الأعـــارب نســـبة فقـــد فضـــلوني فـي لســـان الأعـــارب
جـــزى الله خيـــر الوافـــدين ورهطـــه علـــى قولـــه فينـــا بخيـــر المواهـــب
ســـنجزيهم حتمـــا علـــى قـــدر قـــدرنا فقـــدرهم لـــم يحصـــه عـــد حاســـب

03- ويقول أحمد محمود بن الصافي العلوي:

ســـماكم كفـــى مـــن ذروة المجـــد والعلـــى ومـــن قـــال ذاك الإســـم لـــيس بكـــاذب
ولكـــن قـــدر الإســـم يعلـــوه وســـمكم بأضـــعافه والإســـم ضـــربة لازب

قافية الدال:

04- يقول أحمد محمود بن السيد الحسني:

إن سُـــد بـــاب دون نيـــل المقصـــد فاســـتفتحنه بـــالأَربعين المجـــد
التنـــدغين المبتغـــين إلـــى العلـــى وإلـــى المكـــارم ســـلما فـي المصـــعد
والفـــارجين عـــن اللهيـــف كروبـــه والعـــارجين إلـــى ســـماء الســـؤدد
والخـــالطين فقيـــرَهم بغنـــيهم والباســـطين البـــذلَ للمســـترفد

والذائـدين عـن الحمـى وحريمـه ... والقائـدين المكرمـات بمقـود
والصـائمين الخاضـعين لـربهم ... والقـائمين الـراكعين السـجد
تبـدو بهـم للنـاظرين إلـيهم ... سـيما الشـفوف كغُـرة في أسـود
فهـم الأجلـة في القلـوب مهابـة ... وفخامـة وزعامـة لـم تُجحـد
وهـم الثقـال مـن الحلـوم وفي اللِّقـا ... وهـم الخفـاف إلى نِـدَا المسـتنجد
وهـم محـط الـراغبين رحـالهم ... للنائبـات وكـل خطـب مُؤْيِـد
هـم بـين شـيخ عـارف متعبـد ... وعُبـاب علـم للعلـوم مجـدد
ومهـذب سـمح الخليقـة ماجـد ... مـأوى الأرامـل في السـنين ممجـد
حمـال أعبـاء العشـيرة كلهـا ... بـذال طـارف مالـه والمتلـد
مـن تلـق مـنهم قلـت هـذا خيـرهم ... مثـل النجـوم بهـا اهتـداء المهتـدي
يـا حـاطمين عـداهم يـوم الـوغى ... بمثقـف وبمرهـف ومهنـد
زحـف العـدا بعرمـرم وسَـنَوَّر[1] ... وقنابـل وبِـيَعْمَلاتٍ وُخَّـد
صـاولتموهم في اللقـا فـإذا هـم ... جثـث وَهـامٌ قـد حُصـدن بمحصـد
لـم يبـق غيـر مصـفد في كبلـه ... وطريـد فَـلٍّ مغـورين ومنجـد
وبقيـتم بنسـائهم ونهـابهم ... وبعـزة قعسـاء صـدر المشـهد
شِـيَم تطيـب بهـا الشَّـمول لشـارب ... مـن طيبهـا وتفـوق لـون العسـجد
وكـذاك دأبكـم القـديم مسـاعد ... للمجتـدي ومـدافع للمعتـدي
فتبـارك الله الـذي أعطـاكم ... مـا لـم تنلـه سـادة مـن سـيد
لـو نـال مرتفـع المقـام ذرى السـما ... فـي المكرمـات لنلتموهـا باليـد
خضـعت لكـم عظمـاء كـل قبيلـة ... وعنـت خضـوع العبـد للمسـتعبد
مـا كـان مـن ملـك ولا مـن سـوقة ... مـن خـوفكم إلا ومـنكم يفتـدي

[1] السنور: جملة السلاح، ويطلق أيضا على لبوس الحرب.

يخشــون إن لــم يســتكينوا صَـيْلَما[1] تـــرميهم رميـــا بِصُـــم الجلمـــد
فجمعـــتم فـــي عـــزة ورزانـــة زي الملـــوك والاَصـــفياء العُبَّـــد
أخـــوالي الأعلـــين أنـــتم مفزعـــي مهمـــا دهـــاني كـــل خطـــب أنكـــد
مـــن ضـــمه بـــرح الطـــوى يفـــزع إلـى أخوالـــه يشـــبع ويـــرو ويســـعد[2]
أأحبتـــي إنـــي جلبـــت إلـــيكم شـــعري ومـــا يممـــت ســـوق المكســـد
إذ إنكـــم أهـــل الثنـــاء وعنـــدكم ربـــح البضـــاعة بالثنـــاء الجيـــد
لأحـــط عنـــي مـــا علـي مـــن الـــردى وأَرُمَّ حـــالي بعـــد دهـــر معتـــد
فـــالله بـــارك فـــيكم وحبـــاكم مـــن كـــل مـــا تبغـــون أقصـــى المقصـــد

05- ويقول الأستاذ ابراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا[3]:

يـــا واحـــدا مـــن أنـــاس بَـــذَّ واحـــدهم جمعَ الورى في العلى والكل حاسدهم
يســـعون للمجـــد ســـعيا لا مثيـــل لـــه لـــذاك قـــد ســـبق الـــورادَ واردُهـــم
قـــوم كـــرام تقـــى الـــرحمن شـــيمتهم والـــدين في كـــل مـــا يـــأتون رائـــدهم
فيهم غطاريف من بحر الهدى اغترفوا قد آب بالفوز طول الدهر قاصدهم

---

[1] الصيلم: الداهية تستأصل من تصيب، وهي من أسماء السيف.

[2] إشارة إلى المثل الحساني: الل جاع ايگيس أخوالو.

[3] قال هذه القطعة ردا على أخرى أرسل بها المؤلف إلى أهل الربيع بعدما تم تحويله عنهم حيث كان معلما في مدرستهم، وهذه الأبيات هي:

أهل الربيـــع لُحي الدهر حـــاسدهم قوم أمـــاجد لا تُحصى محـــامدهم
فالعلم والحلم والمعـروف عادتهم ناهيك من فضلهم أنْ ذي عوائدهم
قد نال مأمولَه من كـــان واجـدهم ولم ينـــل مـــا رجا من هو فـــاقدهم
يقفـــون للشيـــخ آثارا تقـــودهم نحو المكـــارم نعم الشيـــخ قائدهم
وفيهـــم من بنيه الســـادة الفضـلا أئمـــة فاز بالمطـــلوب قاصـــدهم
فهم أبـــاة الخنـا مـــا إن يقـــاربهم وهـــم رواد النـــدى ما إن يبـــاعدهم
أولاهـــم الله من نعـــماه أدومـــها وحُقـــقت لدن المـــولى مقاصـــدهم

كـــم فـــيهم مـــن أديـــب شـــاعرذرب هـــذي قصـــائدهم بـــل ذي فرائـــدهم
والحلـــم خلقهـــم والبـــذل عـــادتهم لـــذاك قـــادهم في البـــذل قائـــدهم
إليـــك نـــازع هـــذا الحـــي شـــوقهم فهـــل على برحـــه وصـــل يســـاعدهم؟

06- ويقول أبو إسحاق بن الشيخ من أهل الطالب أحمد:

مـــن يـــرد حـــي أربعـــين جـــوادا نـــال ســـقيا موافقـــا مـــا أرادا
بـــذل صـــادٍ للمـــاء أقـــوى دليـــل أنـــه إن يُســـل ســـوى المـــاء جـــادا
يـــا كـــرام منـــي إلـــيكم ســـلام مـــا تحلـــى بالبـــذل حـــي فســـادا

07- ويقول إسماعيل بن سيدي عبدالله الإبييري:

نـــاجعَ المرعـــى إن أممـــت بـــلادا أُمَّ بيـــــرا لأربعـــــين جـــــوادا
نِعْـــم نجـــد البشـــام بـــدوا ومصـــرا نعـــم أســـتاذه[1] نـــدى وســـدادا

08- ويقول العلامة محمد سالم بن عدود في مطلع قصيدة يرثي بها الشيخين القاضي محمد يحي بن محمد الدنبجة والعالم الشاعر المصطفى بن معاوية:

نَـــوِّهْ بحلـــة الاربعـــين جـــوادا واذكـــر جبـــال ســـراتها الأطـــوادا
مـــا مـــات منهـــا ســـيد إلا افتلـــت فيهـــا غلامـــا فـــي الربـــاط فســـادا[2]

---

[1] يعني الأستاذ صفة ولقبا الدنبج بن معاوية.
[2] يشير إلى قول بشامة بن حزن النهشلي: وليس يهلك منا سيد أبدا إلا افتلينا غلاما سيدا فينا
وذلك من قصيدة مطلعها: إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا.
إلى قوله: إن تُبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا. وليس يهلك....

09- ويقول محمذن بن الفالِّ الديماني:

يـا حلـة الأربعـين جـودكم قـادا ... بـه الإلـه جميـع الخلـق فانقـادا
يـا أطيـب النـاس أخلاقـا مطهـرة ... وأكـرم النـاس آبـاء وأجـدادا
أقمـار ليـل الـدجى مهمـا يغـب قمـر ... تبـدو الأهلـة أقطابـا وأوتـادا

10- ويقول محمد سِيدْ بن محمد سِيدْ رحمه الله مهنئا أخواله وأعزاءه حي الأربعين جوادا بمناسبة دعوتهم الكريمة للصلح بين أولاد أبييري:

مـاذا تـرين فهـل تـرين إسـعادي ... أيـا سـعادي أم اقصـائي وإبعـادي
شـأن المحـب إذا ألـوى بـه شـجن ... تـذراف دمـع علـى الخـدين رواد
مـالي وتلـك المهـاة فـي خمائلهـا ... تحـت الشـعاع رعـت بانـاً بأوهـاد
ترنـو بطـرف لأطفـال مخـدرة ... تخشـى حبائـل أعـواد لصـياد
نعـم فهـل تركـت منـي علـى مضـض ... إلا قليـل صـبابات بأكبـاد
دعـي التـدلل والهجـران قـد سـلفت ... بعـد الشـباب لُيَـيْلات لأنـداد
إنـي استشـرت فهـل تـرين وصـلكم ... جرمـا بشـرعكم يـا جـارة الـوادي
قالـت وكيـف وصـال لا مـرام لـه ... وهـل لشـيخ سـوى وجـد لعبـاد
فاقصـد علـى جـذل نجـد البشـام إلى ... مرمـى السـيادة في هاتيـك الانجـاد
إلـى أجـلاء مـا فـي النـاس مـثلهم ... أربـاب حلـم وأقطـاب وأوتـاد
ولْتَعْـدُ ممتطيـا ظهـر السـفين إلـى ... حيـث المقـام مقـام القـوم الاَمجـاد
فهـم حمـاة لضـاد العـرب قاطبـة ... فهـل تـرى غيـرهم كفـؤا لـذا الضـاد
أمـا الكتـاب فأشـياخ لمقرئـه ... إلـى الإمـام أبـي ذرعـن الهـادي
صـوام يـومهم خـدام ضـيفهم ... تـلاة لـيلهم ليسـوا برقـاد
طـرق التصـوف إن درت مشـائخها ... على النـوادي فهـم أولى بـذا النـادي

والاشـــعري إذا قامـــت مذاهبـــه أســـبرتم عمقهـــا إجـــلاء الاَبعـــاد
ثـم الصـلاة علـى خيـر الـورى وعلـى أصـــحابه آلـــه هـــداة الاعبـــاد

11- ويقول آخر[1]:

ألا حـــي حـــي الأربعـــين جـــوادا تحيـــة مســـك طيبهـــا يُتهـــادى

إلى أن يقول:

فـإن كنـت تبغي الجـود والعلـم والتقى فحســـبك حـــي الأربعـــين جـــوادا
فهـم معشـر قـد شـاع في النـاس فضلهم فمـــا مـــثلهم حـــي تـــولى القيـــادا
يحـــوزون أفهامـــا ثواقـــب فـي الـــدجى وألســـــنة مـــــن البيـــــان حـــــدادا
فكـم فـيهم مـن سـيد سـاد بالهـدى وقـــام بـــأمر الحـــي إذ هـــو ســـادا
وكـــم فـــيهم مـــن عـــالم عـــم نفعـــه بعلـــم فـــأحيى بـــالغيوث بـــلادا
وكـــم فـــيهم مـــن منفـــق كـــان للـــورى ثمـــالا يـــوالي بلغـــة وشـــهادا
وكـــم فـــيهم مـــن عابـــد قـــام مســـجدا فـــراوح ذكـــر الله فيـــه وغـــادى
وكـــم فـــيهم مـــن قـــائم الليـــل صـــائم يـــرجح للأخـــرى طـــوى وســـهادا
ســـعوا في امتثـال الأمـر إجـلال ربهـم كـــذاك اجتنـــاب النهـــي ممـــن أرادا

12- ويقول سيدي عبدالله بن أحمد دامو الحسني[2]:

يـــا حلـــة دأبهـــا الإحســـان والجـــود وفضـــلها لمريـــد البـــذل ممـــدود

---

[1] هذا النص سمعت به وكلفني كثيرا من البحث حتى وجدته عند الأخ محمد عينين بن الشيخ سيدي المختار في ورقة قديمة تمزق بعضها، وأخذت منه المتعلق بمدح الحلة، وقبله مدح للمسمى: محمد بن مسكه وأخ له لم يذكر اسمه، وليس في الورقة اسم الشاعر ولا المناسبة التي قيل فيها.

[2] هو سيدي عبد الله بن أحمدامو البنعمري الحسني من أعلام قبيلة الحسنيين وفحول شعرائهم، كان تلميذا للشيخ سيدي الكبير، توفي عام 1264هـ و دُفن في مقبرة "بُجَمَّ" جنوب مدينة انواكشوط.

وافيـتكم ماضـيَ الأعـوام سـائلكم ونلـت مـن فضـلكم مـا هـو مقصـود
لا تعجبـوا مـن مجيئـي العـام ثانيـة فالمنهـل العـذب بعـد الـورد مـورود

13- ويقول العلامة الشريف محمد لبات بن لولي بن اليعقوبي:

دع ذكـر أيـام دهـر غيـر مـردود ولا تصـف غانيـات الخُـرَّد الـرُّود
ولا تصـف خَبـب النجـب العتـاق إلى ملـك مفـدى عليـه التـاج محشـود
واذكـر منـازل أقـوام ذوي كـرم قـوم هـم خيـر مقصـود ومـورود
نجـد البشـام أيـا مثـوى الكـرام ويـا أولـى مكـان بتقـدير وتمجيـد
لازلـت لازلـت فـي خصـب وعافيـة أنـت المغيـث لملهـوف ومجهـود
نجـد البشـام سـنى العمـران والبيـد سُـقيتَ طَيِّـب تهتـان التجاويـد
حُييـت حُليـت حليـا لا تُقلَّـده عَـذْرَا ولـم يـك فـي نجـد بموجـود
حليـت حلـة أقـوام ذوي شـرف بهـا تسـنمت أطـواد الجلاميـد
يـا حلـة الفضـل والإحسـان أجمعـه فيـك النـدى والجـدى حلـى بتأبيـد
يـا حلـة المجـد والأجـواد والجـود ديـدانك البـذل فـي الـلأوا بتبديـد
يـا حلـة العلـم موروثـا برمتـه عـن الجـدود وعـن أحيـا أماجيـد
مبـرأون لـدى ذكـر الخنـا، ولـدى ذكـر العلـى ذكـرهم يعلـو بتصـعيد
جنـابهم لـين للخـاملين وهـم شـوس لأشـوس من مستكبري الصيد
عِمِي صباحا أبيت اللعن مالكة الـ ـمحامد الغـر حتـى انقـدن بالجيـد
وقـد ملكـت جميـع المكرمـات وقـد شـيدت ركـن المعـالي أي تشـييد
والـدين شـدت بعلـم نـافع وتقـى وسـنة وتـلاوات وتجويـد

كـم فيـك مـن واحـد الآحـاد ذي كـرم ... يـدعى ابـن بجـدتها[1] بـالعلم محمـود
مـا فيـك إلا ابـن إحـداها فتـى بطـل ... نـــدب تقـــي نقـــي غيـــررعديـــد
رأس النعامـة يـوم الجمـع فـزت بـه ... يـا حلـة المجـد والأجـواد والجـود
ثـم الصـلاة على خـير الـورى وعلى ... آل النبـي وعلى الصـحب الصـناديد

قافية الراء:

14- ويقول أحمد محمود بن السيد الحسني:

عوجـا معـي لأرى دار اللـوى وأرى ... ربعـا بجنـب المـراء بعـدنا دثـرا
وأربعـا بـالحُمَيرَا عنـدها غنيـت ... أم الربـاب ودُورا دونهـا أخـرا
وبالأميـل يمينـا منـه منزلـة ... تهـيج للمتصـابي الهـم والـذكرا
ومنـزلات بـذات النصـف غيرهـا ... جـر الـذواري علـى آياتهـا الأُزُرا
تبـدو بهـن بقيـات الرسـوم كمـا ... تخـط في الـرق كـف الكاتـب الزبـرا
كأنهـا لـم تكـن ملهـى ومقتطفـا ... بـالمجتني مـن شـهيات الهـوى الثمـرا
أيـام أثنـي قضـيب البـان مهتصـرا ... مـا لان للمجتنـي أيـان مـا اهتصـرا
لا أختشـي مـن حبيـب عـن مواصـلة ... صـرما ولا أختشـي مـن صـفوه كـدرا
كـأنني كنـت فـي الأعلـين منزلـة ... التنـدغين الكـرام السـادة الخُفـرا
الباسـطين إلـى المعـروف أيـدهم ... والخـالطين بأهـل الثـروة الفقـرا
والناهضـين مـن اَعبـاء العشـير بمـا ... لـو حُمِّـل الـركن مـن رضـوى لمـا قـدرا
قـوم قـرينهم المعـروف حيـث يُـرى ... يثـوون حيـث ثـوى يجـرون حيـث جـرى

---

[1] قال في القاموس: و(هو ابن بجدتها): للعالم بالشيء وللدليل الهادي ولمن لا يبرح عن قولـه، وعنده بجدة ذلك أي: علمه.

سـنت لأبنـائهم آبـاؤهم سـيرا فاقـت، فقـص بنـوهم تلكـم السـيرا
أحيـوا بجـودهم مـا مـات مـن كـرم وجـددوا مـن رسـوم المجـد مـا انـدثرا
عضـوا على السـنة البيضـاء واتبعـوا ديـن الرسـول وزي السـادة الكبـرا
مـن كـل شـيخ سـني نـور غرتـه يجلـو بـه مـن ظلام الجهـل مـا اعتكـرا

إلى أن يقول:

يـا حلـة الأربعـين السـادة الكبـرا والقـادة الجلـة الأعلـين والأُمَـرا
إنـي لآمـل مـنكم مثـل مـا فعلـت للمجتـدي أربعـوكم يـا لهـا زمـرا
إذ جـاء يطلـب عنـد الكـل واحـدة فنـال مـن كـل فـرد مـنكم الـوطرا

15- ويقول محمد بن الفاضل ولد ميلود المجلسي البنعمري[1]:

حـوراء زارت طلعـة ومُحَبَّـرا يـا طيبهـا مغنـى لنـا فتعطـرا
واهـاً لهـا مـن زائـر بمديحـة أنفاسـها هبـت علينـا عنبـرا
صِـدْق الـوداد أعادهـا إنصـافها فـي النـاس مـن لا يزدهـي متكبـرا
جمعـت على طيـب الخـلال محاسـنا مِـلْءَ المسـامع والنهـى أن تـذكرا

---

[1] توفي 1305هـ ودفن في "أَغَوْرَطْ" في منطقة "لعگل"، له تآليف في العقيدة، وقد قال هذه القصيدة ردا على العالم الشاعر الشيخ محمد بن الرباني حين مدح قومه "إدَغْبرْتْ" المجلسيين نسبا الحسنيين وطنا، ومطلع قصيدته:

يا راكـبا بلغ سلامي المـعشرا أهل اللوا من مجـلس وبنعمرا
جمعوا السيادة والعبادة والندى وحووا عظيم المجد أن لا يظهرا

إلى أن يقول: واصدع بمدحهم القديم لو انه كالشمس في رأد الضحى أو أظهرا
وأعد حديثهم الحديث ومجدهم ما كـان مجـدهم حـديثا يُفـترى

ومنها: حـي تفرد بالفـرائـد كلـها لم يجر في الأحياء ما لهم جرى
أتقى وأنقـى من يليـن لربـه قلبا وأعراضا وأكـرم عنـصرا
هذا وأحجم مقولي عن مجدهم ولقد يقـل القول حتـى يكثـرا
حي يحاضر في الورى بكمـاله فتمام كل فضيـلة أن يحضـرا

بينـــا نُعَلَّـــل مـــن محاســـنه النهـــى فـــإذا حلاكـــم عـــز أن لا تظهـــرا
مـــن طيـــب أخـــلاق تزكـــت مـــنكم أهـــديتم منهـــا الثنـــاء الأعطـــرا
أخـــلاق بـــيض مـــن ذوائـــب تنـــدغ حـــازوا الســـيادة والعلـــى والمفخـــرا
أعـــلام ديـــن المصـــطفى مرفوعـــة أَلِفَـــتْ علـــى أعلامكـــم أن تُنشـــرا
والأرض تبـــأى لـــو نـــزلتم جوزهـــا بـــل قُرِّطَـــت بكـــم لتحســـن منظـــرا
شـــرقا وغربـــا كنـــتم أعلامهـــا أوتادهـــا كـــي لا تميـــد بـــذا الـــورى
لـــم تحســـدونا مـــن كمـــال علاكـــم حـــين الحســـود لنـــا الحســـادة أضـــمرا
أولـــى لمـــن أمســـى يحـــاول نيـــل مـــا أوتيـــتم مـــن رتبـــة أن يقصـــرا
أومـــن يحـــاول حصـــرها بلســـانه هيهـــات عَـــزَّمزيـــدها أن تحصـــرا
فـــالله بـــارك فـــيكم مـــن ســـادة شـــادوا منـــار الـــدين أكبـــر أكبـــرا
ولقـــد غـــدت لكـــم منـــازل في العلـــى يـــنحط عنهـــا المشـــتري أن تُشـــترى
مـــن كـــان يحســـدكم علـــى فضـــل بـــه قـــد خصـــكم ذو العـــرش فليتحســـرا
ولقـــد أســـا أدبـــا علـــى مـــولاه إذ لـــم يـــرض مـــا أولاكـــم فتجبـــرا
لازلـــتم أطـــواد علـــم وُطَّـــداً لُجَـــج المعـــارف والنـــدى لـــن تُعبـــرا

16- ويقول محمد عبد الرحمن(النح) بن السالك العلوي من قصيدة مطلعها[1]:

علـــى خيـــر حـــي أَمَّ قصـــدَهم ســـفر ســـلام كمـــا أهـــداه مـــنهم لنـــا الشـــعر

---

[1] قال هذه القصيدة يرد بها على قصيدة للعلامة محمدن القاضي بن أحمدو فال يرحب فيها بوفد من جماعة إدوعل قدموا على أهل "مَايْگُومْ" لزيارة مقبرة "انْفَنِ"، ومطلعها:

أبدر بدا أم لاحت الشمس أم فجر تجلى فأخفت ضوءَها الأنجم الزهر
أم الدر من أصدافه متخللصا ولم يبق في الأصداف قاطبة در
أم الغر وافوا بعدما حجبتهم نوى شطر ويا حبذا الغر
هم القوم لا آل المدان وبرمك فما يُبتغى زيد سواهم ولا عمرو
حباهم إله العالمين مفاخرا تقاصر عنها فرقد الجو والنسر ...الخ

إلى أن يقول:

فلـــم يَـــرَعـــافٍ أربعـــين بغيـــرهم ... متـى مـا تـولى عـن بنـي الـزمن اليسـر
فـــإنهم بيـــت القصـــيد مـــن الـــورى ... فلفظهـــم شـــطرومعنـــاهم شـــطر
أئمـــة هـــدي شـــيدوا الـــدين والعلـــى ... فأمســـوا لهـــم في كـــل مجتمـــع فخـــر
إذا نظمـــوا زانـــوا وإن نثـــروا هـــدوا ... فيحســـن مـنهم عنـدنا الـنظم والنثـر
كفـى المـرء فخـرا أن يُـرى ينتمـي لهـم ... فعلـــولـــه في ملتقـى الحلـق الـــذكر
فنـــزرهم - والحـــال أصـــدق شـــاهد - ... كثيـــروكـــم قـــوم كثيـــرهم نـــزر[1]

قافية الزاي:

17- ويقول آخر في مناسبة قصة "الْجَدْ" الشهيرة:

نســـــاء الأربعـــــين ورثـــــن عـــــزا ... ببـــذل المـــال حيـــث المـــال عـــزا
نســـاء قـــد كســـاها الحســـن ريطـــا ... مـــــن العليـــــا وديباجـــــا وخـــــزا

قافية السين:

18- ويقول محمد بن محمد بن أحمد لخليفة العلوي:

يـــا طـــالبين نـــدى إيتـــوا معادنـــه ... الاجـــواد تنـــدغ في حافاتهـــا احتبســـوا
إن كـان في النـاس للمعـروف ملـتمس ... فهـــم، وإلا فمـــا للعـــرف ملـــتمس
القـــائلون هلمـــوا للعفـــاة معـــا ... إذا الأكـــابرعمـــا نـــابهم خرســـوا

[1] هذه القصيدة لم أجد منها إلا هذا المقطع الرائع، وبحثت عن تمامها في مظانها كثيرا ولكن لم أظفر – مع الأسف – بالوقوف عليه.

والقـــائمون لـــدى الـــلأوا بمـــرملهم ... إذا الأرامـل مـن صـرف الزمـان نُسـوا
إن الســـماحة فـي ديـــارهم حُبســـت ... وهـــم كـــذلك فـي ديارهـــا حُبســـوا
يحمِّـــدون لرفـــع الحـــاج نحـــوهم ... كـأنهم مُطـروا مـن بعـد مـا يئسـوا
لـو كـان جـودهم الحـاوي لهـم حـدثا ... لـم يـنقض الطهـر كـلا إنـه سـلس
توارثـوا المجـد غرسـا فـي أوائلهـم ... بـاق فللـه مـا أبقـوا ومـا غرسـوا
وشـــيدوا للتقـــى دورا مؤسســـة ... على السـخاء فـنعم الـدور والأسـس
تـالله مـا خلعـوا للمجـد مـذ خُلقـوا ... ثوبـا ولا لبســوا إلا هُ مــذ لبســوا
أحيـوا طريـق الهـدى للسـالكين كمـا ... أحيـوا مـن المجـد مـا رواتـه اندرسـوا
كـم مـن جهـول وعـارقـد أتـوا ومضـوا ... مـن بعـد جهـل وعـري عُلمـوا وكُسـوا
وكـم أضـا قـبس مـن نـور علمهـم ... للناس فاقتبسـوا من ذاك ما اقتبسـوا

قَافِيَةُ العِين:

19- ويقول أحمد بن أحمد المقري بن عينين الحسني:

النـاس فـي التنـدغيين الألـى شَـرَع ... إذ الخلائـــق فـــي آلائهـــم شـــرعوا
قـوم هـم الحـرز مـن صـلعاء داهيـة ... وإن تمنيـــت نفعـــا مـــنهم نفعـــوا
قـوم إذا بـاع مجـدا غيـرهم شـفعوا ... كمـا إذا أَوْتَـروا فـي نحلـة شـفعوا
قـــوم بهـــم زهيـــت أيامنـــا وبهـــم ... ســـود الليـــالي غـــدت كأنهـــا دُرَع[1]
قـــوم إذا كَـــرَّعـــافٍ كـــر نـــائلهم ... لا نائـل حيـث عـدنا أهلـه منعـوا
فإنمـا النائـل المحمـود نائـل مـن ... في العـدم واليسـر لا يبقـي ولا يـدع

[1] ليلة دَرْعَاء: يطلع قمرها عند الصبح، وليال دُرْع: للثلاث تلي البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها (القاموس المحيط).

ليس الجواد الذي قد جاد بل هو من ... تأوي إليه البرايا كلها جُمَع
إن مر جيل أتى جيل كأنهم ... نمل يمر على جَرْدَا ويرتفع
لا راجع منه يشكو قادما نسقا ... كَلَّا ولا قادما يشكوه مرتجع
رويدكم قصروا في الرفع إنكم ... في رتبة رُفعت فوق الألى رُفعوا
وليس للطِّرف عيب في الوقوف إذا ... ما خلف الجرد في الميدان تنقطع
كلا ولا الودق إن يسكن يُذم إذا ... في الماء منه تساوى الغور والجزع
إذ أنتم فرط الأقوام حسبكم ... أن الأكارم إجماعا لكم تَبَع
على الرسول سلام من مشفعه ... في المذنبين إذا ما الرسل قد شفعوا

قافية الغين:

20- ويقول العلامة المختار بن حامدن[1]:

إني متى أُدْعَ لما أبتغي ... لا أندعي إلا إلى تندغ
أزورهم شوقا ومن نورهم ... أُسِرُّ حَسْواً عندما أرتغي

وقال أيضا:

علمني الشعرَ بنو تندغ ... فصرت للشِّيح من المُضَّغ

---

[1] هذه الأبيات ـ والتي تليها ـ من مشاعرة بينه مع العلامة القاضي محمد يحي بن محمد الدنبج، وقد أجابه القاضي محمد يحي بهذه الأبيات:

قد زارنا فزادنا حكمة ... وزادنا حُكْما كما نبتغي
السيد المختار من كفه ... وكّافة كالوابل المُرْزِغ
زاد بلاغة بلا غاية ... على البليغ بل على الأبلغ
إن زارنا فذاك من فضله ... كرامة لنا بني تندغ

أنبغنـــي بالشـــعر إحســـانهم ومـــن يجـــاور تنـــدغا ينبـــغ
يُهجـــر مـــا لا ينبغـــي عنـــدهم وعنـــدهم يحســـن مـــا ينبغـــي[1]

21- ويقول القاضي محمد بن محمذن فال الإبييري من قصيدة أنشدها يوم قدوم وفد أولاد أبييري على علب آدرس:

جئنـــا نجـــدد حلفنـــا وعهودنـــا بـــالحق إذ تُبنـــى العهـــود فتُســـبَغ
وأعـــزحلـــف بيننـــا وأَجَلُّـــه مـــا قـــاده زمنـــا طـــويلا تنـــدغ
ومتـــاب آبـــاء لنـــا قـــدما علـــى أيـــدي جـــدودكم الكـــرام مُسَـــوِّغ

قافية اللام:

22- ويقول محمد عبد الله بن القلاوي الإچيچبي إمام جامع اغشورگيت:

فـــأربعون جـــوادا لا يـــزال لهـــا مـــن بعـــدها خلـــف بـــالجود ماثلهـــا
فـــالله عَوَّدَهـــا مـــن فضـــله خلفـــا مـــن الـــذي قـــد مضـــى منهـــا وعاملهـــا
لازال ذا الخلـــف المرضـــي يعقبـــه مـــن بعـــدها خلـــف بالمثـــل قابلهـــا
فـــالعلم والجـــود بـــالإطلاق منطلـــق منهـــا علـــى مـــن ســـواها كـــان حاولهـــا
فكـــان منهـــا وإن أبـــدى الأنـــام أذى هـــدي وفضـــل وجـــود لـــيس زايلهـــا
فـــآخر النخـــل طُـــرّا مثـــل أولـــه وتنـــدغ شـــبه نخـــل مـــن تناولهـــا
وآخـــر العلمـــا منهـــا كـــأولهم كـــذلك الفضـــلا ممـــن أضـــاء لهـــا

[1] يشير إلى قول العلامة لمرابط محمذن فال بن أحمدو فال التندغي: وقول ما لا ينبغي لا ينبغي لتندغ ولا لغير تندغ.

23- ويقول المصطفى ولد حبيب ولد متالي:

تحيــة مــن شــذى الأطيــاب منبتهــا ... للسـيد الفاضـل[1] بـن السـادة الفضـلا
مـن هامـة المجـد مـن عليـاء تنـدغ مـن ... أذواء حميــر مــن جــازوا عُلــىً زحــلا
مــن حلــة قــد روى التــاريخ قصــتها ... بــأربعين جــوادا فاقــت الحلــلا
فهــم بــدور تمــام مــن وجــوههم ... يشعشـع النـور إن بـدر السـما أفـلا
وهــم بحــور يعــم النــاس فيضــهم ... إن أخلـف الغيـث أو قَطْـرُ السـما بخـلا
وهــم أئمــة ديــن المصــطفى وهــم ... فيــه القضــاة إذا مــا مشــكل عضــلا
شُــمّ بهاليـل يُستسـقى الغمـام بهـم ... مـأوى العفـاة ومـأوى الضـيف إن نـزلا
لا يســألون أخــاهم حــين ينــدبهم ... فـي النائبـات علـى مـا قالـه مـثلا[2]
ألئــك القــوم شــادوا للعلــى قببــا ... يــأوي إليهــا إذا مــا حــل أو رحــلا
تحيــة مــن أخ ألــوى الزمــان بــه ... مـن بعـدما كـان قـد أرخى لـه الطِّـوَلا
فــيكم يؤمــل مــا يُقضــى المــرام بــه ... وكــم يُبَلِّــغ قصــد فــيكم الأمــلا

24- ويقول شيخان بن محمد حامد الحسني[3]:

أحبتَنــا أهــل الســيادة والفضــل ... وأهــل النهــى أهــل النباهــة والعقــل
وعلــم بــه غــص الــدفاتر لــم يَــذَرْ ... بأبنـاء هـذا الـدهر-لا غـاض- مـن جهـل
وذائــع جــود لــو تفــرق فــي الــورى ... لَمَــا كــان في الأيــام يوجــد مــن بخــل
إلــى غيــر هــذا مــن مــآثرَعــدها ... يَنِــي دونهــا عــدي لــذلكم الرمــل

---

[1] يعني السيد أحمد ولد الحافظ ولد ابنُ (المصدر: البشير ولد الفتى).
[2] مأخوذ من قول قريط بن أنيف التميمي: لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
[3] شيخان بن أحمد بن حامد بن أَغْرَبَطْ الحسني من أولاد اعمراكداش، ولد حوالي 1950م، وهو معاصر مازال حيا أطال الله عمره.

أَلَـمَّ بكـم وفـد مـنَ آل بنعمـر يجـدد عهـدا مـا لـه الـدهر مـن مُبْـل
وينهـي إلـيكم حاجَـهُ وبجـودكم إلـى حاجِـهِ مـنكم أحبتنـا يُـدلي
فمـا خـاب مـن أنهـى إلـيكم مـراده ولا خـاب فـيكم للـورى قـط مـن سـؤل
فـأنتم أَوِدَّانـا وأخوالنـا الألـى نبـاهي بكـم مـن كـان يعجـب بالأصـل
ونهـدي إلـى نجـد البشـام سـلامنا ومَـنْ حَلَّـه مـن أهلـه وسـوى الأهـل

25- ويقول أحمد محمود بن أَيْدَّادْ الحسني يمدح يحيى لمرابط بن أحمدوفال وقومه من قصيدة مطلعها:

قـف بـالمقيم وسـائل واندب اَطـلالا قـد ألبسـتها سـوافي المـور إجـلالا

إلى أن يقول:

كنـا مـع الحبـريحيـى المكرمـات إذا أيـام نشـرب صـفو العلـم جريـالا
فـي أربعـين جـوادا يعبقـون شـذى ويسـبلون بـرود العلـم إسـبالا
جـادوا فكانوا البحـور الزاخـرات نـدى والشـم حلمـا وفـي الآفـاق أمثـالا
مـن كـل سـمح إذا اسـتمطرت راحتـه جـادت عليـك هتـون السـكب أسـجالا
ومـن حلـيم وقـور لـو وزنـت بـه أركـان لبنـان أورضـوى إذاً مـالا

26- ويقول إبراهيم (الخليل) بن باب بن الشيخ سيديا[1]:

سـلام مثـل مـا نسـم العليـل مـن الأرواح حـين دنـا الأصـيل

---

[1] كان الخليل يجيب أبيات الشيخ محمد عبد الودود (بَيْدَّ) بن الرباني، وهي:

على الأشياخ لاسيما الخليل تحايانا تعـود ولا تـزول
فمـوجبـها زيـارتنا لأنّا على عهد تقـادم يا خليل
فَقِلنا حـولكم يوما ولـكن عدانا عن مزاركم الرحيل
أدام اللـه مجـدكم أثيـلا وما لسواكم المجد الأثيل

علـــى حـــي المكـــارم والمعـــالي وحـي الجـــود إذ أكـــدى البخيـــل
وكلهـــم الجـــواد بغيـــر ثُنْيـــا شـــبابهم الأكـــارم والكهـــول
وكـــائن فـــيهم مـــن كـــل نـــدب وفِـــيّ بـــالعهود هـــو الكفيـــل
نخصـــهم بـــود لـــيس يســـمو إليـــه غيـــرهم دأبـــا قبيـــل
فـــلا زالـــت بيـــوت الـــذكر فـــيهم تـــروق النـــاظرين ولا تـــزول

قافية السين:

27- يقول السيد الندب الشريف سيدي العربي بن الحسن:

يـــا أربعـــين جـــوادا منبـــع الكـــرم خصـــالكم فـــي الـــورى نـــار علـــى علـــم
كنـــتم لأســـلافنا فـــي مـــا مضـــى وطنـــا فـــأنتم أنـــتم الأحبـــاب مـــن قـــدم
إن لـم نكـن فـي صـفوف الحي عنـدكم فإننـــا معكـــم بالعهـــد والهمـــم
أرواحنـــا حائمـــات حـــول أرضـــكم تبـدي الشـجون وتـذري الـدمع كالـديم
ماتـــت أوائلنـــا فـــي حفـــظ عهـــدكم ونحـــن نحفظهـــم فـي العهـد والـذمم
وطعـــم بيـــنكم مُـــرٌمذاقتـــه كســـاعة البـين مـن سـلمى بـذي سـلم
إنـــا شـــربنا كـــؤوس اللهـــو فـي فـــرح عنـــد القَـــرِيّ وعنـــد الغصـــن فـــاللمم
واليـــوم ذا الـــدهر يـــا أحبـــاب فرقنـــا مـــن عـــادة الـــدهر بـــالأفراح لـــم يـــدم
يـــا حبـــذا زمـــن عنـــد القـــري مضـــى حـــب الـــزلالم فـــالبتراء مـــن شـــيمي
وعنـــد عَمَّـــان أيـــام لنـــا ســـلفت فيهـا كشـفت حجـاب الحـب في الظلـم
مـا أنـس لا أنـس حـي اكْمُـسَّ إذ نزلـوا خميلـة الضـال مـن تجكْجَـه وا نـدمي
إنـي حفظـت حبـال العهـد مـن دعـد فيهـا وكنـت عـن العـذال في صـمم
والله يعلـــم أنـــي قـــد ذكـــرتكم عنـد البقيـع وعنـد البيـت ذي الحـرم

28- ويقول محمد بن الداه العلوي[1]:

أَلِمَّـــا علـــى ربـــع بجرعـــاء جـــاثم ... لعـــل شـــفانا بـــين تلـــك المعـــالم
معاهـــد مـــن حـــي حِـــلال عهـــدتها ... ملاعـــب عِـــين واضـــحات المباســـم
توهمتهـــا قســـرا فبـــت مســـهدا ... أكفكـف مـن فـيض الـدموع السـواجم
وأصـبحت أرقى في صـعود مـن الهـوى ... وضـاقت علـى مكنـون شـوقي حيـازمي
تـــذكرني أيـــام لهـــو كأنهـــا ... ظـــلام تجلـــى مثـــل أحـــلام نـــائم
ليالينـــا بـــالربع مـــن أم ظـــالم ... ســـقتها عهـــود الســـاريات الحنـــاتم
قضـــتني ظلمـــا مقلتـــا أم ظـــالم ... ومـــا الظلـــم إلا مقلتـــا أم ظـــالم
كـــذا دأبهـــا إن تـــرم ذا نهيـــة غـــدت ... نوادبـــه يندبنـــه فـــي المـــآتم
قطوف خلوب اللحظ خمصانة الحشا ... بطيئـــة كـــر الطـــرف رَيَّـــا المعاصـــم
يلومـــونني فـي حـــب ليلـــى ولـــم أكـــن ... لأصـــغي يومـــا مـــا إلـــى لـــوم لائـــم
يقولـون لي عصـر الشـبيبة قـد مضـى ... فَذِكْرُكَـــهُ فـــي الحـــال غيـــر ملائـــم
ألـم يـان مـن سـرح السـفاهة رجعـة ... إلـــى مرتـــع بـــين التقـــى والمكـــارم

---

[1] قال محمد بن الداه هذه القصيدة ردا جميلا على قصيدة ترحيب تلقاهم بها القاضي محمدن بن أحمدو فال حين قدموا على أهل "مايگوم" في طريقهم إلى زيارة مقبرة "انفن"، ومطلعها:

طربـت ولـم تطـرب لنـوح الحمـائم ... ولا ذكـــر أيـــام الصـــبا المتقـــادم
ولا البـيض أيـام الزفـاف بـوارزا ... ولا لادكـار الوصـل مـن أم سـالم
ولا ذكـــر دور آهـــلات عهـــدتها ... مجـــر ذيـــول الآنســـات النـــواعم

إلى قوله:

ولكنـــه شـــوق لإلمـــام ســـادة ... سموا في ذرى العلياء فوق النعائم
دنوا فاستطاب الأفق مسكا وعنبرا ... ولاحـت وجـوه واضـحات المباسـم
لقـــد طربـــت لمـــا تـــأرج أفقهـــا ... وحلت بها البشرى لذا أرض جاثم

...الخ

مراتـــع حـــي الأربعـــين فإنهـــا ... مراتـــع مـــن حـــي كـــرام خضـــارم
لهـــم عـــزة قعســـاء دون مناطهـــا ... منـــاط ســـهيل والســـهى والنعـــائم
متـى تـأتهم تغـنم مـن المجـد والعلـى ... مغـانم لـم تظفـر بهـا كـف غـانم
فـــذا مالـــك فـــيهم وهـــذا ربيعـــة ... وذا أشـــهب فـــيهم وذاك ابـــن قاســـم
وذلـــك زيـــد الخيـــل فـــيهم وعنتـــر ... إذا ثَـــوَّب الـــداعي لإحـــدى الـــدواهم
وحلمهـــم أزرى علـــى حلـــم أحنـــف ... وفيضـــهم أزرى علـــى فـــيض حـــاتم
مُقَايِســـهم بالنـــاس يفســـد قيســـه ... قـــوادح مـــوج العَـــيْلم المـــتلاطم
فمـــا العلـــم إلا مـــا تُعلـــم مـــنهم ... ومـــا الفـــيض إلا فـــيض تلـــك الأكـــارم
ومـــا الـــدر إلا مـــا يغوصـــون بحـــره ... فيبدونـــه فـــي زي منظـــوم نـــاظم
فكـم مـن فتـى فـيهم هضـوم مُـرَزَّإ ... يـرى المـوت راحـا دون نقـض العـزائم
وكـــم فـــيهم مـــن خاشـــع متـــأوه ... هطـــول المـــآقي ليلـــه غيـــر نـــائم
ومفتـاح أقفـال العويصـات إن دجـت ... وأرخـت حجابـا دون بعـض العمـائم
ومـن حـاكم عـدل إذا مـا تشـعبت ... دعـــاوي دعـــاوٍ هـــائلات الخصـــائم
حلفـــت ببيـــت الله جـــل جلالـــه ... أليـــــة بـــــر لا أليـــــة آثـــــم
لقـد دب فـي جسـمي وقلبـي ودادهـم ... دبيـب الحُمَيَّـا في الحشـا والقـوائم
فعلقمهـــــم أَرْيٌ مشـــــور مـــــزرج ... وكـــم أمـــة صـــهباؤها كـــالعلاقم
ســـيحمد مـــن والاهـــم غـــب ســـيره ... ويقـــرع مـــن نـــاواهم سِـــنَّ نـــادم
رعـــى الله عيســـا قربتنـــا إلـــيهم ... وحُفـت بمهطـول الريـاض النـواعم
صـلاة وتسـليم علـى صـفوة الـورى ... وخيـربنـي فهـر وكعـب وهاشـم[1]

---

[1] فرد عليه العلامة الشيخ محمد احمد بن الرباني بميميته المشهورة:
ألمـت بنـا أهلا بـها أم سـالم ... فأبقت رسيس الشوق بين الحيازم
ألمت على شحـط المـزار بفتية ... خـلال المطايا بين جـاثٍ وجـاثم =

29- ويقول العلامة المختار بن حامدن يرثي العلامة محمد فال بن القاضي:

على ربع البشام ومن أقاموا ... حواليه التحية والسلام
فثم مخيم للعلم عِدٌّ ... سُقيت الغيث أيتها الخيام
نحيي ما هنالك من ثمام ... وفرع بشامة سُقي البشام[1]
ومدرسة هنالك كان يُبرى ... من اَعواد الثمام لها القلام
تخرج من فنون العلم منها ... مئون لهم بها كان ازدحام
ولولا أن نشر العلم أمر ... هنالك قد أُقر له نظام
تنكر من معالمها ومالت ... دعائمها وقد بلي الثمام

إلى أن يقول:

حلا لي اسم البشام لحب ربع ... أضيف له فحل لي الكلام
ومن لم يَحْلُ عندهم فقوم ... كلامهم علي إذاً حرام[2]
فحسبي أربعون لديه حَلُّوا ... جوادا ما عن العلياء ناموا
أُلاكَ كلامنا لفظ مفيد ... إذا قلنا هم القوم الكرام
ألئك قائمون بكل قسط ... ألئك آمنوا ثم استقاموا
ألاك رضوا قضاء الله حتى ... كأن وفاة بعضهم منام
وليسوا مشفقين على حياة ... لقاء الله جل لها ختام

= إلى قوله:

فهيهات روم الوصل من أم قاسم ... عقيب وصال الأمجدين العيالم
معالم دين الله من يقتفيهم ... هدوه بتأييد لتلك المعالم
مقاماتهم بين الأنام علية ... تبذ مقامات العنيد المقاوم
على فضلهم عقد الخناصر حيثما ... تعدد أرباب العلى والمكارم
دعائم عز شيدوا كل مفخر ... وهل يثبت البنيان دون الدعائم ...الخ

[1] اقتباس من قول جرير بن عطية من ميميته الشهيرة: أتنسى إذ تودعنا سليمى ... بعود بشامة سُقي البشام

[2] اقتباس من قول جرير بن عطية أيضا: تمرون الديار ولم تعوجوا ... كلامكم علي إذا حرام

قافية النون:

30- ويقول محمد الامين بن الشيخ المعلوم البوصادي:

يـا حلـة الأربعـين الـدين قـد وهنـا ولـم يكـن أمـره إلا علـى الأُمَنـا
قومـوا لـه فاشـتروا شـيئا يعالجـه مـن الـدواء وإلا فاشـتروا كفنـا

31- ويقول محمد الزين بن عَبْدَلِّ الجكني[1]:

هبـت صـبا بمـدام منـه موتانـا قـاموا انتشـاء فكـان النشـر فتانـا
قـرع القـرائح فـي أنغـام منعشـة سـرت بـه مـن حِمَـى نجـد سـرايانا
يـا حلـة الأربعـين الجـود غـاص بكـم سـروا لنـا العـز تحنانـا
مـاذا أقـول وصـيت ذاع منتشـرا كمـا الخزامـى لكـم علمـا وإيمانـا
مـن الجزائـر فالصـحراء طـالعكم يـا مطلـع الهـدي نسـتهدي بـه الآنـا
ولسـت أوغـل فـي المعنـى مبالغـة إن هِمْـتُ في مـن سَـمَوْا عـزا وسـلطانا
شـرقا وغربـا جنوبـا مـن شـمائلهم للفاتنـات نصـوغ العقـد مرجانـا
وإن تسـل سـائلا عـنهم فـإنهم سـراة دولتنـا شـيبا وفتيانـا

---

[1] كتب الشاعر هذه القصيدة وأرسلها من "آنگولا" بتاريخ: 2016/03/12، وكان يرد فيها على الشاعر محمد الحافظ بن أحمدو حين مدح القوم الأكارم تجكانت بقصيدة مطلعها:

من سرو حمير هذا العطر حيانا أمسى أعاد لنا البأوى وأحيانا
حتى تكاد تميد الأرض من طرب إذا أدرنا كـؤوسا من حميـانا
تلك الربوع التي كـانت لنا وطنا من قبل مأرب تدري ما محيانا
من عـهد تبـع ما تنفك هجـرتنا تغري بنا المجد أحيانا فأحيانا
حتى حططنا بصيجستـان أرحلنا وفي صقليـة نعـلي بها الشانا ...الخ

فـيهم توزعـت العليـاء فانسـجمت عيـون علـم وشـعر فـي صـحارانا
نسـتذكر الآن مـن ماضـيهم قممـا كانـت تضـيء سـماء الفهـم ألوانـا
بـدّاه داهيـة فـي عصـره علـم مفتـي الـبلاد أحاديثـا وقرآنـا
محمـذن فـال أحمـد فـال مـن أسـر وراثـة الفقـه أشـبالا فنسـوانا
علـى الدنبجـة رحمـى مـا تـذكره فـن اللغـى وفنـون الـوحي أزمانـا
والشـيخ أحمـدُّ شـيخ القـوم شـاعرهم قاضـي القضـاة بهـم قـد كـان يحيانـا
وإن نسـيت فمـا أنسـى معاويـة ونجلـه المصـطفى مـن زان مـا زانـا
وهكـذا أكتفـي مـن سـرد أمثلتـي فالغيـث لـو طـال كـان السـيل طوفانـا
وبحـر حاضـرنا تزهـو شـواطئه بمـا إليـه يشـد الشـهم ركبانـا
نجـل المـرابط أحمـدو يفاكهنـا وعظـا وفقهـا وتفسـيرا وقرآنـا
سـميدع القطر مقري الحرف شـاعرنا محمـد الحـافظ المرمـوق معنانـا
همـا مثـالان فـي علـم وفـي أدب فـي حلـة كـان فيهـا اللـوح مزدانـا
ليـت الربـوع التـي قـد باعـدت هممـا عـن بعضـها قاربتهـا الآن جيرانـا
إنـا لننشـد فـيكم فـي مجالسـنا بـان الخلـيط ولـو طُوِّعْـتُ مـا بانـا[1]
فلتعـذروا قلمـا قـدت يراعتـه يـا سـادة الضـاد في أرجـاء مغنانـا

32- ويقول محمد الزين ولد امخيطير اليعقوبي الجكني[2]

ردت إلـى القلـب تـذكارا وأحزانـا وعمقـت مـن صـميم الحـب ألوانـا
وذكرتنـي شـبابا بـان أطيبـه حيـث التصـافي مـع الأتـراب يغشـانا

---

[1] تضمين لأبيات جرير: بان الخليط ولو طُوِّعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
حي المنـازل إذ لا نبتـغي بـدلا بالدار دارا ولا الجيران جيـرانا

[2] وهذه القصيدة أيضا رد بها هذا الشاعر على قصيدة الشاعر محمد الحافظ ولد أحمدُّ المذكورة في الهامش آنفا.

وحيـــث كنـــا لِـــدات لا يفرقنـــا ... هـم الحيـاة وصـفو العـيش يرعانـا
مـا بـين "گـرو" و"كوكـاط" منازلنـا ... بـين الفطاحـل مـن أبنـاء جاكانـا
وتلـك عـين الحبـارى لا تفارقهـا ... أحيـاء يعقـوب رجلانـا وركبانـا
دار بهـا كـان مهـد المجـد مرتبطـا ... ومحضـر العلـم تفقيهـا وقرآنـا
وصـولة العـز فـي جاكـان ديـدنهم ... والله مـا فتئـوا للعـز أركانـا
لكننـي اليـوم والـذكرى تزاحمنـي ... يممـت تنـدغ أشـياخا وصـبيانا
عَلِّـي أعـدد شـيئا مـن فضـائلهم ... وقـد وقفـت أمـام العـد حيرانـا
حازوا من الفضل ما فاقوا الأنام به ... وحيث ما العلم كانوا حيث ما كانا
وحيـث مـا الجـود تلقـاهم حواتمـه ... بـذلا بمـا عـز إيثـارا وإحسـانا
وحيـث مـا العلـم تلقـاهم جهابـذة ... تنـادغ العلـم أسـخانا وأتقانـا
شـدوا رحـال المهـاري للعلـى أبـدا ... شـيبا ومـردا وأشـياخا وغلمانـا
كـذاك شـدوا حبـال العلـم مـا نزلـوا ... وقطَّعـوا مـن حبـال الجهـل أقرانـا
ويممـوا سـنة الهـادي وكـان لهـم ... شـهب مـن العلـم إفتـاء وإيمانـا
هـذا ابـن مُتَّـالِ بحـر عـالم ورع ... يزهـو بـه القطـر نشـوانا وفرحانـا
وابـن البصـيري صـوت الحـق تسـمعه ... إذ لا يخـاف لـذات الله إنسـانا
وابـن المـرابط عـين الله تكلـؤه ... زان المنـابر علمـا حيـث مـا بانـا
لـولا تنـادغ مـا جـادت لنـا ديـم ... وكفـا مـن العلـم أسـقانا وأحيانـا
تَـلُّ البشـام ربـاط ظـل مرتبطـا ... بـالجود والعلـم أزمانـا فأزمانـا
حيتـك يـا تـل أبنـاء أولـو رحـم ... مـن نجـل يعقـوب مـن أبنـاء جاكانـا

33- ويقول عبد الودود بن حميهْ الأبييري من إدقبسرين[1]:

مـــررت بـــذي البشـــام فهيجـــت لـــي معاهـــده مـــن الشـــوق الـــدفينا
فـــأنَّ بـــذكر تندغـــة فـــؤادي وحـــن لحـــب شـــيختهم حنينـــا
وفتيـــان كشـــيختها علومـــا وأحلامـــا وآدابـــا ودينـــا
مـــن اَبنـــا تنـــدغٍ قـــد نـــازعوني بجنبـــي ذي البشـــام محـــدثينا

34- ويقول محمد الامين ولد الشيخ المعلوم البوصادي:

بنـــات الأربعـــين مـــن الأبينـــا ورثـــن مـــن العـــلا حظـــا ثمينـــا
وحـــظ بنـــاتهم مـــن كـــل إرث كمـــا تحـــوي البنـــات مـــع البنينـــا

35- ويقول بدّن بن حبيب الله بن حنبل الحسني:

عـذل العـواذل لـيس الـدهر يثنيني عـن حـب أسـماء بـل بالحـب يغريـني
وحيثمـــا لامنـــي فـــي حبهـــا أحـــد جعلتـــه لـــو عنـــاني لـــيس يعنينـــي
يـــزداد بالعـــذل حُبّهـــا لـــذلكم عـــذل العـــواذل عنـــه لـــيس يثنينـــي
لكنـــه يتلاشـــى كلمـــا عرضـــت محبـــة الســـادة الشـــم العـــرانين
التنـــدغيين مـــن قـــد ســـار صـــيتهم في الشـرق والغـرب بيـت العـز والـدين
ملجـا البريـة فـي الـلأواء هـم، ولهـم تبـــين الســـبق فـــي كـــل الميـــادين
الفضـل فضـلهم والمجـد مجـدهم والجـود جـودهم فـي كـل مـا حـين
أدام نعمـــتهم ربـــي وزادهـــم فضـــلا ومجـــدا علـــى مـــر الأحـــايين
ودام فـي كـل قـوم قصـد بلـدتهم جـراء فضـلهم فـي الخفـض واللـين

---

[1] عالم ومقرئ توفي حوالي 1397هـ.

وجـاد أرضـهم صـوب الغمـام بطـ ـه المصـطفى المصـطفى خيـر النبيئـين
عليـه أزكـى صـلاة لا نفـاد لهـا معهـا سـلام كأنفـاس الريـاحين

36- ويقول محمذن بن الْفَالِّ الديماني:

ثمـار المجـد حلـة الاربعينـا جزاهـا الله أجـر المحسـنينا
وسـاق لهـا المـراد وكـل خيـر وعمرهـا المئـين مـن السـنينا
وأولاهـا العلـي علـو قـدر لـدى ملكـوت رب العالمينـا
وأولاهـا اليسـار وكـل خيـر وقَـرَّ لهـا المسـامع والعيونـا

37- ويقول محمد أبو سالم حمَّيْنَّ في قصيدته التي ودع بها أهل علب آدرس[1] والتي مهد لها بهذه الكلمة :

[1] قال الأستاذ محمد أبو سالم هذه القصيدة الرائعة حين أنهى مهمته الإدارية في إعدادية علب آدرس في السنة الدراسية 2018/2017 فجزاه الله خيرا على هذا الثناء الجميل وجزى خيرا أهل علب آدرس وخاصة جماعة "الودادية" على المعاملة الطيبة التي تلقوا بها هذا الأستاذ وغيره من الأساتذة الوافدين على علب آدرس.
وقد رد جماعة من الشعراء الشباب على قصيدة الأستاذ بقصائد نأتي بنماذج منها فقط:
قال الاستاذ محمدن بن الرباني: =

جرت العادة أن القادم يُستقبل بكلمة ترحيبية عند مقدمه ولكن الغالب أن تلك الكلمة لا تعيش طويلا بل لا ترى ذاكرا يذكرها بعد ذلك، لكن كلمة أهلنا الترحيبية في علب آدرس لها بعض الخصوصيات؛ إنها تمتد أفقيا وعموديا فأنت لن تلقى أحدا إلا وجدتها قد سبقتك إليه هذا من حيث الأفقية، أما من حيث العمودية فإنها تتجدد بتجدد الزمان كأنها نذرت لنفسها أن لا يكون ظلك ألصق بك منها فهي معك اليوم وغدا، أما خصوصيتها الأخرى فهي أنك لن تلقاها وحدها؛ إن لها قرينة لا تفارقها إنها الفعلة الترحيبية ورغم هذه القرينية والتلازمية

= وداع ما له ما الصعقتان ... سواء ما له في القسو ثان
فأهدى للعيون دوام سهد ... وأرخى الدمع منتظم الجمان
إلى أن يقول:
يودعني الخليل وكان برقا ... تلألأ كالصقيل الهندوان
أتاني مصحيا أحزان فَقْد ... قرونا خمسة يا ما أتاني
أتاني لمحة كانت قميصا ... ليعقوب يبشر بالتداني
تداني الأكرمين بني يداج ... بيوت العلم أرباب المعاني ...الخ

وقال الأستاذ محمد فال ولد بدي:
أثارت كنه لوعتك المغاني ... وعاثت بالمشاعر والأماني
مغان للرباب بها احتسينا ... شآبيب الصبابة كالدنان
إلى أن يقول:
أسامر في المحافل كل ندب ... لدى المجد الأثيل له يدان
قد اورثه الصدارة والمعالي ... كراما ضُمروا طرف الرهان
إدوداي الغطارف من أشادوا ... صروح المجد محكمة المباني ...الخ

وقال الأستاذ المصطفى ولد الدنبج:
أهاج بلابلي ذكر المغاني ... بأنجاد الأغانم والنشان
وأنجاد البشام فذكرتني ... صفاء العيش في صفو الزمان
إلى أن يقول:
ألم تسمع محمدا المجلي ... يصيد من القريض ذرى المعاني
يمر بشعره سلس القوافي ... كإمرار الرشاء على السوان
وينذر بالفراق وذا لعمري ... فراق ما لدي به يدان ...الخ

فإن بينهما تنافسا عجيبا لكسب ود هذا المسكين الذي قد لا يستحق مثل ذلك، وأحيانا تعجز عن تفسير سبب تنافسهما فلا يبقى أمامك إلا أن تستسلم لتفسير واحد هو أن القوم جُبلوا على ذلك فصار سجية لهم كما قال الشاعر:

سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع

أما أنا فأتصور أن المنطق يقتضي أن كل كلمة ترحيبية تقابلها كلمة توديعية وأن كل فعلة ترحيبية تقابلها أخرى توديعية ولإن عجزت عن الثانية فلا أقل من أن أحاول مع الأولى كما يقول أصحاب المسابقات الإعلامية أو على مذهب القائل:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فأقول وبالله التوفيق معتذرا للشعراء عن دخولي عليهم من غير استئذان فالله سبحانه يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا:

أيا نجد البشام أما تراني أكابد من غرامك ما براني
مغانيك الحسان شغفن قلبي فبت مسهدا أبكي المغاني
مغان ما يزال بهن مجد لحي الأربعين رفيع شان
تجدده المكارم والمعالي وموروث السماحة كل آن
وجود الأربعين له وسام يغيظ الحاسدين ومن يداني
يزين القائمين عليه علم تدثر من خلائقه الحسان
فكم من عالم منهم مجل إذا ما الجمع نافس في رهان
وكم من وافد من كل فج تحل رحاله رحب المكان
فتؤويه المنازل في حبور ويحظى في المحاظر بالأمان
ويُسقى من معارفها فنونا تفوق الحصر طيعة العنان
إجازات الحديث بها يُحَلَّى ويُحْلى بالإجازة في القُران

وفـــي عقـــد النبـــي وتابعيـــه بإحســـان وفـــي علـــم المعـــاني
وفـــي فقـــه الفـــروع وفـــي أصـــول وفـــي علـــم اللســـان وفـــي البيـــان
فهـــل لـــي مـــن معارفهـــا ارتـــواء فأشـــفي غلتـــي ممـــا دهـــاني
وهـــل لـــي أن أزور بهـــا شـــيوخا تحـــاكي البـــدر ليلـــة إضـــحيان
تنيـــر العقـــل إن يُصـــبغ بجهـــل وتشـــفي القلـــب إن يـــركن لفـــان
يقـــيم المـــرء بيـــنهم ســـنينا تمـــر مـــن الســـعادة كـــالثواني
فينشـــد حالـــه عنـــد افتـــراق مقولـــة شـــاعر طلـــق اللســـان
(ولـــو نعطـــى الخيـــار لمـــا افترقنـــا ولكـــن لا خيـــار مـــع الزمـــان)
صـــلاة الله يشـــفعها ســـلام علـــى الهـــادي إلـــى طـــرق الجنـــان

قافية الباء:

38- يقول الدكتور (المفتي) إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا[1]:

---

[1] أرسل الدكتور هذه القصيدة الأربعينية الرائعة إلى حي الأربعين يوم الإثنين: 15 ربيع الثاني 1408هـ، الموافق: 1987/12/7م
وقد رد عليه بعض الأساتذة بقصائد نورد منها نماذج قليلة:
قال الاستاذ الإمام محمد محمود بن أحمد يور بن الرباني:

على ربع بساحة ذي مراح فعوجوا إن ساحته مراحي
ودور بالأجم وذي الأفاعي وما حول الأميلح من مراح

إلى أن يقول:

فصوب شعرك الموهوب صرفا لمدح غطارف بيض لَقاح
لهم مجد تليد قد بناه جدود مكرمون بالامتداح
قد اَرساه انتشايت مع بنيه مصانا بالرماح وبالقداح
وأعلى صرحَه الشيخ المفدى وجلى الشيخ سيد به النواحي
وباب وسيدي المختار شادا بناء منه لم يك بالمطاح
...الخ

وقال الأستاذ الشاعر محمد خالد بن عالي بن معاوية: =

قفـــوا بـــالربع مـــن ليلـــى المطايـــا ... وحيـــــوه بخالصـــــة التحايـــــا
وأذروا الـــدمع فـــي الجنبـــات منـــه ... ومـــا تبـــدي العِـــراص مـــن البقايـــا
وعوجـــــوا بالرســـــوم وبالمغـــــاني ... مغـــان قبـــلُ كـــان بهـــا صِـــبايا
معاهـــد عنـــدنا فـــي الحـــب فاقـــت ... معاهـــــد بالميـــــامن والكنايـــــا
ديـــار قـــد غنيـــتُ بهـــا زمانـــا ... علـــى ليلـــى قصـــرت بهـــا هوايـــا
عهـــدت بهـــا أوانـــس غانيـــات ... عيـــون النـــاظرين لهـــا ســـبايا
ليـــالي لا أخـــاف قِلـــى حبيـــب ... ولا هـــو يختشـــي أبـــدا قلايـــا
وإذ حُسَّـــــانَة العينـــــين ليلـــــى ... خلـــوب الـــدَّلِ واضـــحة الثنايـــا
رمـــت عـــن قـــوس فتنتهـــا فـــؤادي ... فيـــا لـــك مُقصَـــدا بـــين البرايـــا

= أتتـرك قلبـه أسـما شـظايا ... وقـد هجـر الصـبابات الصـبايا
تحفـز مـدمعي وبُهـتُ هـذي ... ديـار الحـب سـاكنها العظايـا

إلى أن يقول:

أآل الشـيخ سـيدي لا تـوارت ... لآلـئ مـن منـاقبكم سـنايا
بنيـتم بالتواضـع صـرح عـز ... منيفـا ظـل للأخـلاق رايـا
وعهـد الشـيخ فاكهـة وأَبٌّ ... وبرهـان تمُـتُّ بـه الزوايـا
وتـابع دربَـه خلَـف فكـانوا ... مثـالا فـي المناقـب والمزايـا
نجـوم تَشـمعِلُّ بهـا سَـماها ... وتُجلـى بانبلاجتـه القضـايا
...الخ

ويقول الأستاذ الدكتور أحمد بن الدنبج:

أذاكـرةٌ نَـوارُ علـى نوايـا ... معاهـدَنا القديمـة بالثنايـا
بوعسـاء النمـال وربوتيـه ... وأنجـاد النِّشـان إلـى بَيَايـا

إلى أن يقول:

بنـي الشيخ الكرام ومن تحلـوا ... بـأخلاق مُوَرَّثـة سـجايا
ومـن هـم كعبـة القُصَّـاد قـدما ... إذا طافـت بكعبتهـا البرايـا
وهـم قدما حمـوا بحصيف رأي ... حمـى الإسـلام مرتفـع اللوايـا
فمـا كـذبت رويـتهم وعضـوا ... عليـه بالنواجـذ والثنايـا
بـدعوة منـذرٍ عَيْـثَ النصـارى ... إلـى أن أُكبتـو صُـعراً خزايـا
...الخ

سبتني بالقوام وبالتثني ... وطرف قد أتاح لي المنايا
أبيت وفي الحشا جمر ذكي ... وليلى في الدمقس على الحشايا
فهل لزمان جيرتنا معاد ... بأعلى الجزع إذ ليلى مُنايا
وإذ ليلى تروق الناس طرا ... وليس يروقها أحد سوايا
وهل صفو الزمان يعود يوما ... فيهمي منه منبجس الروايا
ويخلص من وداد ذوي المزايا ... لنا المرباع أجمع والصفايا
بني العلياء تندغ خير حي ... إذا عدت ذوائبَها الزوايا
منار العلم مهبط كل فضل ... هداة الخلق من كرموا سجايا
ومن سيماهم التقوى ومن هم ... بناة المجد من بين البرايا
ومن هم حلة الأجواد قدما ... يتيمةِ عقد من بذلوا العطايا
سموا بفعالهم وأُرُوم صدق ... وبالمجد المؤثل والمزايا
وهم أهل العلى منها استباحوا ... حمى قد كان ممتنع الزوايا
ومن علم الشريعة ما ادلهمت ... جوانبه وكان من الخبايا
فقد راضوا عويص الفقه روضا ... وقد حفظوا المغازي والسرايا
وكم فُصَح شوارد آبدات ... أبانوا ما بهن من الخفايا
فقدما قادهم آباء صدق ... لحل المشكلات من القضايا
ولن تلقى على العلات منهم ... سوى ابن جلا وطلاع الثنايا[1]
لئن قال الوشاة مقال سوء ... وأبدوا ما تُجَمْجِمُه الطوايا
لَمَا حدتم عن المعهود منكم ... من ادمان السمو عن الدنايا
ولكن كان واجبكم بحق ... مردهم وأنفسهم خزايا
فمحض ودادنا لكم متاح ... وأهواء القلوب لكم عرايا

---

[1] فيه اقتباس من قول سحيم بن وثيل: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني.

وقــد أوصــى الجــدود بكــم قــديما فــنحن علــى المواثــق والوصــايا
فوالبيــت العتيــق إليــه تهــوي وتخــدي الراقصــات مــن المطايــا
بشــعث مخبتــين لهــم عجــيج بــه تمحــى المــآثم والخطايــا
لأودع ودكــم منــا قلوبــا وضــمته الجــوانح والحنايــا
وخُصــص فــي النفــوس لكــم مقــام وقــد آليــت أعلــم مــا الألايــا
وإذ لــم يبــق فــي الأجــواء غــيم وأصــبحت الضــمائر كالمرايــا
دعونــاكم إلــى تجديــد عهــد رفعنــاه علــى الآفــاق رايــا
ســنبقيه علــى الأيــام صــرحا منيفــا لا تحــل بــه الرزايــا
إلــيكم أيهــا الســادات زُفــت هــديا لــيس تشــبهها الهــدايا
نحملهــا مــن الأشــواق حمــلا ونودعهــا التهــانئ والتحايــا

39- ويقول الأستاذ الشاعر محمد بن محمد سالم بن الفاضل[1]:

يــا زينــة الأرض يــا تيجــان مــن فيهــا يــا ســيرة عطــرت أنفــاس راويهــا
مــاذا أقــول إذا مــا رمــت مــدحكم فالشــمس مشــرقة تبــدو لرائيهــا
مــا ضــمكم مجلــس إلا اســتنار بكــم فــأنتم ساســة العليــا وراعيهــا
زرعــتم فــي ربــوع الأرض قاطبــة مــن المكــارم والأخــلاق ســاميها
فحــزتم الســبق بــين النــاس مــذ زمــن وكنــتم فــي ذرى العليــا أعاليهــا
والــنفس إن ضــاقت الــدنيا بمــا رحبــت فــأنتم أهلهــا أنــتم أمانيهــا
وعنــدما تصــبح القربــى محاصــرة فالتنــدغي مواســيها وحاميهــا

[1] هو محمد سالم بن الفاظل بن محمد الحسين من قبيلة تكْنَ، أديب وشاعر من مواليد السبعينات جنوب اترارزة، قاطن في ولاية آدرار بمدينة أطار، وقد قال هذه القصيدة حين زار أهلا له - خريف 2013م - فوجدهم مكرمين عند قرية المدينة المنورة (قرب حنفية انتوفكت).

لا غـــرو إن كنـــتم للجـــرح بلســـمه ... وللمآســـــي وللبلـــــوى مـــــداويها
فـــالكون يشـــهد والأيـــام شـــاهدة ... بـــأنكم خيـــر مـــن يـــدعوه داعيهـــا
وأنكـــم ســـادة الـــدنيا بأكملهـــا ... وهـــديكم لـــم يـــزل يحـــدوه حاديهـــا
فـــذي المنـــابر بـــالقرآن شـــاهدة ... بـــأنكم خيـــر مـــن يحيـــي لياليهـــا
وجـــاركم آمـــن مـــا دام قـــربكم ... وإن نـــأى ضـــاقت الـــدنيا بأهليهـــا
الكـــون مبـــتهج مـــادام يحضـــنكم ... والأرض طيبـــة مـــا دمـــتم فيهـــا

40- ويقول فضيلة القاضي السيد أحمد بن حَكِّ قاضي تامشكط سابقا[1]:

يـا ابـن الجحـاجح الكـرام، العاليـه ... أنســـابهم فـــي حضـــر وباديـــه
أقمـــارلمتونـــه، العلـــوم ثاويـــه ... لـــديهم مـــن زاويـــه لزاويـــه
هـــم حلهـــم وعقـــدهم إن داهيـــه ... دهـــت لهـــم مـــن البغـــاة الباغيـــه
تـــراهم لهـــا الجبـــال الراســـيه ... حتـــى يزيلوهـــا بكـــل ناحيـــه
كـــم جلبـــوا لتنـــدغ مـــن عافيـــه ... وكَـــفِّ ضـــر فـــي الـــبلاد النائيـــه
حتـــى يكـــون أمـــنهم سواســـيه ... فيـــه النفـــوس كلهـــا والماشـــيه
وكلهـــم كفـــؤ لـــذاك كافيـــه ... مثـــل معاويـــه ومثـــل الداهيـــه
أحمـــدوفـــال والـــدنبج الراويـــه ... .

---

[1] قال هذه القصيدة يخاطب بها فضيلة القاضي محمد يحي بن محمد الدنبج وقد رد عليه بقصيدة مطلعها:

مني إلى الخل الزميل الصافيه ... منـــه المـــودة لنـــا طواعيـــه
وبين أسلاف الجميع ماضيه ... مـــــودة قديمـــــة وباقيـــــه
أحمد ركن العلماء الراويه ... والمقتفي سنة طه الهاديه
والباسط الكف لكل آتيه ... وكـــل آت مـــن بـــلاد نائيـــه
الحاكم العدل الرضا والساميه ... عن المساوي منه نفس زاكيه
الخ...

إلى أن يقول:

للمغـــرب الأقصـــى ملـــوك ســـاميه أجـــدادهم قـــد فتحـــوا عواليـــه

وغـــــوره قـــــد دخلـــــوا خوابيـــــه فتركـــــوا القـــــرى هنـــــاك خاويـــــه

كمثـــل يحيـــى مَـــن نمتـــه ناميـــه لعمـــــر وابـــــن أخيـــــه تاليـــــه

الملحق الأول بالديوان:

مدائح فصيحة لشعراء من الحلة

قافية الباء:

يقول العلامة الشيخ أبو شامة بن بوري من قصيدة مطلعها:

علـى ربـع واد الله قـف ثَـم صـاحبي ... فهــذي ديــار الحــي بــين المضــارب

إلى أن يقول:

بنـي العـز والعليـاء والمجـد والنـدى ... وغـيظ العـدى عنـد التحـام الكتائـب

إذا قيـل مـن للعـرف والجـود والعلـى ... أجــابوا ســراعا لاحتمــال النوائــب

مكـارم مــن عهــد الربــاط تتــابعوا ... عليهــا فكــانوا فـي الــذرى والغــوارب

سـل الطـارق المعتـر عـن ضـوء نـارهم ... يخبــرك أخبــار امــرئ غيــر كــاذب

وإن تســأل التــاريخ عــنهم فإنــه ... يخبــرك عــن أســلافهم بالعجائــب

إلى أن يقول:

بنــى لكــم الأجــداد مجــدا مــؤثلا ... فســيرا علــى آثــارهم والمناقــب

فقـد غرسـوا في تربـة المجـد والعلـى ... غراســا جنيــا فيــه بــيض المكاســب

وكـانوا شموسـا للهـدى في زمـانهم ... تُبــدد ســودا مــن قتــام الغياهــب

علـيهم مــن الــرحمن غُــرُّ سـحائب ... مباركــــة موصــــولة بســــحائب

قافية الراء:

يقول العلامة الشيخ محمد احمد بن الرباني:

تجلـى صـباح الحـق والبطـل أدبـرا ... ومُدت يـد الإنصـاف والعـدل في البـرا

وأضـحت دجنـات الضـلال مضـيئة ... تــدل علــى نهــج الهــدى مــن تحيــرا

وســاعدنا صــرف الزمــان وأشــرقت ... شــموس فعــال لــيلهن قــد اَقمــرا

وهبت رياح النصر نحسب نشرها ... يفوح من الآفاق مسكا وعنبرا
فَدَيْمَانُنا تِبْر، وخالص تبره ... به أُفْقُنا بعد الظلام تنورا
نذكرهم عهدا تقادم بيننا ... ويرعى قديمَ العهد حُرٌّ تذكرا
بمخهم تُلفى محبة تندغ ... كذلك مخ التندغي إن تكسرا
أمَا نحن حي الأربعين وقومنا ... بِزِيزَ إلى البحر المحيط إلى انْدَرا
وننمى لذي الغار العتيق[1] وحسبنا ... بذاك نجاحا في الأنام ومفخرا
وإن نزل الأنساب منا لحمير ... فمن غير عدنان يقاوم حميرا
معاشر عزدوخوا الأرض شرقها ... كما دوخوا في غربها من تجبرا
أمدوا العتيق ذا الخلال بعسكر ... يجر لأهل الردة الغلب عسكرا
على عسكر قيس وآخر منهم ... عليه السبنتى ذو الكلاع تأمرا
ومنا أبو بكر الأمير وجنده ... فتوحاتهم كانت من الشمس أظهرا
أباحوا حمى أرض السوادين عنوة ... فلم يتركوا دارا ولا من تَدَيَّرا
بلاد أباحوها وأحيوا مواتها ... وألقوا رواسي العدل فيها لتُعمرا
بلاد بها أحياؤنا وثواؤنا ... ينيف على حاء المئين أواَكثرا
ونقش الحبارى في صفي قبورنا ... يلوح عليها كالنجوم أوازهرا
وقد قال فينا ناصر الدين قولة ... وما الحق من قول الأكابر مفترى
بأن لنا قدما نفوسا أبية ... وسبق سعادات ونصرا مؤزرا

ويقول العالم الشاعر الصوفي الشهير موناك بن مبرك من قصيدة له[2]:

---

[1] يبدو أن الشيخ ذكر هذا القول في مقام الفخر، ولكنه مر عليه مر الكرام متجاوزا إلى النسب اللمتوني الحميري المعتمَد لديه حيث أكثر من تعداد مآثرهم.

[2] قال هذه القصيدة تصديقا لقول الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديّ في الاعتراض على محمدن بن الخراش حيث كان يكتب في توقيعاته "التندغي نسبا الإنتشاني وطنا" فقال له الشيخ سيدي محمد: =

إنـــا لـــنحن الأربعـــين وعنـــدنا تُلفـــى المكـــارم والعلـــى والمفخـــر
فالشـــيخ ســـيدي بـــل أبـــوه وجـــده منـــا، ومنـــا العـــامري ببكـــر
ملـــك الـــبلاد لنـــا فســـرنا نحـــن في آثـــاره وظلالـــه نتبختـــر
نلنـــا الفخـــارعلـــى الزوايـــا كلهـــم يُنمـــى إلينـــا والزوايـــا حُضَّـــر
لـــم ينكـــروا المجـــد الأصـــيل وعنـــدنا كـــل الأدلـــة والشـــهود إن انكـــروا
إن كـــان بـــالعلم الفخـــارفإننـــا علماؤنـــا كـــل الشـــريعة حـــرروا
أوكـــان فـــي بـــذل العطـــا فأكُفُّنـــا أبـــدا علـــى كـــل الخلائـــق تمطـــر
أوكـــان بالعـــدد الكثيـــرفـــنحن مـــن كـــل القبائـــل والعشـــائرأكثـــر
أوكـــان فـــي غـــرر القصـــائد عنـــدنا غـــرر يعـــز وجودهـــا أوينـــدر
...الخ

ويقول أيضا[1]:

إن بالقـــــاع أربُعـــــا لنَـــــوار أنكـــر الهِيـــف رســـمها والســـواري
فوجـــــدنا بخالـــــدات الأثـــــافي بينـــــات وباقيـــــات الأواري
فـــالربوع التـــي لهـــا بالضـــواحي فـــالربوع التـــي لـــدى ذي القـــرار
فـــالربوع التـــي لهـــا بحـــوالي فـــرجلات فمربعـــي ذي الحمـــار
خـــيم المـــزن حولهـــا وســـقى مـــا حولهـــا مـــن أنجـــد وتيـــار
دهرهـــا ســـيد الـــدهور بأهـــل خيـــر دهـــر ودارهـــا خيـــر دار
يـــا لهـــا مـــن معاهـــد مثمـــرات بـــالتقى والعفـــاف خيـــرثمـــار

= "هل لا كتبت التندغي نسبا ووطنا؟!". (المصدر: أحد أجوبة القاضي محمدن بن أحمدو فال للشيخ هارون بن الشيخ سيديّ)

[1] كان موناك قد أنشد بحضرته أحد الشعراء قصيدة فخرية يذكر فيها مآثر قومه فأثارت الحماسةَ في نفسه فأنشأ وأنشد هذه القصيدة ردا على ذلك الشاعر، ومطلع قصيدة الشاعر المذكور:

إن بالمرّ مربـعا للعذارى أصبح اليوم خاليا من جبارى
بُدل اليوم بعد طول حلول ديـما قـد محونه وصـوارا

وغرســـنا بهـــا العلـــوم عقـــارا ... والمعـــالي وذان خيـــر عقـــار

وبنينـــا مـــن الســـخاء قصـــورا ... ووكفنـــا مـــن العطـــا ببحـــار

يعلـــم الله أننـــا لكـــرام ... وخيـــار مـــن خيـــرة مـــن خيـــار

أكـــرم الميـــت ميتنـــا، خيـــر حـــي ... حينـــا ذا، ونارنـــا خيـــر نـــار

يُكـــرم الضـــيف في المحـــول لـــدينا ... والـــزلال النميـــر قـــوت العـــذاري

ذمنـــا مـــن يقيســـنا بالزوايـــا ... لـــيس ســـوم الفلـــوس ســـوم النضـــار

طفلنـــا بـــين شـــيبهم لا يبـــارى ... يُتقـــى مـــن بلاغـــة ووقـــار

حيثمـــا يجهـــل الزمـــان ويُخفـــي ... كوكـــب الشـــمس ســـاطعات الغبـــار

وتلاحـــى أهـــل العقـــول وقـــالوا ... مـــا لكـــم فـــي بلادكـــم مـــن قـــرار

بـــادروا بـــالفرار لـــيس قـــرار ... بعـــد هـــذا فبـــادروا بـــالفرار

نبتنـــي المجـــد بابتنـــاء خيـــام ... فـــي بقـــاع يـــؤمهم كـــل ســـار

مـــن ضـــعيف وعـــاجز وفقيـــر ... قـــد بقـــوا بعـــد قـــومهم في القفـــار

ولصـــوص غياشـــم وطيـــور ... جائعـــات وأســـد غـــاب ضـــوار

نســـع الكـــل ميـــرة وأمانـــا ... نطلـــب المجـــد بالثنـــا ونـــداري

فتـــرى الطيـــر والســـباع بطانـــا ... مـــن ســـوام لنـــا وذات ادخـــار

إذ غـــدوا جارنـــا ونحـــن أنـــاس ... لا نـــرى المجـــد غيـــر حفـــظ الجـــوار

ولنـــا فـــي العلـــوم أيـــد طـــوال ... مـــن قـــديم يؤمنـــا كـــل قـــار

مـــن أصـــول وســـنة وكتـــاب ... والموطـــا ومســـلم والبخـــاري

فقـــديم العلـــوم طـــرا لـــدينا ... والعلـــوم المســـتنبطات الطـــواري

وتمنـــى قريضَـــنا البـــيضُ حَليـــا ... يهـــر الـــدر بهجـــة والـــدراري

واكتســـينا مـــن الثنـــاء بـــرودا ... رب قـــوم مـــن الثنـــاء عـــوار

صـــيتنا ذاع فـــي الـــبلاد جميعـــا ... عنـــد أهـــل القـــرى وأهـــل الصحاري

حلمنـــا بالجبـــال يـــزري، ويـــزري ... ســـاعة البـــذل جودنـــا بالبحـــار
فاســـأل الوفـــد إن ألـــم بليـــل ... واســـأل الوفـــد إن أتـــى بالنهـــار
ومتـــى تســـأل الحســـود الـــذي فـــي ... عينـــه نحـــن كالقـــذا والعُـــوار
يقـــل القـــوم أربعـــون جـــوادا ... ويـــواري مـــن جودنـــا مـــا يـــواري
هكـــذا نهـــج ســـالفينا، وقامـــت ... تقتفـــي مـــنهجَ القـــديم الـــذراري
وإذا مـــا ســـاد الكـــرام فمنـــا ... مـــا لـــديهم مـــن العلـــى والفخـــار
بغريـــب يحلهـــم ثـــم يمســـي ... ثاويـــا فـــيهم بـــذات خمـــار
كـــل ذا ظـــاهر لكـــل أريـــب ... عـــارف بـــالعلى كـــريم النجـــار
واللئـــيم الحســـود يشـــجيه كالجعـــ ... ـــلان حتـــفٌ لهـــا شـــميمُ الصـــوار
والســـلامان دائمـــان علـــى مـــن ... خُـــص بـــالختم مـــن خيـــار نـــزار
وعلـــى الآل والصـــحاب الألـــى را ... مـــوا المعـــالي بهجـــرة وانتصـــار

قافيةَ القاف:

ولموناك أيضا:

.....

مـن تنـدغ الصـيد التـي إن غولبـت ... شـــقيت بحـــد ســـيوفها الأعنـــاق
كـــلٌّ كـــأن الليـــث حشـــو بـــروده ... وكـــأن ضـــوء جبينـــه الإشـــراق
قـــوم إذا ومضـــت بـــروقهم همـــى ... صـــوب الحيـــا وأنـــارت الآفـــاق
وإن اســـتقل بنـــانهم بيراعـــة ... لبســـت وشـــيج برودهـــا الأوراق
وإذا انتـــدوا وتكلمـــوا أنســـوك مـــا ... صـــانته مـــن أغلاقهـــا الأحقـــاق[1]

[1] جمع حُقّ، وحق الطيب: وعاؤه (المنجد في اللغة والأعلام، مادة: حقق)

فهـــم إذا ألقـــوا حبـــال بيـــانهم غلبـــوا جهابـــذة الكـــلام ففـــاقوا
وإذا جـروا في الشـأو نـالوا مـا اشـتهوا وثنـــوا أعنـــتهم وهـــم سُـــبَّاق
نُصـبت لهـم حسـدا علـى مـا خُوِّلـوا مـــن ســـؤدد ونفاســـة أوهـــاق[1]

قافية اللام:

يقول العلامة القاضي محمد يحي بن محمد الدنبجة يمدح أعصار الحلة في مناسبة إصلاح بئر بتنبصكيت:

بـــذي الريـــع ليـــل بـــالهموم كفيـــل طويـــل وليـــل العاشـــقين طويـــل
فبـــت بـــه والقلـــب يغلـــي ودمعـــة علـى الخـد مـن فـرط الغـرام تسـيل

إلى قوله:

ولمـــا رأت أســـماء وجـــدي ولـــوعتي غـــداة افترقنـــا والهمـــوم شـــكول
وفاجأهـــا هتـــك الســـتور قيـــانهم وزُفـــت لإزمـــاع الرحيـــل حمـــول
بكـت ودعـت بالثـدي بينـي وبينهـا وقـــد حـــان منـــا فرقـــة ورحيـــل
علـى عجـل الإيـاب منـا إلـيهم وفـي الجسـم منـي رقـة ونحـول
وقالـــت فـــلا تجـــزع ففتيـــة تنـــدغ لهـــم همـــم عاليـــة وعقـــول
وقـــوة عـــزم فـــي الأمـــور ونخـــوة ومحكـــم رأي مـــا إليـــه وصـــول
هـــم مـــا هـــم إن تـــدعهم لملمـــة تجبـــك إليهـــا فتيـــة وكهـــول
فلـــم ينتهـــوا عمـــا يرومـــون رغبـــة ولا رهبـــا لـــو كـــان فيـــه ذحـــول
ونعـــم الفُتِـــيُّ اليـــوم أنصـــار تنـــدغ وأشـــرافها حـــين الكـــرام قليـــل

---

[1] الوهق - محركة ويُسكَّن -: الحبل يُرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان، وجمعه: أحقاق. (القاموس المحيط، مادة: وهق).

ويـــا حبـــذا الأنبـــاط حـــين تـــألبوا وجـــاءوا شموســـا مـــا لهـــن أفـــول
ونعـــم قـــريش[1] فتيـــة تندغيـــة ووالـــدنا محمـــود حـــين يصـــول
ونعم الـزعيم المصطفى حين جاءهم تجـوب بـه عـرضَ الفـلاة ذمـول
فوافـــاهم لا يختشـــي لـــوم لائـــم وللإبـــل لَمَّـــا يطبيـــه أبـــول
وذو العـزم والجـدوى محمـد أحمـد وكلهـــم عنـــد الخطـــوب جليـــل
ويـا حبـذا ذاك العـريش الـذي بنـوا وقـــوم كـــرام بـــالعريش نـــزول
ومـــاء بـــه عـــذب نميـــر وحـــائط أنيـــق وظـــل بـــارد وظليـــل
ونفحـــة طيـــب قـــد تهـــب عشـــية وروض بـــه غَـــضٌّ ســـقته ســـيول

ويقول الشاعر الكبير محمد الحافظ ولد أحمدو[2]:

ورثنـــا بحمـــد الله أنســـاب حميـــر بدوحـــة عـــزلـــم تـــزل تتهـــدل
ومـــا انفـــك حـــي الأربعـــين منـــارة بـــه الكوكـــب الأرضـــي إن مـــال يُعـــدل

ويقول المؤلف[3]:

نمتنـــا وإيـــاكم للمتـــونَ نســـبة وقـد طـاب منهـا فرعنـا وكـذا الأصـل
أولئـــك حـــي الأربعـــين فـــإنهم أماجـــد لا يُلفـــى بنـــاديهم نـــذل
ولـــيس بهـــم ذام ولا ضـــعف همـــة ولـيس بهـم جهـل ولـيس بهـم بخـل
هـم القـوم فاحـذرهم إذا كنـت ظالمـا وإن كنـت ذا سـلم فمقـودهم سـهل
فَـرُمْ عنـدهم علمـا إذا كنـت جـاهلا وإن كنـت ذا حـاج فعنـدهم السـؤل

---

[1] الأشراف والأنباط وقريش أسماء أعصار من أعصار الحلة.
[2] البيتان من قصيدة للشاعر يرثي بها المرحوم السيد المنفق عبد العزيز ولد احّان ولد الرباني.
[3] هذا المقطع من قصيدة للمؤلف بمناسبة قدوم وفد "انجامرة" على علب آدرس سنة 1988م.

بنـوا كعبـة العليـاء بـالعلم والنـدى ... فَـلاَنَ لهـم حَـزْن المكـارم والسـهل
وقـد علَّمـوا التـاريخ درس حضـارة ... دعائمهـا الإسـلام والحبـر والنصـل
وإيـواء محـروم وتـأمين خـائف ... وإكـرام ضـيفٍ حَـلَّ والجـود والبـذل
قَفَـوا سـنن الماضـين أيـام دولـة ... للمتـونَ قـد عـزت ودان لهـا الكـل
أقـاموا علـى التقـوى رباطـا مقدسـا ... فـتم بـه فـتح وعـم بـه العـدل
بـه انهـزم الأعـداء في كـل مـوطن ... وقـد خـرس الشـيطان واندحر البطل

قافيةَ السين:

يقول العلامة الشيخ محمد أحمد بن الرباني في مدح نساء الحلة:

أسـتودع الله بنـات العـم ... الكاشـفات بـالنوال غمـي
مَـنْ حُـزْنَ مِـن مجـد أب وأم ... مـا لـم ينلـه نـاطق بفـمّ
علـون إذ بـدأن بـالأهم ... مـن العلـى ذرى الجبـال الشـم
بـرئن مـن كـل خنـا وذم ... لـدى الأخـص ولـدى الأعـم
بـراءة الـذئب النقـي مـن دمّ ... يوسـف معـدن الهـدى الخضـم
يفقـن بهجـة النعـاج الجُـمّ ... يضـحكن عـن كـالبرد المُـنْهَمّ
بالتنـدغيات جـلاء الغـم ... مـن كـل ذي غـم وكـل هـم
لازال مـن يحسـدها فـي سَـم ... خياطـه يحكـي ألـيم السُّـم
لازلـن مـن ذي العـرش فـي أتـم ... مـا يشـتهين بـالنبي الأمـي
صـلى عليـه ذو العطـاء الجـم ... والآل والصـحب بـدور الـتم

ويقول أيضا:

يـا حـي تندغـة الـذي عـز الـورى ... يـأتي بمـا يـزن البعوضـة مـنكم
فلأنـتم نفـع العفـاة وأنـتم ... دفـع الجفـاة وأنـتم مـا أنـتم
مـا إن رأيـت كمـثلكم قومـا علـى ... وقـع الشـدائد والنوائـب مَـنْ هُـم
قـوم إذا ذُكـر القبـيح تـأخروا ... عنـه وإن ذكـر الجميـل تقـدموا
قومـوا بتقـويم الأمـور فإنـه ... مـا كـان يُسـلم مـا لديـه المسـلم
كونـوا رعيـة مـن يحـوط حمـاكم ... إلا فلـيس لـه الشـفوف علـيكم
وضعوا السلاح عن التشاقق والهوى ... وعلى التوافـق والهـدى فاسـتلئموا
وعلـيكم تقـوى الإلـه وعظمـوا ... أمـر الأكـابر والسـلام علـيكم

قافية النون:

يقول العلامة محمدن القاضي بن أحمدو فال في مدح نساء الحلة:

بنـات الأربعـين مـن الأبينـا ... ورثـن المجـد إرثـا مسـتبينا
بنـات الأربعـين فعلـن فعـلا ... حكـى فـي المجـد أفعـال الأبينـا
وكـم ثُبَـةٍ تسـاموا فـي المعـالي ... فأمسـى الفـرع فـي العليـا ثبينـا

ويقول الشيخ محمدن بن الشيخ سيدي المختار:

إن حظـا مـن العلـى لأبينـا ... تنـدغ كـان وافـرا وثمينـا
قـد حـواه البنـون منـه، ومنـه ... قـد حوتـه البنـات مثـل البنينـا
وَحَـدَا للنـدى بنـوه وسـاقت ... لبنيهـا الأبنـاء بعـد الأبينـا

بأبـــاة للضـــيم كـــلٌّ أَبِـــيٌّ ... عَـــيْلَم يفعلـــون مـــا يبتغونـــا
يمنعـــون الحمـــى فلـــيس حمـــاهم ... مســـتباحا ولا هـــم يُمنعونـــا
لـــيس فـــيهم لقائـــل عيـــب اِلا ... أن تَسَـــمَّوا بحلـــة الأربعينـــا
فـــيهم مرحبـــا وأهـــلا وســـهلا ... إن أتـــوا مُشْـــرِقين أو مغربينـــا

ويقول العلامة محمد محمود بن بوري (أبو شامة):

واد الإلـــه بـــه أهـــل وجيـــران ... هاجـت بـذكرهم فـي القلـب أحـزان
عـرج بـه وَسَـلَنْ عنـد الوقـوف بـه ... ربعـا هنـاك عليـه السـدر والبـان
فللمنـازل فـي شـرع الهـوى سـنن ... يسـتنها فـي كتـاب الحـب غـيلان

إلى أن يقول:

أســـتودع الله أحبابـــا إذا ذُكـــروا ... تَنْهَـدُّ مـن ذكـرهم للصـبر أركـان
هـم أربعـون جـوادا أبحـر كُرمـا ... بـيض الوجـوه على المعـروف أعـوان
هـم جـددوا الـدين إذ مالـت دعائمـه ... فانتاشـه فتيـة فـي الـرَّوْع فرسـان
فاستحكمت حلقات العلم وازدهرت ... مـنهم تُلـول وأبطـاح وكثبـان
هـم المصـيبون إن قـالوا، وإن حكمـوا ... فحكمهـم فـي الـورى عـدل وميـزان
سَـكرانهم لا بنـات الكـرم سـكرته ... لكنـه عنـد بـذل المـال سـكران
تهتـزعنـد النـدى أرواحهـم كرمـا ... كمـا تَهـازَزُ عنـد الـريح أغصـان
هـم أذكرونـي آبـاء لنـا سـلفوا ... وجـددوا مجـدهم مـن بعـد مـا بـانوا
يـا أربعـين جـوادا طـاب أن لكـم ... مجـدا تقاصـرعـن عليـاه كيـوان
نفسـي الفـداء لأقـوام إذا ذكـروا ... تحيـى بـذكرهم للنـاس أبـدان
يـزداد إيماننـا مـن ذكـر أرضـهم ... إذ هـم جميعـا لنـا أهـل وأوطـان
زرت العواصـم لـم أظفـر بمـثلكم ... فـأنتم جنـة فـأين رضـوان

غُــرٌّ مكــارمكم شــاعت فضــائلكم ... خضــر مــراتعكم للفضــل تيجــان

صحت مكارمكم ما قيل عن هرم ... إذ جدكم ضمه من قبلُ غمدان

مُقَــدَّمٌ فــي المعــالي ذكــركم أبــدا ... كمــا يُقــدم باســم الله عنــوان

أنــتم طــراز المعــالي تفخــرون بهــا ... إذ فخــر غيــركم الأبقــار والضــان

أنــتم طــراز المعــالي تفخــرون بهــا ... إنســانها أنــتم والنــاس أجفــان

هــذي كنــوز أثارتهــا فضــائلكم ... نباتهــا التبــر لا شِــيح وسَــعدان

تختــال بــين الــورى تِيهــا بســعدكم ... أبياتهــا كلهــا در ومرجــان

إن ابــن بــوري لــه فخــر بنســبتها ... كمــا تفــاخر بالمختــار عــدنان

ثم الصلاة على الهادي الذي ارتفعت ... بشــرعه أمــة وانهــار إيــوان

الملحق الثاني بالديوان:

جانب الأدب الشعبي

روى التا, :

يقول سدوم ول آب:

عَفَـــــاكمْ يَحلّـــــتْ لَجـــــواد ... يَتَنْـــدَغْ حَـــكْ انْتُـــومَ لَسْـــيَادْ
يَـــزّعْمَ حَـــكْ ابْلَـــدْ مِعَـــادْ ... أَهْـــل الْحَـــاجَ وابْلَـــدْ عتْـــرتْ
لمْـــــرُوَّ والـــــدين أُلْمَجَـــــادْ ... يَمَنْكَـــعْ لحْسَـــان أمـــدْرتْ
خَيْـــر امْعَـــرَّمْ فَـــيكُمْ يتْـــرَادْ ... مـــنْ دَرْجَ مَـــا كَـــطّ انْحـــدْرتْ
مـــنْ مَجْـــد الْعرْبَـــان الـــتِّلاَدْ ... لَفَاضـــلْ لغْـــلاَظ أختْـــرتْ
جَيْـــت امْعَيَّـــنْكُمْ مَـــانِ كَـــادْ ... نَوْعَـــدْ خَـــاطِيكُمْ مَـــا عمْـــرتْ
بِيـــه اخْـــلاَكِ، مَـــانِ مُعْتَـــادْ ... بِـــيَّ عـــزّتْكُمْ يَســـدْرتْ
كبْـــر الْمَـــدّ الْفِيـــه اخْتـــرْتُ ... يَـــمّ اكْبِيـــر امْثَـــالُ نـــدْرتْ
مـــنْ فعْـــلُ مَـــا كَـــطّ افْتـــرْتُ ... والنَّـــاس الْخَـــاطِيكُمْ فتْـــرتْ

ويقول الشريف محمد اشريف بن عبد المومن:

التَّنْـــــدْغِيَّاتْ مَعْلُمَـــــاتْ ... جَايْبَاتْـــــهَ مـــــن ابَّـــــاتْهُمْ
سَـــوّل الْجَـــدّ امْنَـــيْنْ بَـــاتْ ... وسَـــوَّلْ لمْـــرَ امْنَـــيْنْ جَـــاتْهُمْ

ومن مطولة للشيخ محمد مفتاح بن صالح يرحب فيها بقدوم محمدن بن الطلبة(بَدُّونَّ) من غيبة طويلة طال انتظار عودته منها، يقول:

الحمـــــد لله بْلِسَـــــانْ ... صَـــــرَاحَ وبْدَلاَلتْـــــهَ
والْحَـــكْ لْسَـــان لْترْجُمَـــانْ ... حَقِيـــقَ بَلْغـــتْ حجّتْـــهَ

إلى أن يقول:

وابْـــرَزْ مـــنْ حلَـــتْ لَـــرْبَعِينْ ... جيّـــــدْ، حـــــلَّ ذِ حرْفتْـــــهَ
تَقْـــوِيم السُّـــــنَّ بـــــالتَّكْوِينْ ... بِيـــــه انْفَرْضـــــتْ زَعَامتْـــــهَ
الزَّامـــــلْ كَـــــوْمُ مشْـــــتَهْرِينْ ... والْقَبِيـــــــــلَ تَسْـــــــــميّتْهَ
سَـــــبَبْهَ مَعْـــــرُوف، اسْـــــكِيَّيْنْ ... حَسْـــــبتْهَ واسْـــــكِ نسْـــــبتْهَ
والِّ جَـــاب أُســـرْتُ ف امْنَـــيْنْ ... مَـــــا رَ حَالـــــتْ نَفَقتْـــــهَ
ذَاك اعْطَـــاوهْ خَيْمـــتَ عشْـــرِينْ ... وازْمَـــــانْ وْطَـــــاوهْ عَتْمتْـــــهَ
وَنَمْـــــرَاي وُخَـــــادمْ ذَ زَيْـــــنْ ... اسْـــــكِ مَـــــدَّ ذِ شَـــــغْلتْهَ
هَـــــاذَ كِلْـــــتُ نَصْـــــرَ للـــــدِّينْ ... والْحـــــلَّ طَبْـــــعِ نَصْـــــرتْهَ

روى الدال:

يقول أبو بكر ولد بليهِ من مطولة له في مناسبة إصلاح بتنبصكيت:

عَـــنْ ضَـــيْم اتْمَـــابِيكُمْ مَ كَـــادْ ... ايْحَـــــامرْكُمْ يَتَنْـــــدَغْ حَـــــدْ
فجَّـــــوْدَ والْكـــــرْم فْلَـــــبْلاَدْ ... اجّـــــدّ ايْخَلِّـــــيهُمْ لجّـــــدْ
السّـــــعْر اتْكُـــــومُ فِيـــــه اكْـــــدَادْ ... بلْعَجْـــــلَ تبْنُـــــولُ بَوْتَـــــادْ
لحْجَـــــار اسْـــــمكْتُوه فْ لَـــــبْلاَدْ ... الْهنْـــــد الْمَجْـــــد الْمُهَنَّـــــدْ
بجَّـــــوْدَ درْتُـــــولُ عَمَّـــــادْ ... لحْدِيـــد الْكَيْـــتُ فُـــوكُ سَـــدْ
بلبَطَـــــالَ واحْيُـــــوط امْـــــرادّْ ... الْكـــــرْم الْمَـــــا تكْـــــدرْ تنْعَـــــدْ
كَـــوْم الزَّامـــلْ مـــنْكُمْ وَاكْـــوَادْ ... وافْرِيـــكْ الْمَـــاتَ وامْـــر الْجَـــدْ
مَـــا فكْبِيـــلَ مـــنْ دُون اعْنَـــادْ ... رجْـــــلِ للسّـــــتْرَ يتْحَـــــدَّدْ
خَـــــاطِيكُمْ للْخَاســـــرْورَّادْ ... والصَّـــالحْ عَـــنُّ مَـــا تكْعـــدْ

جَـــاولْبُتنْبصْـــكِيت افْـــرَادْ واجْمَـــايعْ مَـــا خَـــلاَّو الْحَـــدْ

...الخ

ويقول الشاعر الكبير والأديب التقي ول الشيخ:

هَـــوْن مْـــن الْمَجْـــد الْمَـــا ادْرسْ يَاســـــرْ والْمَجْـــــد التَّالـــــدْ

لُولـــــدْ هَـــــوْن فْ علْبَـــادْرسْ وَصَّـــــالُ بِيـــــه الْوَالـــــدْ

ويقول القاضي ول انكِذي:

بَـــلّ الْمَعْـــرُوف الْمَـــا ادْرسْ واجَّـــــــوْدَ ذِ مَعْهُـــــــودَ

ذَانَ رحْـــــت لْعلْبَـــــادْرسْ بَـــــلّ السّـــــتْرَ واجَّـــــودَ

ابْلَـــــدْ وخيـــــرْت الْهَايْـــــلَ مَـــــا تتْخَطَّـــــاكُمْ كَايْـــــلَ

واعْلِـــــيكُمْ طَبْعـــــاً مَايْـــــلَ ابْمَعْطَـــــاكُمْ مَكْـــــرُودَ

غَـــــايتْنَ فِـــــيكُمْ زَايْـــــلَ يَلَجْـــــوَاد الْمَوْعُـــــودَ

بَكْـــــرَ مَصْـــــيُوكَ شَـــــايْلَ والَّ بَكْـــــرَ مَكْيُـــــودَ

واسْـــــوَ لَعَـــــادتْ حَايْـــــلَ مـــــنْ لُكِـــــيَّ مَعْـــــدُودَ

ويقول أعمر ول امبارك ول اشويخ:

يـــــالله اتْعَمَّـــــرْ تَنْـــــدْقَ اعْـــــلَ مْجْمُـــــوع اعْبِيـــــدَكْ

يَعْمَـــــلْ حَاســـــدْهُمْ ينْشْـــــقَ يـــــلِّ ذَ كَامـــــلْ فَيْـــــدَكْ

روى الرا:

ويقول انجبنان:

حلّــتْ تَنْــدَغْ يَــهْل التَّمْجِيــدْ واللِّــين أُلكْــسَ واتْصَــنْدِيدْ
يَلْمَــا تنْكَــاسُ بتْعَانِيــدْ والزَّكْــلَ والْخَاســرْ والشَّــرْ
تَــوّ الشَّــر اكْــسَ مــنْ لحْدِيــدْ واتْعُــودُ تَــوّ الخَيْــر اتْمَــرْ
ؤلا كَــطّ اخْــبَطُّ بِيــه الْكَيْــدْ يَالْحــلَّ حَــكْ ألاَهِ جَــرْ
كُــون الْكبْــر الِّ للتَّمْجِيــدْ والتّكْــدَام ؤكبــرْ لمْجَــرْ
مُوَّسَــاتِ يَخَيَّــاتِ مَــا نبْغِيــهَ عَــنِّ تَحْصَــرْ
بَــيَّ بَــاط الْ مُوَّسَــاتِ شُــور الْحــلَّ والْعَــام اخْظَــرْ

ويقول سيدي محمد ول الكِصري:

حــلَّ هِــيَّ بَــلّ الْمِعَــادْ دَبْــش الثّكْــلَ مَــا يَــدْبَرْهَ
وِلَ يَكَــان ادْبَــرْهَ زَادْ هِــيَّ ترْفــدْ فُــوكْ ادْبَــرْهَ
الِّ هِــيَّ حلّــتْ لَجْــوَادْ حلّــتْ لَجْــوَاد ايْعَمَّــرْهَ

ويقول ول الشافعي:

مَحْصَــرْنَ فسْــهَاوِ لَبْيَــارْ اعْــطَ مَــالُ لِــلِّ دَارُ
واحْكَــمْ دَارُفمْنَــيْن اعْسَــارْ اعْــلَ زَاوِ يَحْكَــمْ دَارُ

روى السين:

يقول أحمد بن اسويدي:

أَبْيَـــــارالْحَـــــوْمَ كَـــــامْلِينْ بَيْـــــع الْـــــمَ فِـــــيهُمْ مَـــــا ادْرسْ
للْخـــــاطرْ كُـــــون انْتُـــــوطْفِينْ هِـــــــــيَّ والَّ علْبَـــــــــادْرسْ

روى العين:

ويقول محمد ول هدار:

يَجْمَاعـــتْ صـــرْبتْ حَـــلّ الـــرَّاصْ والتّعْـــــدَال ؤبَـــــلّ الـــــتّمْلاَصْ
الْـــشِ كَامـــلْ متْعَـــدَّلْ خَـــاصْ واسْـــــوَعَـــــمّ افْكـــــلّ اشْـــــرِيعَ
والِّ فـــــــاللَّوْح أفلْكُـــــــرَاصْ فِـــــيكُمْ مَـــــا فِيـــــه التَّعْتِيـــــعَ
جَيْـــــت ؤلاَ فِيـــــهَ دَسِـــــيسَ للْكـــــرْم الْشَـــــاع ؤذِيـــــك الشِّـــــيعَ
نخْتيـــــرانْشَـــــاهدْهَ، لَـــــيْسَ مَـــــنْ رَأَى كَمَـــــنْ سَـــــمِيعَ

روى الكاف:

يقول الشيخ محمد احمد بن الرباني:

اعْلَيَـــــات الْحـــــلَّ لَجْـــــوَادْ الْهُـــــمْ فالتّعْـــــدَال السَّـــــبْكْ
والشَّـــــيْخ الْمَعْلُـــــوم الْمُـــــرَادْ لَكَّاوهْـــــلُ وَقْـــــت الْمَلْـــــكْ
والشّمْشَـــــاوِ شَـــــاعْ فْلَـــــبْلاَدْ اتْوَاسِـــــيهُمْ لُ غيـــــرابْـــــكْ
مـــــنْ تخْمَـــــامِ فِـــــيهُمْ لمْكَـــــادْ لَّاجـــــهْ مـــــنْ خَبْـــــرالطَّبْـــــكْ

واطْفَـــال الْحـــلَّ هُـــومَ زَادْ طَبْكِـــتْهُمْ بَكْـــرَ مَـــا يَبْـــكَ
عَنْـــهَ حَـــدْ، اوْلـــدْهَ ينْكَـــادْ شُـــور ازْرِيـــبَ والَّ ربْـــكَ

ويقول أحمد ولد هدار الصغير:

شِ مْـــن الْمَجَـــالسْ يلْتْـــغَ لمْجِيـــلُ مَـــاهُ زَاكِ
خَـــاطِ مَجْلـــسْ مـــنْ تَنْـــدْغَ زَاكِ لَجَـــاه احْـــرَاكِ

روى الآل:

يقول عبد الله بن محمدن الديماني:

حـــلَّ مَـــاهِ حلّـــتْ تَنْـــدَغْ مَـــاهِ حـــلَّ ذَ فَـــات ابْلَـــغْ
والْمَـــدْح اعْلِـــيهُمْ فَـــات اسْـــبَغْ يتْعَطَـــاوهْ جِيـــل اوْرَ جِيـــلْ
ولَ كَـــان انْبَـــغْ جِيـــل انْبَـــغْ فلْمـــدْح الِّ فالجِّيـــل اكْبَيْـــلْ

يقول محمد سالم ول لمَّدَّ:

ف الْحـــــلَّ ذِ شِـــــيَّاتْ يَعَكْـــــلِ لَخْلَكَـــــاتْ
مَـــا تَتْـــرَكْهُمْ، وابْكَـــاتْ بِـــيهُمْ بَعْـــد الْحـــلَّ
فَـــمّ اطْيَـــاب الصُّـــرَاتْ والْعلْـــمَ لَجِـــلَّ
ؤشَـــرْح اصَّ لَيَـــاتْ ف الْحُكْـــم ؤلَـــدِلَّ
والنَّـــاس فْـــذَاك افْتَـــاتْ ولْهُـــمْ ذَاك اوْخَـــلَّ
والْكـــرْم الْفِـــيهُمْ بَـــاتْ متْـــأَتِّ جِبِـــلَّ

فالحـــــلَّ مَـــــا خَـــــلَّاتْ حـــــلَّ تَـــــات امْظَـــــلَّ
واعْـــــلَ ذَاك اتْوَصَـــــاتْ لاَ يعْطِيـــــــــهَ كِـــــــــلَّ
وَرَانِ بالتَّعْيِيـــــــــــــنْ امْعَـــــــــيَّنْ ذِ الْحـــــــــلَّ
حلّـــــتْ بَعْـــــد اَربْعِـــــينْ جِيِّـــــدْ هِـــــيَّ الْحـــــلَّ

ويقول عبد الله الحسني:

يَصْـــــلَحْ هَـــــمِّ ظَنَّيْـــــت انِّ سَـــاعتْ مَشْـــيِ مـــنْ عَنْـــد اَهْـــلِ
فتْنَـــــادغْ وانْشُـــــوف امْغَـــــنِّ يكْـــــدرْ فلْبَـــــدْع ايْكَاتفْـــــلِ
وانْـــــرَ شُـــــبَّان اتْحَاســـــنِّ تقْـــــضِ هَـــــمِّ زَاد امَّـــــلِّ
وانْـــــرَ عَـــــالمْ ســـــيّدْ سُـــــنِّي مُخْبـــــرْ فالظَّـــــاهرْ والـــــدّخْلِ
والظَّـــــن الِّ ظَنَّيـــــت انِّ يخْلِكْـــــلِ رَاعِيـــــه اخْلكْـــــلِ

روى الميم:

ويقول ابوه ول عمران:

يَجْمَاعـــــتْ تَنْـــــدَغْ فامْصَـــــلَّ طلْبُـــــولِ لَـــــلَّ حَكَـــــلَّ
وامَّجَّـــــهْ بَـــــرْكتْكُمْ لَـــــلَّ يـــــرْزقْنِ بفْتَـــــاتنْ هُـــــومَ
خَمْـــــسَ والَّ ســـــتَّ والَّ سَـــــبْعَ والَّ ذِيـــــك الْحَـــــوْمَ
يَخْيَـــــار الِّ هَـــــوْن افْلَبْيَـــــارْ وَاخْيَـــــار الِّ هَـــــكّ افْلخْشُـــــومَ
والِّ بَـــــيْن الْبَحْـــــرَيْن اخْيَـــــارْ الِّ فِيـــــه الْيَـــــوْم انْتُـــــومَ

ويقول ول دندني:

سَـــلَّمْت اعْلِـــيكُمْ فالْوَكْـــفَ يَحلَّـــــتْ لَجْـــــوَاد افْـــــلاَمَ
يَبَـــلّ الْمَـــدّ بْـــلاَ كُلْـــفَ مَـــا فِـــيكُمْ مُـــكّ الـــذَّمَامَ
يَســـنْد الضَّـــعِيف الْفَاصـــلْ يَبْلَـــدْ مَـــدّ الْكـــرْم الْحَاصـــلْ
والْفَيْـــدِيكُمْ كَامـــلْ حَاصـــلْ للْفَاصـــــلْ عَايـــــدْ كَـــــرَامَ
وانْـــــتِ رَكَّاعـــــتْ لمْفَاصـــــلْ واهْـــــل السُّـــــنَّه والْعَـــــلاَمَ
والـــــدّين الأَلـــــكْ متَّاصـــــلْ وانْـــــتِ تلْوِيـــــلُ لعْمَـــــامَ

ويقول الشيخ ول أحمد زيدان:

أَلْـــف اسْـــلاَم وْشِ فُـــوكْ لَلْـــفْ للحلـــــــــلَّ فَـــــــــرْد وْلاَمَ
يَبَـــلّ الْمَـــدّ ابْـــدُونْ كُلْـــفْ والْعلْـــــــم وْالاســـــــتقام

روى النوى:

ويقول الفتى بن أحمد سالم:

مـــنْ تَصْـــرِيف الْحَـــيّ الْخَـــلاَّكْ مُـــــلاَنَ حـــــلَّ وَسَـــــانَ
الشّـــعْر امْعَـــانَ مَـــا ينْظَـــاكْ وْلغْـــنَ مَـــا ينْظَـــاكْ امْعَـــانَ

ويقول أحمد ولد هدار:

مَـــــارتْ عَـــــنَّ متْبَلّـــــغَ مـــــنَّ نعْمـــــتْ عَـــــرْبِينَ
الِّ مَـــــا حَصْـــــرتْ تَنْـــــدْغَ عَنْـــــدُ مَـــــاهُ حَاسِـــــينَ

لـمْـــــــــرُوَّ رَاهِ جَـــــــــاتْنَ حَصْـــــرتْ بَـــيْن اخْيَمَـــــاتْنَ
والـــــدِّين احْصَـــــرْ مَ فَـــــاتْنَ حَصْـــــرُ لَثْنَـــــيْن اعْلِـــــينَ
حَصْـــرَ مَـــا تـــدْركْ عَـــاتْنَ ذَاك ايْـــــدلّ انْـــــهَ بِـــــينَ
معْتـــــرَفَ، وانْـــــهَ طَـــــاتْنَ واعْيَـــــات اصْـــــلاً تعْطِـــــينَ

وتقول آمنة منت اعليَّ:

فَـــــرْظ انْكُولُـــــو متْبَلْـــــغَ بَعْـــــد اِلَ كَـــــان امْشَـــــينَ
وَخيـــــرْت ابْحلّـــــتْ تَنْـــــدْغَ مُـــــلاَت الْكـــــرْم الـــــزَّيْنَ

ويقول أحمد ولد ديدِّ (أَفيرْ) يمدح نساء الحلة:

كَامـــــتْ ذِ النّسْـــــوَ بزّرِيـــــكْ فمْنَـــــيْن اشْـــــعَلْ مَكَـــــانِ
عَادتْـــــلِ رُوص ابْـــــلاَ ادْكِيـــــكْ يَوَيْلَـــــــــكْ يَالْـــــــــوَرَّانِ
اسْـــــــأَلْت اللهْ ايْمـــــــدُّهُمْ بالْخَيـــــر ؤفِيـــــه ايْعـــــدُّهُمْ
بَرْكـــــتْ لـــــمْرَابطْ جَـــــدُّهُمْ امْـــــعَ الشَّـــــيْخ التّجَـــــانِ
ؤلاَ رَاو الْمَـــــــاهُ كِـــــــدُّهُمْ ف الْآتِ والِّ آنِ

روى الواو:

ويقول الشيخ ول اعْلَيَّ التناكي التندغي، أو التندغي التناكي:

كَـــان افْقـــرْتُ مَـــاهِ جحْـــدَانْ يَفْرِيـــــكِ السّـــــتْرَ والْخُـــــوَّ
لكْلُـــوب ايْـــتَمُّ بَعْـــد اسْـــمَانْ واتَّـــــم امْعَـــــاهُمْ لمْـــــرُوَّ

افْقــــرْتُ حَـــاكّ اَغيـــر اكْبَـــارْ مَـــــاهِ محْتَـــــاجَ للتّظْهَـــــارْ
كـــلّ انْهَـــار ايْجُـــوكُمْ خطَّـــارْ مـــن شِ مَـــا تَعْـــرَفْ شـــنْهُوَّ
واللَّيْـــل اتْبَـــاتُوه افْلحْصَـــارْ تكْسَـــام اظْيَـــافِين احْلُـــوَّ
واتْسَـــاوُ للضّـــعْفَ لَحْـــرَارْ فالْكِسْـــم امْـــعَ مُـــول الْقُـــوَّ

ويقول أيضا:

انْزلْـــت اعْلِـــيكُمْ مـــنْ لخْرِيـــفْ واسْـــكنْت امْعَـــاكُمْ لـــيْن الصَّـــيْفْ
لخْرِيـــف امْعَـــاكُمْ بَعْـــد اخْرِيـــفْ عَـــالمْ بِيـــهَ مُـــول الْقُـــوَّ
والصَّـــيْف امْعَـــاكُمْ مَـــاهُ صَـــيْفْ لاَ علْمـــتْ بالصَّـــيْف اعْـــدُوَّ
والظَّيْـــف امْنَـــيْن ايْـــجِ ضَـــعِيفْ ابْـــلاَ مَتَـــاع اَسْـــوَ هُـــوَّ
الظَّيْـــف ايْشُـــوف احْسَـــان الظَّيْـــف والظَّيْـــف ايْشُـــوف الْفُتُـــوَّ
واتْـــجُ فالسّـــتْرَمجْتَمْعِـــينْ اتْـــجِ هِـــيَّ وايْـــجِ هُـــوَّ
فَبِـــاللهِ الـــذِي يَمِـــينْ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُـــوَّ

روى الباء:

ويقول أحمد ولد هدار:

يَـــلِّ فالسّـــتْرَ كَـــايْمِينْ أَوَايلْكُـــمْ والتَّـــالْيِينْ
واخْيَـــام اعْـــرَبْ متْعَـــدْلِينْ واخْيَـــام ازْوَايَ غَـــايَ
ؤلاَ ينْكَـــال انْكُـــمْ كَـــامْلِينْ تَـــوّ الْحَـــرْب ؤلكْـــرَايَ
كُـــون اخْيَـــام اعْـــرَبْ دَاخْلِـــينْ ف اجْلُـــود اخْيَـــام ازْوَايَ
عشْـــرِين اعْلِـــيكُمْ لحْتْـــهَ فـــتّ اعْلِـــيكُمْ باغْنَـــايَ
عَشْـــرَايَ فـــتّ اجْبَرْتْـــهَ ؤجَيْـــت انْـــدَوَّرْ عَشْـــرَايَ

ويقول أحد الحسنيين:

حلّـــتْ لَجْـــوَاد اَهْـــل الْيَقِـــينْ قَـــــاطعْ عَنْـــــهَ هَـــــاذِ هِـــيَّ
كَانـــــتْ تنْعَـــــدّ ابْ لَـــــرِبْعِينْ والْيَـــــوْم انْعَـــــدّتْ ب الْمِـــــيَّ

ويقول آخر يمدح الحله:

عَـــوْن امْـــن الـــرَّب ابْكـــلْ زَادْ امْـــــن السّـــــتْرَعَاطِيـــــهَ
حلّـــــتْ لَجْـــــوَاد وْلاَهْ زَادْ يُـــــورَ فـــــلِّ خَاطِيـــــهَ
واحْـــصَ ذَ الْعلْـــب الْفِيـــهْ عَـــادّْ عَـــــدَّادُ، عَـــــدُّ مَـــــاهْ كَـــادْ
يحْـــصِ شـــكْرَكْ، وامْنَـــيْنْ عَـــادْ الشّـــــكْر النَّـــــاس الْ فِيـــــهَ
تتْفَاضـــلْ فِيـــه وْفِيـــهْ جَـــادّْ كُـــلّ اَمْنَـــادمْ مِـــنْ جِيـــهَ
يخْتيـــرْ السَّـــتْرَ مَـــاهْ كَـــادْ ف الْخَاطِيـــــهَ يبْغِيـــــهَ
وَسَـــــاهَ فِـــــيكُمْ فَـــــاتْ زَادْ ربِّ، والْحكْـــــمَ فَيـــــهَ

ويقول محفوظ ول اعليَّ:

حَـــالفْ يَمِـــين افْكُـــلّ اكْتَـــابْ وَاللهِ مَـــــا نسْـــــتَثْنَ فِيـــــهْ
يَتَنْـــــدَغْ مَحَـــــدُّ فـــــاتْرَابْ يَفَصْـــلِ مَـــا نطَّـــوْشَ بِيـــهْ

سابعا:

الخاتمة:

- رزقنا الله حسنها -

في حض وحث الشباب على تقفي آثار الآباء والأجداد

أؤلئك آبائي فجني بمثلهم...

نعم؛ إن ملة الآباء محبوبة بالطبع فهي تستهوي وتستقطب الأبناء والأحفاد إلا أنها ليست على سنن واحد، وهنا ينبغي بل يجب أن ننظر إليها بتأمل فإن كانت صالحة كان اتباعها حسنا ولازما وإن كانت طالحة تعين نبذها ورفضها، وتلك النظرة الفاحصة لملة الآباء هي التي فقدها المشركون على اختلاف الأمم وعلى مر العصور، حيث تمسكوا بأفعال شنيعة وأخلاق ذميمة ينكرها العقل السليم ويستقبحها الذوق الصحيح، تمسكوا بها لا لشيء إلا لأن آباءهم كانوا عليها كعبادة الأصنام ووأد البنات وظلم الضعاف والتمتع بأزواج الآباء وقتل الأبرياء وأكل أموال الناس بغير حق...الخ، أما إذا كان الآباء صالحين طيبين وكانت أفعالهم حميدة فلا محيد عن اقتفائهم والسير على منوالهم واتباع ملتهم كما صرح بذلك الكريم ابن الكريم ابن الكريم سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} وفي آية أخرى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}.

وقد كان سلفنا الصالح من صحابة وتابعين وتابعي تابعين يقتدي اللاحقُ منهم بالسابق ويقلدونهم في الأفعال والأقوال ويتمثلون تلك الأخلاق الكريمة التي تعلمها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من القائد الأعلى للأمة ألا وهو صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم.

أما بعد فنعود إليكم أيها الأبناء الكرام أبناء الكرام وأبناء الكرائم لنخاطبكم من صميم قلوبنا ولباب أرواحنا لنذكركم - والذكرى تنفع المؤمنين - بما كان لأسلافكم الأماجد من كرم الأنساب وشرف الأحساب وقد مر بنا وبكم في هذا البحث ما

يكفي للتدليل على ذلك ولكن البحث كان في الأساس منصبا حول ظاهرة الكرم والسخاء عند حي الأربعين ولم يركز على الجوانب الأخرى فلم يتسع للحديث عن الأخلاق الكريمة التي كان يتحلى بها هذا الحي كالعلم الذي كان منتشرا حيث إن طلاب العلم ما كانوا يتجاوزون حيا من أحياء الحلة إلى حي آخر لوفرة العلم والعلماء وكالصدق والوفاء والنجدة والشجاعة والورع والزهد إلى غير ذلك، نعود إليكم يا أفلاذ أكبادنا والآمال فيكم عريضة والمطالب جمة فلتشمروا عن سواعد الجد وانبذوا عنكم التكاسل والخلود إلى أرض الخمول فإن عليكم مسؤوليات جمة وأعباء جساما لأن الإرث الذي تركه الأجداد لنا ولكم لا يستطيع حمله إلا أصحاب الهمم العالية وذوو النفوس العظيمة، قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس عظاما تعبت في مرامها الأجسام

أيها الأبناء البررة لا تتركوا هذه الصروح المنيعة والقلاع الجميلة تتساقط شرفاتها بين أيديكم -لا سمح الله- وأذكركم قول الشاعر - وإن من الشعر لحكمة -:

إذا شام الفتى برق المعالي فأهون فائت طيب الرقاد

وقال بدي بن سدين ينصح ويوجه ابن شيخه:

إن السيادة في اثنتين فلا تكن يا ابن المشائخ فيهما بالزاهد
حمل المشقة واصطبار أذى الورى ليس المشمر للعلى كالقاعد
قل للذي طلب العلى بسواهما هيهات تضرب في حديد بارد

نعم أوجه إليكم ندائي هذا وهو نداء استغاثة واعلموا أنه لابد دون الشهد من إبر النحل، ومن الحكم السيارة قول أبي الطيب المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قَتَّال

وقال أيضا:

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

فسيروا أيها الأبناء الأعزاء على الدرب الذي سار عليه أسلافكم الأماجد وما هو إلا التضحية بكل غال ونفيس والحرص على توظيف الأوقات في ما ينفع العباد والبلاد والترفع عن الدنايا والاستعداد النفسي لتحمل الأعباء والذود عن حريم الأعراض حتى لا يمسها أو يعلق بها أي دنس أو شائبة تقدح في المروءات أو الدين وهما صنوان، قال الشاعر:

إن المروءة أخت الدين إن فُقدت لا يوجد الدين لكن يفقدان معا

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن مفتاح المطالب كلها إنما هو تقوى الله فلتجعلوه زادكم إلى كل غاية تبغون تحصيلها وأخلصوا نياتكم لله في كل أعمالكم "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" وابدأوا حياتكم بالتعلم لأن الجاهل لا يعلم ما يتقي فهو أعمى ربما سقط في مهاوٍ قاتلة في الدين والدنيا وقد يُسقط فيها غيره وهو لا يلقي لذلك بالا.

هذا وإني قبل أن أختم هذه الخاتمة ألفت انتباهكم بقوة إلى أن الله الذي لا يُسأل عما يفعل قد أوجدنا وإياكم في هذا الزمن الصعب الذي طغت فيه المادة على المعنى وجرى فيه الانقلاب على القيم والأخلاق الفاضلة فلم يعد الدين ولا الأدب ولا النسب ولا الحسب مقوما أساسيا وإنما أصبح الإنسان ابن جيبه فقط.

لقد تكالبت علينا الأعداء وتداعوا علينا تداعي الأكلة إلى قصعتها كما في الحديث الشريف وغزتنا جيوشهم السوداء بشتى أنواع الأسلحة بقنابلهم الفتاكة وأفكارهم الخبيثة ونشرت الدنيا زخارفها البراقة أمامنا فانخدع وانبهر بها كثير من شباب

العصر فاختطفتهم طلائع العولمة وأسرتهم بألوانها الأخاذة وفرضت عليهم نفسها بأفراحها وأتراحها واقتلعت جذور أصالتهم وألقتهم في مزابل السياسة وقمامات الأفكار الهدامة المزلزلة لأركان الإيمان، وهكذا ترون أيها الأبناء والأحفاد أن زمنكم هذا أصعب بكثير من زمان الآباء والأجداد لأنهم كانوا يفعلون الخير في زمن الخير والخيّرِين ويصنعون الجميل في زمن جميل خال من التشويش والمغريات، أما أنتم الآن فتحتاجون إلى كثير من التصميم والتصدي وتوفير طاقات تقوون بها على السباحة بين هذه الأمواج المتلاطمة هنا وهناك وهنالك وأمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت، فالجدَّ الجدَّ والحذرَ الحذرَ، فخير الناس ذو حسب تليد أقام لنفسه حسبا جديدا، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن شاء الله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى وداوى بمنه وكرمه قلوبنا المرضى وأعاننا على حسن الأدب مع الخالق بالتمسك بالإخلاص في العبودية والقيام بحقوق الربوبية وأعاذنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

1- المصحف الشريف.
2- بعض كتب الحديث المعتمدة.
3- دواوين الشعراء الجاهليين الستة.
4- مقصورة محمد بن الحسين المعروف بابن دريد.
5- الحماسة لأبي تمام.
6- مختارات من الشعر الجاهلي.
7- عيون الأخبار لابن قتيبة.
8- العقد الفريد لابن عبد ربه.
9- المستطرف في كل فن مستظرف: بهاء الدين الأشبيهيني.
10- التبصرة لابن الجوزي.
11- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين.
12- عمود النسب + نظم الغزوات: البدوي.
13- المنارة والرباط: د.الخليل النحوي.
14- شيم الزوايا: الشيخ محمد اليدالي، تحقيق: الأستاذ محمذن بن باباه.
15- موسوعة المختار بن حامدن.
16- نظم القاضي محمدن بن أحمدو فال على موات الأرض وأجوبته لهارون ابن الشيخ سيديا.
17- الفلك المشحونة في حميرية لمتونة: الإمام بداه بن البوصيري.
18- قواطع البراهين في حميرية قادة المرابطين: محمد الإغاثة بن الشيخ.
19- إتحاف المبتغى في أنساب تندغا: گلاه ولد صلاحي.
20- منظومة محمد امبارك اللمتوني في تاريخ أمراء لمتونة.

21- كتاب "بو اطلحيَّه" للنابغة القلاوي، تحقيق د.يحيى ولد البراء.
22- ديوان الشيخ محمد احمد بن الرباني.
23- ديوان موناك بن مبرك.
24- شفاء الغلة في أنساب الحلة + النهج المبين لحي الأربعين + تاريخ أهل اشفغ الدنبج: الأستاذ محمد الحافظ ولد الدنبج.
25- الشباك في أدب حلة الأربعين وتناك: الأستاذ البشير ولد الفتى.
26- أثر الدرس المحظري في الشعر الشنقيطي (محاظر حي الأربعين نموذجا): الأستاذ محمد الحافظ ولد بوري.
27- القاموس المحيط للفيرز آبادي.
28- تاريخ قبائل البيظان: الشيخ موسى كمرا، تحقيق: د.حماه الله ولد السالم.
29- التاريخ القضائي وكبريات النزاعات القضائية في موريتانيا: محمدن ولد حمينَّ.
30- مختارات من الأدب وومضات من التاريخ: عبد القادر (الصحة) ابن الطيب الجكني.
31- بعض المصادر الشفهية.

الفهرس:

العنوان: الصفحة:

خطبة الكتاب.....1

أولا: تمهيد وتأطير لموضوع البحث.....6

مشروعية تمجيد السلف الصالح.....9

تأبين سيدنا علي كرم الله وجهه لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.....10

دعوة أبناء المرابطين إلى الاعتناء بتاريخهم.....11

ثانيا: مقدمة حول ظاهرة الجود والكرم عند العرب والمسلمين.....13

حض القرآن على الإيثار والبذل والإنفاق.....15

تحذير القرآن من البخل وزجره عنه.....16

صور من جود وكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم.....17

البدوي يصف عطايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين.....19

عمر بن الخطاب يسابق أبا بكر في الإنفاق.....22

قيس بن عبادة يستبطئ زيارة إخوانه له.....24

عبيد الله بن عباس يتنكر لسائل - ظرفا منه - 25

قائد بن أخرم يمدح الزهري.....26

أشعار في الجود والكرم.....28

قصة الأجواد الثلاثة مع المستجدين الثلاثة.....30

ثالثا: وقفة عند محطة لمتونة.....32

بعض التفسيرات في تسمية اللمتونيين بالملثمين.....33

أسماء بعض قبائل لمتونة.....34
جواب الأستاذ المختار بن حامدن لمن سأله عن الصحيح عنده في نسب صنهاجة.....36
أوداغوست عاصمة لمتونة واگدالة ومسوفة قبل دولة المرابطين.....39
معادلة تبرز نتيجة البحث في عروبة لمتونة.....40
مثال من تناقض ابن خلدون.....42
المثبتات الثلاث على حميرية لمتونة.....44
أحمد باب بن محمد امبارك اللمتوني يرثي دولة المرابطين.....45
ذكر إمارة انجامرة التندغية في الشمال سابقا.....46
جملة من الأحاديث الصحيحة في فضل أهل اليمن.....47
ذكر تبع وكتابه الذي أوصى به للنبي صلى الله عليه وسلم.....49
رابعا: وقفة عند محطة تندغة.....51
الوعيد الشديد في انتحال الأنساب.....53
أمثلة من حيازة تندغة للنسب اللمتوني الحميري.....54
الإجماع على وجوب حفظ النسب.....56
من شمائل تندغة الحسان عدم حبهم لتولي المناصب.....61
تندغ معناه ذو الجفنة العظيمة.....63
تندغة هم الأكثر والأقدم في أرض الگبلة.....64
ملاحظاتنا حول هذا الفصل من البحث.....65
بطلان القول بجهل المرابطين بالعربية.....67
خامسا: وقفة عند محطة الحلة.....68
مقتطفات من روائع مدائح الحلة.....72

النظرة الأولى: من حيث أرضهم وحوزتهم الترابية.....75
المناطق الكبرى في أرض الحلة.....76
التملك الشرعي لأرض الحلة.....78
القصيدة الشقشقية.....79
مقابر حي الأربعين.....87
النظرة الثانية: من حيث فرائدها الأربع (قصة أربعين جيد – قصة
المات - قصة الزامل - قصة الجد) 89
النظرة الثالثة: تعليق بسيط على عدد الأربعين الذي أصبح علما على الحلة.....94
النظرة الرابعة: من حيث نظامهم الاجتماعي لإكرام الأضياف.....97
من كرامات الحلة أن الله نجاهم من ألسنة الشعراء الهجائين.....102
النظرة الخامسة: من حيث مصدرهم الاقتصادي الرئيس.....102
لمرابط محمد سالم عدود يمدح البقر.....105
النظرة السادسة: قصة أربعين جوادا وحيثياتها المختلفة.....106
النظرة السابعة: من حيث قصة الميسم الخاص بالحلة وتندغة عموما.....112
سادسا: الديوان الشعري وملحقاه.....115
قافية الباء.....119
قافية الدال.....120
قافية الراء.....127
قافية الزاي والسين.....130
قافية العين.....131
قافية الغين.....132
قافية اللام.....133

قافية الميم.....136
قافية النون.....140
قافية الياء.....147
الملحق الأول بالديوان: مدائح فصيحة لشعراء من الحلة.....153
قافية الباء والراء.....154
قافية القاف.....158
قافية اللام.....159
قافية الميم.....161
قافية النون.....162
الملحق الثاني بالديوان: جانب الأدب الشعبي.....165
روي التاء.....166
روي الدال.....167
روي الراء.....169
روي السين والعين والكاف.....170
روي اللام.....171
روي الميم.....172
روي النون.....173
روي الواو.....174
روي الياء.....175
سابعا: الخاتمة؛ في حض وحث الشباب على تقفي آثار الآباء والأجداد.....177
قائمة المصادر والمراجع.....182

تقاريظ للكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم

وأخيرا بعدما صـــدرت الطبعة الأولى من كتاب الدر الثمين وقرأه المشـــائخ الأجلاء والأســاتذة الأفاضـل نوهوا به مشـكورين ومأجورين إن شـاء الله وتفضـل بعضـهم بتقاريظ جيدة وتقارير ممتازة، وذلك في قصـائد رائعة تنبئ عن كرم الأخلاق وحسـن النوايا فجزاهم الله أحسن الجزاء عن الكتاب وعن المؤلف وعن العشيرة.

والقصائد هاهي نذكرها مرتبة حسب وصولها إلينا زمنيا.

أولا:

قال الأستاذ الكبير، والعلم الشهير، فضيلة الإمام، العلامة الهمام، والدراكة الفهام، الشاعر الأديب، الفاضل الأريب، السيد الشيخ محمد محمود بن أحمد يوره بن الرباني:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فلقد سرني ما كتبه أخي الأستاذ والسيد المفضال محمد بن دحان أسأل الله أن يجزيه عن عشيره خيرا، فقد أحيى بما سطره "مآثر الأربعين" وصاغها مثل "الدر الثمين" فلم يُبقِ لحفيد عذرا في جهل مآثر أجداده، ليسير الأحفاد على درب الأجداد حذو النعل بالنعل.

وهذا تقرير وتقريظ لما سطره في هذا الكتاب المبارك:

لله در "الأگمسين" المُجَّد ... كم خلدوا لأهلنا من سؤدد

كالأربعين ذات الأَصل الأمجد ... وزامل وماتة وكالجد

توَّجها بالدر بل وعسجد ... محمد الأستاذ والزبرجد

بدرِّه الثمين، فلتؤيد ... كتابَه وافخر به يا سيدي

وخَلَّدَ التاريخَ لم يُقَلِّد ... بل بالدليل الواضح المخلد

أصَّل في أسلوبه المنفرد ... حُججه في مصدر ومورد

فما بقي لعائن وحُسَّد ... من طعنة مُنسابة في جسد

أبقاك يا أستاذنا للسؤدد ... ومجدنا وفخرنا رب الندي

ثم صلاتنا على محمد ... وصحبه من ركع وسُجَّد

بتاريخ 15 شوال 1440هـ

ثانيا :

وقال المؤرخ الكبير، الأستاذ الثقة الجدير، الشيخ الفاضل، الأديب العاقل، الأخ الشقيق، الملاطف الصديق، الشاعر الأديب السيد محمد الحافظ بن الدنبج ابن معاوية:

تبدت من الدر الثمين مآثر ... لحلة حي الأربعين دواثر
مآثر يَروي جُلَّها بتواتر ... لحي بني "أگمس" قومٌ أكابر
أتانا بها الشيخ الكريم محمد ... سلالة دحان الأديب المحاضر
فجَمَّع من مكنون مجد عشيره ... عقودا تلالا دونها الطرف فاتر
أجاد فنون البحث في "وقفاته" ... وأحيى تراثا ما له اليوم ذاكر
به وشَّح الحِليَّ فازدان وانبرى ... يقلب كفيه له من يفاخر
ترى التندغي القح يزهو كأنما ... عيون ببغدادٍ إليه نواظر
وتاهت أراضي تندغٍ وربوعها ... سقتها من الأنوا غيوث مواطر
فَتَاهَ على أرض الميامن ريعُها ... وتاهت على حُزوى الرمى والكنادر
فيا نخبة الأجيال هبوا لحفظه ... وعَضُّوا عليه وارفعوه وثابروا
صلاة على خير الورى وصحابه ... وآل وأزواج ومن هو ناصر

بتاريخ 25 /6 /2019م

ثالثا:

وقال الأستاذ الجليل، ذو المجد الأثيل والكرم الأصيل، كاتب الدواوين الشعرية، والمحاضرات الأدبية، والدراسات اللغوية، عضو المكتب التنفيذي لرابطة الأدباء والكتاب الموريتانيين، الابن البار، وصاحب الخلق السار، السيد أبو بكر ابن بوري:

كنوز الأمجاد:

لله دُرٌّ في المهارق أظهرا ... ما كان من مجد التنادغ مضمرا
تنميه من عهد الرباط كتائب ... ومكاتب نشرت هداه الأزهرا
من دوح لمتونَ الأشاوس مَنْ هُمُ ... للعز تنميهم تبابع حميرا
قوم كرام قد تواتر مجدهم ... (ما كان مجدهم حديثا يفترى)
عَضَّت عليه الأربعون نواجذا ... وسمت به فوق الكواكب مظهرا
أشياخ صدق أخلصوا في سعيهم ... لله سعيا ما أَبَرَّ وأطهرا
بذلوا نفائس مالهم ونفوسهم ... كرما وصانوا صرح عز أكبرا
ما كان أحراهم بذكر خالد ... ما كان أَخْلَقَهُمْ به ما أَجْدَرَا
فالله يحفظ مَنْ أبان يَرَاعُه ... تلك الكنوز وَرَصَّ ذاك الجوهرا
أخرجتمُ من حفريات تراثنا ... درا ثمينا بالبيان مُحَبَّرا
بحثا أصيلا في رُؤاه مُفَصَّلا ... في السبك من غر النقول مُحَرَّرا
لا غروا إن جليتم في بحثكم ... ونهجتمُ في الفضل دَرْبا نَيِّرا
وقفوتم سنن الأبين ذوي العلا ... من كل قرم في السماح تصدرا
أبناء موسى هم ذُؤَابَة حينا ... شادوا دعائم مجده والمفخرا
كالماتة المشهور أمر حديثها ... مثلا على الإيثار قِدْماً سُطرا
وثلاثة الفرس الذين لحيهم ... تُنمى فجود القوم مِنْ سِرٍّ سَرَى
وهم الغيوث ندى بيوم نوالهم ... وإذا يجد الجد هم أسد الشرى
هذا وما أزرى "البياض" بمدحة ... صدقت وما كان المقال مُزَوَّرا
صلى الإله على الحبيب محمد ... والآل والأصحاب ما قلم جرى

بتاريخ 28 يونيو 2019م

رابعا :

وقال الشاعر لقبا وصفة واستحقاقا، أمير شعراء شنقيط بلا منازع، من له الصدارة في المجامع، فائق الأقران في الدنيا والدين، وسابقهم في كل الميادين، فضيلة الأستاذ الشاعر محمد الحافظ بن أحمدو بن الشيخ محمدأحمد:

فتى الموسويين التنادغ قَلَّدَا ... عشيرته "الدر الثمين" وخلدا
وغاص ببحر زاخر من فخارهم ... وألَّف في مجد العشير مجلدا
أيا عابد الرحمن دمت محمدا ... تؤثل من أجدادك المجد الأتلدا
ولا غرو في ذا الشأن أن كنت سابقا ... ومن خارق العادات أُتيت مِقْلَدَا
فَغُرَّان دَحَّانٍ دَحَوا لك عزهم ... وعادات "أگمس" المكارم والندى
نقشت على لوح الثريا صحائفا ... حفرت بها عن خَطِّ حِمْيَرَ مُسْنَدَا
تحريت فيها الصدق والعدل جاهدا ... وفيها عزوت القول للعدل مُسْنَدَا
ونافحت عن أحسابنا بجدارة ... وفندت من قول الحسود مُفَنَّدَا
وأنفقت من أعلاق وقتك غاليا ... لتاريخنا الوضاء ظل مجنَّدا
وأودقت من أنواء فكرك صَيِّباً ... يسح روايا من حَيَا المجد عُنَّدَا
فنحن وأَيْمِ الله أقيال حمير ... لنا سبأ في الناس خَلَّدَ سُؤْدَدَا
وأَنْشَأَتِ الشورى ملوكُ نسائنا ... وبلقيس فيها عاطت الطير هدهدا
ويوسف زكاه الغزالي عمنا ... وقد وَحَّدَ البرين بالحق والهدى
وقد حقق الأنسابَ خمسون عالما ... بحق يقين صادق لم يكن دَدَا
لدى الحامد المختار عشرون منهم ... وقد زاد بُدَّاهُ عليه وسَدَّدَا
ونجل جُزَيٍّ حُجَّةُ الدين منهم ... وناصَرَ مجدُ الدين ذاك وأَيّدَا
وصاحب أحكام القران يسوقه ... وفي الوفيات القولُ تلقاه جيدا
وقد شهد الطرطوشِي فيه شهادة ... وحققها نجل الأثير وعَضَّدَا
وفي الطبرِي التارخ منه منقحا ... وفي ابن كثير إن تَشَأْهُ مُنَضَّدَا
فيا فارس الجُلَّى جزاك إلهنا ... ولازلت ترعى في العشيرة محتدا

بتاريخ 29 /6 /2019م

خامسا:

وقال الشريــف الظريف، الفاضل المنيف، ذو المحامد والفضائل، الشاب الأديب، والنسيب الحسيب، الشاعر السيد محمدن (الملقب آب اشريف) ولد أنحوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد؛ فقد أهداني الوالد الأستاذ محمد ولد سيدي ولد دحان نسخة من كتابه القيم "الدر الثمين في مآثر حي الأربعين" أهداني النســـخة فعل والد بولده وثقة لا أستحقها ولكن أهل الفضل يعاملون الناس على ما يعلمون في أنفسهم من الفضل فيظنون الخير بـالآخرين، قرأت الكتـاب فوجـدتـه جمعـا منظمـا لأمجـاد قوم اشـتهروا بالأربعين في قصـة سـارت بها الركبان وقد أحسـن المؤلف حين ذكر مثيلاتها من قصص لا تقل عنها في الجود والفضل.

أحســن المؤلف وله ســلف في الإحســان من أســرته فبطنه آل اگمس الكرام، "وتغرس في منابتها النخل".

لعل مما شـد انتباهي بعد قراءتي للكتاب تأصـيله لمشـــــروعية تمجيد السـلف والتنبيه على الهدف من ذلك وهو أن يســـتفيد المتأخرون مما ســـطر الأولون فتتحرك هممهم فعســـــى أن يكـــون لهم يوسف عليه السلام سلفا {واتبعت ملة آبائي إبراهيم...} فيتحقق فيهم قوله تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء}.

هذا وقد أثار مني الكتاب أبياتا ليست بالمستوى المطلوب ولكنها تعبر تعبيرا ما عما يجول بخاطري بعد قراءتي للكتاب:

حوى هذا الكتاب من الهدى ما ... يشد به انتباه القارئينا
مآثر كاد تندثر اندثارا ... وكاد يقال عن مجد (نسينا)
فقام لها همام مستنير ... فأظهر جود حي الأربعينا
محمد سيد دحان تصدى ... وجدد ما به رفع الجبينا
على أني أقصر عن مداه ... وعن أن أحكم الحكم الرزينا
لفضل الشيخ منزلة وعلما ... وتجربة وأخلاقا ودينا
ولكن المكارم ألهمتني ... بإثر قراءتي "الدر الثمينا"
وإن طابت صنائع ذي خلال ... توارثها فلا عجب يقينا
لأسرته الكثير من المزايا ... تناقلها التنادغ مخبرينا
يمد نداه "اگمس" المزكى ... ومن قد أسس المجد المتينا
فبورك في المؤلف دام غيثا ... بمنهجه وحكمته رقينا
ولا زالت سحائبه توالى ... تصب الخير معشبة سنينا
وطال العمر في خير ومجد ... وعافية تعم للبنينا
ودام كتابه نهجا مضيئا ... يذكر الآخرين بالأولينا
يذكرهم بما كانت عليه ... أوائلهم فيبدوا مقتفينا
ويقفو الكل آثار المفدى ... ودين الله جاء به مبينا
عليه صلاة ربي مع سلام ... به نلنا المطالب خاتمينا

بتاريخ 25 شوال 1440هـ /29 يونيو 2019م

ساوسا:

وقال الأستاذ ابن الأستاذ، والشاعر ابن الشاعر، ذو الفضائل الأصيلة، والمحامد الجليلة، مدرس أحكام القراءات، ومقرئ المتون والمختصـــــرات، المخضـــــرم بين المدرستين، الدكتور أحمد محمود بن الدنبج بن معاوية:

هذا وإني قرأت كتاب الدر الثمين في مآثر حي الأربعين فوجدته كاسمه ووسمه حذو النعل بالنعل ورأيت أن المؤلف قام بدور الجميع فجزاه الله خيرا عن القبيلة التي لم تعد تُعنى في أكثر أحوالها بمآثرها وأرضـــها وتاريخها وحماها مع أن هذه هي المكونات الموحدة لها جغرافيا وتاريخيا والحفاظ عليها من الحفاظ على النفس والعرض والمال الذي هو واجب شـرعي فالحمد لله والشـكر له أن قيض لنا هذا المؤلف فقام بهذا الدور مشكورا مأجورا إن شاء الله تعالى:

يـا لأگـمـس مـن خصـــال عـزيـنـا ... زانـت اَمـجـاد حـلـة الأربـعـيـنـا
وأحـلـتـــــهـم مـكـانـا عـلـيـا ... فـامتطوا صـهـوة العلا مُعتلينا
فـهـم الأس لـلـقـبـيـلـة يَـرْعَـوْ ... نَ حـمـاهـا ومـجـدهـا أن يـهـونـا
وهم الســيف مُنْتَضـىً للأعـادي ... والْـفِـرَنْـدُ الـذي يـقـيـه مصـــونـا
وإذا ســيـمـت الـقـبـيـلـة خسـفـا ... فليوث تحمـــي الحمـــى والعرينا
وهمُ فـــي النوال أهـل العطـايـا ... مـن يـوالـون بِـيضـــهـا والْـجُـونـا
خـلـدوا في الـنـوال مـلـحـمـة هـم ... بيتها في القصـيـد للقـاصـــديـنـا
إن من يُعنـــى بـالنوال قَمِيـــنٌ ... أنـه بـالـفـخـار كـان الـقـمـيـنـا
غـاص في بـحـرهـم أديـب أريـب ... فـأرانـا "الـدر الثميـــن" الثمينا
قِـطَـعـاً كـالـجـمـان مـحْـلَـوْلِـيـاتٍ ... وشـــروحـا لـهـا وبـحـثـا رصـــيـنـا
أخـجـل الـدرَّ في رقـاب الـعـذارى ... كـالـلآلي المشـــنـفـات الْـعِـيـنـا
فـهـو أحـرى بـأن يـكـون سِـــجِـلاً ... يســتقي النشء منـه وردا معينا
ويسـيـــر الجميع ســيـــر الأوالي ... في الـنـدى والجَـدَا بهم محـتـذيـنـا
"هـكـذا هـكـذا تـكـون المـعـالي" ... أن يجلـــي الشـيوخ مجد الأبينا
فـرعـــى الله بـيـتـــهـم مـتـلـئـبـا ... آل دحـان الحـافظيـــن الشـؤونا

بتاريخ 28 شوال 1440هـ/ 01 يوليو 2019م

سابعا :

وقال العالم العلامة، والأديب الفهامة، الماهر في القرآن، الفائق في العلوم والآداب جميع الأقران، الصديق الملاطف، المتصف بالظرافة، والطرافة والعفافة الشاعر الشيح محمد المصطفى(الصافي) ولد اخليف:

عَـرَّفـت قـومـك بـمـا جـمـعـتـا ... بـهـم ومسـتـواهـمُ رفـعـتـا
جمعت ما كأنما شـعشـعتا ... بـه كـؤوس الـراح إذ أتـرعـتـا
وبـالـغـنـا قـريضـه نـعـنـعـتـا ... فـانسـاغ في الطباع شـهـدا بحتا
وطـاب تـمـيـيـزا وطـاب نـعـتـا ... وراق أسـلـوبـا وصـاغ نـحـتـا
والحـاسـديـن والـعـدى جـرَّعـتـا ... غـمـا بـمـا أجـمـلـت أو نـوعـتـا
وبِسُـمـى بـلادنـا أذعـتـا ... وقمت بـالإسـنـاد مـا اسـتطعتا
لـيـتـك إذ أفـنـيـت في ذا وقـتـا ... وبـاجـتـمـاع شـمـلـه سـبـقـتـا
ثَـنَّـيْـتَ أو ثـلـثـت أو أربـعـتـا ... أبـدعـت يـا مـحـمـد أبـدعـتـا
ولا غـرابـة إذا أحسـنـتـا ... فـالمـوسـويـون سـراة، كـنـتـا
أنـت أديـبـهـم فـأنـت أنـتـا ... جُزيت خيـرا بـالـذي صـنـعتا
ثم السـلامـان عـلـى من بَتَّا ... حبل الضـلال والخـنـا فـانبتَّا
والآل والأصـحـاب مـا تـأتـى ... للـفـعـل تـمـيـيـز بسـوف والـتـا

بتاريخ 22 /7 /2019م ـ 19 ذو القعدة 1440هـ

تامنا :

وقال ذو الرتب العالية، والمقامات السامية، الأخ الحبيب العزيز، مدرس كتاب الله العزيز، الشاعر الأديب، السيد الأريب، الشيخ محمد عينين بن الشيخ اسماعيل ابن الشيخ سيدي المختار:

لِيُهْنِ الأربعين وجود شهم ... نفى التحريف عن أصل انتساب
لصنهاج العروبة خير جد ... وحمير ذكرها حلو الرضاب
أقام من الأدلة صرح فلك ... وظاهر في الكتابة والركاب
ومن صدق العزيمة سل سيفا ... على التشكيك من فصل الخطاب
أناط القول في أصل وعقل ... لأهل العلم مكشوف الحجاب
بتأصيل لأقوال أراحت ... رحال البحث من هم الطِّلَاب
فحقق كل مكرمة لمجد ... أصيل كان يخشى من ذهاب
وقد جمع المآثر في ثمين ... ودر جاء مكتمل النصاب
حوى من كل فاكهة صنوفا ... تقدم للأقارب والصحاب
فشنف للمسامع والمآقي ... وطمأن للنفوس بلا ارتياب
وأطرب للكرام بفيض مدح ... إليه القلب يهوى بانجذاب
أأستاذ المحامد والمعالي ... لك المعروف من حسن الثواب
ودام الفضل سيرتكم ودمتم ... هداة الخلق في نهج الصواب
على الهادي الشفيع لنا صلاة ... أنال بمثلها حسن المآب

بتاريخ 26/ 7/ 2019م

تاسعا :

وقال العالم العامل السني، والأديب الأريب الذكي، ذو المحامد التليدة، والفضائل العديدة، أخو الأخلاق الكريمة، والسجايا العظيمة، الشاعر السيد أحمدُو ولد مُحَمْدِي ولد أحمدو فال:

على النهج القويم وما يحيد ... أتى "الدر الثمين" حواه جيد
مآثر "حلة" تُنمى لمجد ... بناه الأقدمون بها يُشيد
حوى فضل التقدم عن سواه ... له ما بعده يبني مُشِيد
ورائم عده فضلا تَغَنَّى ... وأنشد ما به فاه القصيد
(تكاثرت الظباء على خداش ... فما يدري خداش ما يصيد)
محمدنا جزيل الشكر يُهدى ... إليه ونعم مقصده السديد
ولا زالت تآلفه تَسَامَى ... ويبدو من جواهره المزيد
ودام لكم بني "أگمس" مجد ... طريف في المحامد أو تليد
بجاه محمد صلى عليه ... وسلَّم ربنا البر المجيد

بتاريخ 29 ذو القعدة 1440هـ/ 01 أغشت 2019م

عاشرا:

وقال العالم العامل، والسـيد الكامل، الحال المرتحل في القرآن، التالي آياته كل آن، الصوام القوام، الفاضل النبيه، التارك لما لا يعنيه، الشاعر السيد محمد خالد (ادِّ) بن عالي بن معاوية:

قرأت كتاب الدر للعالم الصدر	محمدَ فاستولى على القلب والصدر
كتاب حوى علما وجودا وحكمة	تحث على الأخلاق والجود والبر
به بَرَّ أبناء وبر جدودنا	وأيقظ فينا نخوة العز والفخر
يُعلمنا فيه ويحيي طموحنا	لنقفوَ أسلافا بنوا فاخر الذكر
يذب عن الإحسان ذب مروءة	تُحامِي عن المجد المؤثل والنجر
وأعمل في ذاك الحِجَاج مهندا	من الحجج البيضاء قاصمة الظهر
قبائل لمتونٍ بعقد جمانه	تنافس في مجد تناثر في القطر
تحاموا على المجد التليد تحاميا	تعاطته أفواه القصائد والنثر
فبعضهمُ بالعلم كان اشتهاره	وبعضهم بالجود مرتفع القدر
فإن يك ذاك الجود في "الحلَّ" فاعلمن	بأن بني "اگمس" صيبه المثري
جزاه إله العرش خير جزائه	وإنا لنجزيه على ذاك بالشكر

بتاريخ 9/ 8/ 2019م

حادي عشر:

وقال سميي وسميُّ جَده، ووارث فضـــله وجِده، كريم الأخلاق والســـجايا، وطيب الأفكار والنوايا، الفاضل الأصيل، الكريم البيل، الشاعر السيد محمد عبد الرحمن بن المصطفى بن معاوية (الملقب مالك) وما هو إلا مالك وابن مالك:

جازى الإله سليل الشهم دحانا ... محمدا عابد الرحمن مولانا

وأوله نعما قعساء خالدة ... أطنابها شُيدت بالدين أركانا

على كتاب حوى الدر الثمين حلاً ... فصار تبرا كما قد صار مرجانا

أحيا مآثر كانت قبلُ في دنف ... بها لنا أسس التاريخ بنيانا

فظل يبحث ما قد قيل من درر ... ذات الشؤون وذات الشأن أحيانا

أتاح عزّاً بها للأربعين علا ... فوق السماكين إذ قد صار برهانا

حفظ المآثر في الأسلاف ديدننا ... نحن التنادغ أدنانا وأقصانا

من عهد تبع لا تنفك هيبتنا ... تكبي السلاطين إحجاما وإذعانا

صلى الإله على خير الورى شرفا ... مادام سعي بناة المجد مسعانا

بتاريخ 27/ 8/ 2019م

ثاني عشر:

وكتب العالم الحُفظة، والمحاضر الثقة، الأســـتاذ المدرس جميع النصـــوص بمحظرة المحمدية المباركة، جامع ما تفرق في آبائه وأجداده، سليل ساداتنا ومشائخنا السيد الشيخ محمد يحيى بن محمدن بن الطلبة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد؛ فيصل سلامي وتحيتي وإكرامي إلى السيد ابن السادات، الأستاذ الفاضل والكريم العاقل، محمد ابن سيدي بن دحان، لقد طالعت كتابكم المسمى "الدر الثمين" فإذا هو كاسمه در ثمين قد جمع مع الإيجاز فرائد الفوائد واقتنص من التاريخ المحرر الشواردَ، جمع مع اختصاره ما لا غنى أبدا عنه ولا بد لكل حاذق نبيل منه، فالجاهل بالتاريخ راكبٌ عمياءَ وخابطٌ خبطَ عشواء ينسب إلى ما تقدم أخبار من تأخر ويعكس ذلك ولا يتدبر.

قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات: (قد يفيد التاريخ حزما وعزما وموعظة وعلما وهمة تذهب غما وبيانا يزيل وهنا وهما)، وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في نظم العقيان عازيا للعراقي ما نصه: (قد وقع الاســـتدلال بالتاريخ في الكتاب العزيز، قال تعالى: {يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون}، فاستدل على بطلان دعوى اليهود في إبراهيم أنه يهودي ودعوى النصارى أنه نصـــراني بقوله: {وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده}، وهذا من لطائف الاستدلالات ونفائسها)، وذكر السيوطي أيضا أن من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتابا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فحُمل الكتاب إلى رئيس الرؤســـاء ووقع الناس في حيرة عظيمة من شأنه فعُرض على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزوَّر، فقيل من أين لك ذلك، فقال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفتح خيبر

سـنة سـبع، وشـهادة سـعد بن معاذ، وسـعد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر، ففرج الله بذلك عن الناس غما).

فالحاصل أن للتاريخ فوائد عديدة ومعرفة من المهمات لاسيما في هذا العصـــر الذي غلب فيه الجهل وانتشـــر، فجزاكم الله خيرا على هذا الجهد الذي قدمتم، فقد أجدتم وأفدتم وأنرتم الدرب لهذه الأجيال التي قد انحرفت ونكصت عن ما كان عليه سلفها الصـالح من التآخي والتراحم والتآلف والتعاضـد حتى كانوا رحمهم الله كأنهم المعنيون بالحديث: {...تتكافأ دماؤهم ويقوم بذمتهم أدناهم}

رحم الله السلف وبارك في الخلف.

بتاريخ: 07 محرم 1441هـ - 07 /09 /2019م

ثالث عشر:

وكتب العلم المعروف الناهي عن المنكر الآمر بالمعروف، العالم العامل السيد الكامل أخونا المحب الناصح والصديق أخو العقل الراجح، من قد اختارنا واخترناه وواصلنا فوصلناه الأستاذ: السيد محمد الامين بن الشيخ بن محمد الامين بن مزيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد فقد قال الله عز وجل: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر) رواه أحمد في المسند والترمذي وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه"، والحاكم في المستدرك وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقد دأب العلماء على التأليف في (سير أعلام النبلاء) و(صفوة الصفوة) و(المستجاد من فعلات الأجواد)، وفي هذا السياق قرأت بتمعُّن كتاب (الدر الثمين في مآثر حي الأربعين) للأستاذ محمد ولد سيد ولد دحان ودونت بعد قراءته ما يلي:

1- أُعجبت بالمقدمة التي كتب المؤلف حول (ظاهرة الجود والكرم عند العرب والمسلمين) وتمنيت أن يكتب المؤلف عن الأخلاق كتابا مستقلا يتناول فيه كل خلق من الأخلاق الفاضلة بنفس الطريقة (استعراض نصوص القرآن والسنة الحاثة على ذلك الخلق – وذكر تخلق النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الخلق – ثم ذكر تخلق الصحابة بذلك الخلق – ثم ذكر تخلق التابعين ومن بعدهم بذلك الخلق – وإيراد ما يناسب من الشعر والحكم)

2- وانبهرت بالقصـــيدة (الشـــقشـــقية) ففي حديث المؤلف عن الحيز الأرضي لتندغة الشـــرقيين التي يقول المؤلف إنها (تمتد ما بين "انبيكت العنز" شمالا إلى "لمديبز" المتصـــل بالنهر جنوبا وعلى طول 200كلم تقريبا وبعرض يبلغ 35كلم يضـــيق أحيانا ويتســـع أحيانا) (ص:76)، وتحقيق هذه القصـــيدة وتحديد ما تضـمنته من المواضـع والمقارنة بين الاسم الأصـلي والاسم العربي والترجمة لما فيها من الأعلام ورسم خريطة جغرافية للمنطقة وشرح المفردات اللغزية التي تضمنتها يصلح رسالة تخرج من جامعة انواكشوط أو المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية أو غيرهما من مؤسسات التعليم العالي.

3- واســـتـــمـــتعت بالديـــوان الشعري (ديوان الحلة) الذي بذل المؤلف جهودا مشكورة في جمعه بعد أن كان متفرقا، ومن ديوان الحلة قصيدة لمحمد صالح ابن عبد الوهاب الناصري صاحب (الحسوة البيسانية) يقول فيها:

أتانا رجـال من ذوائـب تندغ قد انتسبوا منها لخـير المناسب

ومن هذا الديوان قصـــيدة محمد عبد الرحمن (النح) بن الســـالك العلوي التي مطلعها:

على خيرحي أمَّ قصدهم سفر سلام كما أهداه منهم لنا الشعر

و(من ديوان الحلة) أبيات المختار بن حامدن:

علمني الشـعـرَبنو تنـدغ فصرت للشيح من المُضَّغ

أنبغني بالشـعرإحسـانهم ومن يجـاور تنـدغا ينـبغ

يُهجرما لا ينبغي عندهم وعندهم يحسن ما ينبغي

وقصيدته الأخرى التي منها:

على ربع البشـام ومن أقاموا حواليه التحية والسلام

.....

أولاك كلامنا لفظ مفيد إذا قلنا هم القوم الكرام

ومن (ديوان الحلة) قصيدة الشيخ محمد سالم بن عبد الودود التي يرثي بها الشيخين القاضي محمد يحي بن محمد الدنبجة والعالم الشاعر المصطفى بن معاوية، ويقول في مطلعها:

نَوِّهْ بحلة الاربعين جوادا واذكر جبال سراتها الأطوادا

ما مات منها سيدٌ إلا افْتَلتْ فيها غلاما في الرباط فسادا

ومن (ديوان الحلة) قصيدة الأستاذ إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيديا وهي أربعون بيتا:

قفوا بالربع من ليلى المطايا وحَيُّوه بخالصة التحايا

4- واستلطفت ما كتبه المؤلف حول عدد الأربعين (ص:94-97)

5- واستفدت من التحقيقات اللغوية والتعليقات المفيدة التي تضمنها البحث وهوامشه.

جزى الله خيرا المؤلف الأستاذ محمد ولد سيدي ولد دحان خير الجزاء.

بتاريخ: 29 محرم 1441هـ - الموافق 2019/09/29م

رابع عشر

وقال الأخ الصـــديق الموافق، العارف بالله المحب الوامق، العلم البارز في زمرة السابقين، والقدوة المرشد لموكب اللاحقين، السيد محمد عبدالرحمن بن سيدي ابن الشيخ:

كشـفتَ الحجب عن درر المعالي ... وقد أظهرتَ مكنون اللآلي
بذلت الجهد تصحيحا وجمعا ... وتحليلا بتبويب الخلال
أخذت من المدائح كل وصف ... لإظهار المحامد والخصال
وكنت مؤلفا واخرت نهجا ... جديرا بالوصول إلى الكمال
فبالترفيه تبدأ ثم تاتي ... بأمجاد مورثة غوال
قبيلة تندغ الأجواد هَشَّتْ ... بما في الدر من حَسَب وحال
به عين الصديق تقر حتما ... ويستاء العدو ولا نبالي
وأصَّلت العروبة بانتماء ... إلى قحطانَ ذي الرتب العوالي
ومن لمتونَ جئت بشاردات ... من المجد المؤثل والمعالي
فهم أهل الرباط وهم بفاسٍ ... وشنقيطٍ وتيشيتٍ ومالي
ومنهم حلة الأجواد نالت ... من العلياء ما نالت بمال
وبالخلق الكريم وبالعطايا ... وبالبذل التليد وبالنوال
فهم أهل العلوم إذا تبارى ... رجال في العلوم وكل غال
وهم أهل الشهامة في الزوايا ... وهم أهل اجتناب وامتثال
فضائلهم إذا ما رمت حصرا ... ترى ما رمته صعب المنال
فكم نسجوا أواصر خالدات ... بها نلنا فضيلة الاعتدال
وكم بذلوا من اَموال وجاه ... وكم حملوا من اَعباء ثقال
وكم بذلوا النفيس لنيل مجد ... وكم حفروا من آبار طوال
لوجه الله لا ليقال قوم ... كرام، لا، فذا زاد المآل

ونحن على المحجة بالتباع فكم تركوا لنا قبل ارتحال
فجازاك الإله بكل خير فقد ذكَّرتَ بالحقب الحَوَالِي
على خير الورى أزكى صلاة مع الأصحاب، أزواج وآل

بتاريخ: 05 صفر 1441هـ ـ 04 /10 /2019م

جزى الله الجميع خير الجزاء على ما أسدوه من المدح والثناء فقد تمسكوا بأوثق العهد والوفاء.

هذا وقد باشرني ـ مشافهة ـ كثير من أجلاء العشيرة بالشكر الجزيل على الجهد الذي بُذل في إنجاز هذا الكتاب وهاتفني بعضهم بنفس الشيء كذلك، فأسأل الله تعالى أن يعمنا جميعا بالخير العميم والنفع الجسيم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وعلى الجميع مني السلام والرحمة والبركات، فأنا ما كنت أستحق هذا المدح الوفير والثناء الكثير لولا فضل حي الأربعين وكرمهم وقد قيل إنما يعرف الفضل من الناس ذووه.

والسلام.

ـ المؤلف

بتاريخ: 16 صفر 1441هـ

الموافق:15 /10 /2019م